بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية

(الكتاب الثانى)

تأليف

الدكتور / محمد حمزة إسماعيل الحداد

أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية

كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م

الناشر

دار القاهرة

١١٦ شارع محمد فريد ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٩١٩٢

اسـم الكتـاب : **بحوث ودراسات فى العمارة الاسلامية**
(الكتاب الثانى)
اسـم المـؤلف :**ا. د/ محمد حمزة إسماعيل الحداد**
رقـم الطبـعة : **الأولى**
السـنـة : **٢٠٠٥**
رقـم الإيـداع : **١٦٤٨٠**
الترقيم الدولي : **I.S.B.N.**
977-6048 -20-X
اسم النـاشر : **دار القاهره**
العنـوان : **١١٦ شارع محمد فريد**
البـلـد : **جمهورية مصر العربية**
المحافظـة : **القاهرة**
التليـفون : **٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢**
فـاكس : **٠٠٢٠٢٣٩٣٣٩٠٩**
المحمـول : **٠١٢٣١٧٧٥١٠**

الفهـرس

تقديم

الحمد لله الذى جعل جنة الفردوس لعباده المتقين نُزلاً ، أعدها وزينها وجملها وأفاض على أهلها من النعم وكساهم من الحُلل ، لتكون مستقراً ومقامًا لهم ، لا يبغون عنها حولا ويسّر المكلفين للأعمال وهداهم النجدين ليبلوهم أيهم أحسن عملا .

وبعد ، فانه يسرنى أن أقدم للقارئ والباحث الكريم هذا الكتاب الثانى من هذه الموسوعة الموسومة بـ « بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية » وهو يضم ثلاثة بحوث نشرت فى كل من : مجلة كلية الآثار ـ العدد الثامن ١٩٩٧م ، مطبعة جامعة القاهرة ٢٠٠٠م ، صص١٤٥ ـ ٢٤٤ ؛ ومجلة جامعة الملك سعود ، المجلد ١٢ ، الآداب (١) ، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ص ص ٢٢٧ ـ ٣٤٠ ؛ وحوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة ١٩٩، الحولية ٢٣ ، مجلس النشر العلمى ـ جامعة الكويت (١٤٢٣ ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م) ص ص ٧ ـ ١٦٠ ، على التوالى .

وقد حرصت على جمع شتات هذه البحوث الثلاثة المتفرقة فى هذا المجلد الثانى مما يسهل العثور عليها والاطلاع على محتوياتها والإفادة منها؛ وبالتالى يساعد فى اثراء الحركة العلمية وتشجيع البحث العلمى .

وحرصًا على خروج هذه الدراسات بالمستوى العلمى اللائق والمتكامل قمنا بتقسيم هذا المجلد الذى بين أيدينا إلى ثلاثة فصول :

الأول : عن « الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف » دراسة تحليلية مقارنة ؛ والثانى : عن «مصليات الجنائز فى العمارة المصرية الإسلامية» دراسة آثارية (تحليلية مقارنة) وثائقية تاريخية ؛ والثالث : عن « العمائر الجنائزية فى مصر خلال العصر العثمانى (٩٢٣ ـ ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧ ـ ١٨٠٥م) دراسة تحليلية مقارنة .

وفى النهاية إذا كنت قد وفقت فيما قصدت إليه فلله الحمد وهو من وراء القصد خير معين ؛ وإن كنت قد قصرت فحسبى أن يكون هذا الكتاب لبنة صغيرة فى مجال دراسة الآثار والحضارة الإسلامية عامة والعمارة الإسلامية خاصة .

ونأمل فى القريب العاجل ـ بمشيئة الله تعالى ـ أن تصدر بقية البحوث والدراسات المقرر نشرها فى تلك الموسوعة .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

د. محمد حمزة إسماعيل الحداد

القاهرة ـ مدينة نصر ـ ٢٠٠٤/١٠/١م

الفصل الأول

الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف (*)

دراسة تحليلية مقارنة

(*) كان هذا البحث ضمن أعمال ندوة «فلسطين عبر عصور التاريخ» التى عقدها مركز البحوث والدراسات التاريخية ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة فى الفترة ٤ ـ٦ نوفمبر ١٩٩٥م ، وقد ألقى البحث فى الجلسة الثانية المسائية ليوم الافتتاح وهو يوم السبت ٤ نوفمبر ١٩٩٥م ؛ ونشر البحث فى حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية ـ الرسالة ١٩٩ ـ الحولية ٢٣ ـ مجلس النشر العلمى ـ جامعة الكويت (١٤٢٣ ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م)، ١٤٤صفحة .

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الأسبلة السليمانية ـ نسبة إلى السلطان العثماني سليمان القانونى ٩٢٦ـ ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م ـ التى لايزال باقيا منها فى القدس الشريف ستة أسبلة فى مواضع مختلفة إذ أقيمت خمسة منها على مقربة من أبواب الحرم القدسي الشريف بينما أقيم السبيل السادس ظاهر القدس ـ أي خارج البلدة القديمة وقد شيدت هذه الأسبلة كلها فيما بين العاشر من محرم والثانى من رمضان عام ٩٤٣هـ (٢٩ يونيه ١٥٣٦م و ١٣ فبراير ١٥٣٧م) ، ويرجع ذلك إلى إرتباط عمارة تلك الأسبلة بمشروع حيوي كبير ومهم يتمثل فى أعمال صيانة وتعمير المنشآت المائية فى عهد السلطان سليمان ؛ وبالتالى تأمين المياه وضمان جريانها إلى المدينة على الوحه الأكمل .

وتعالج هذه الدراسة تلك الأسبلة سواء من حيث أهميتها بالنسبة لمدينة القدس التى تشكو دائما قلة المياه أو من حيث مواضعها ومراحل إنشائها وتخطيطها وعناصرها المعمارية والزخرفية فضلا عن نقوشها الكتابية .

كذلك تتناول هذه الدراسة تحليل الطراز المعماري لتلك الأسبلة وتتبع تأصيلة فى العمارة الإسلامية منذ عصر سلاجقة الروم بالأناضول وخلال العصر المملوكى فى مصر والشام ثم إنتشاره وتطوره خلال العصر العثماني فى العديد من المدن سواء فى الأناضول أو أوروبا العثمانية أو فى الأقطار العربية .

والواقع أن الأسبلة السليمانية تعكس بحق إمتزاج التقاليد المحلية الموروثة ـ إسلامية كانت أم غير إسلامية ـ مع الطراز العثمانى الوافد فى نسق معماري وفنى رائع ، مما أضفى عليها ذلك الطابع المتميز أو تلك الازدواجية الفنية الملفتة للنظر بين الأسبلة والآثار الإسلامية الأخرى التي لاتزال باقية بالقدس الشريف .

مقدمة :

تعد القدس ثالث المدن العربية الإسلامية المقدسة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ فإليها أسرى بخاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن فوق صخرتها عرج به (عليه الصلاة والسلام) إلى الأفق الأعلى ، كما أن بها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين الذى تشد إليه الرحال من كل حدب وصوب .

ولذلك حظيت تلك المدينة بقدسية كبيرة لدى المسلمين ، خاصتهم وعامتهم، وسطرت فى فضائلها مؤلفات عديدة نشر بعضها [١] ولا يزال غالبيتها مخطوطا لم ير النور بعد [٢].

ومن جانب آخر شهدت القدس حركة عمرانية نشطة طيلة العصور الإسلامية المتعاقبة بدءاً بعصر الخلفاء الراشدين [٣](رضى الله عنهم) وما تلاه من عصور وانتهاءاً بالعصر العثمانى .

والحق إن دراسة العمارة والآثار الإسلامية بالقدس لاتكمن أهميتها فى أنها تمثل تراثا إسلاميا بل وانسانيا خالداً يعتد به فحسب وإنما لأنها تعد، علاوة على ذلك ، لسان صدق وشاهد حق على تأكيد الهوية العربية الإسلامية لتلك المدينة الخالدة ولذلك فهى تقف شامخة أمام كل الأدعاءات والمزاعم الصهيونية التى تهدف بشتى الطرق ومختلف الوسائل والسياسات إلى تهويد المدينة وطمس هويتها العربية الإسلامية [٤].

ورغم أن الآثار المعمارية الباقية بالقدس ، والتى يربو عددها على مائتى أثر تغطى كافة العصور الإسلامية تعد مصدراً ماديا مباشراً لدراسة طراز العمارة الإسلامية وأنماطها ومفرداتها المتعددة ، فضلا عن نقوشها الكتابية والزخرفية[٥]، إلا أنه لايستقيم عود تلك الدراسة بدون الرجوع إلى المصادر المدونة أو المكتوبة ، وهى كثيرة ومتنوعة ، ويأتى على رأسها الوثائق وبخاصة وثائق الوقف وسجلات المحاكم الشرعية [٦]، وكذلك كتب التاريخ المحلى

ومشاهدات الرحالة المسلمين ثم مشاهدات الرحالة والحجاج الأجانب [٧] ومن أهمها بطبيعة الحال تلك المصحوبة بالخرائط واللوحات سواء كانت مرسومة أو محفورة أو فوتوغرافية .

ويلى ذلك فى الأهمية كتب الفضائل وكتب الحوليات وكتب التراجم وغيرها وإيماناً منى بمدى أهمية دراسة العمارة والآثار الإسلامية بالقدس عقدت العزم على أن أسهم ـ بمشيئة الله تعالى وبتوفيقه ـ بسلسلة من الدراسات المتخصصة تدور كلها حول عدد من الموضوعات التى لا تزال بحاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل ، وأستهلها بذلك البحث وموضوعة «الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف» .

وقبل أن نفصل القول فى موضوع البحث وأهميته ينبغى أن نشير ، بادىء ذى بدء ، إلى أن الأسبلة[٨] تمثل فرعا مهما من أفرع العمائر المدنية فى العمارة الإسلامية ويندرج ذلك الفرع تحت ما يمكن أن يطلق عليه اصطلاحاً اسم «العمائر أو المنشآت الخيرية» ويقصد بها تلك الأبنية التى أنشئت رغبة فى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وأملا فى ثواب الآخرة ومن ثم أوقفها أصحابها سبيلا لله تعالى ، وهذا يعنى أن هذه الأبنية كانت لاتدر دخلا للواقف يتصرف فيه كيفما شاء .

ورغم تعدد أنواع العمائر الخيرية [٩] إلا أن أشهرها وأكثرها التصاقا بأذهان الناس، عامتهم وخاصتهم ، حتى الآن ، تلك التى خصصت لتوفير المياه العذبة الصالحة للشرب كل يوم وعلى مدار العام كله ، كى ينتفع بها فى سقى الناس والتى إشتهرت بإسم الأسبلة فى مصر والشام والجزيرة العربية والعراق وبعض أقطار المشرق الإسلامى [١٠]، أما فى الغرب الإسلامى فقد إشتهرت بإسم السقايات [١١] .

ونضيف على ذلك فنذكر أن لفظة السبيل لاتقتصر على المبنى فحسب وإنما عرف بها الماء أيضا فقيل له «الماء المسبل أى المجعول فى سبيل الله» [١٢] .

وعن أهمية موضوع البحث ، يمكن القول أن تعمير الأسبلة بصفة عامة فى القدس الشريف كان جزءاً متمما لسياسة عمرانية نشطة كان هدفها الرئيس تأمين المياه فى تلك المدينة ، وبالتالى ضمان توفير المياه الصالحة للشرب والاحتياجات الأخرى المختلفة التى لايستغنى عنها أهل المدينة .

ولكى ندرك مدى أهمية تلك السياسة ينبغى أن نجتلى أولاً آثر العوامل الجغرافية من هذه الناحية ، فإن قلة المياه هى المشكلة المزمنة التى تعانى منها القدس وتشكو منذ أقدم العصور ، ويرجع ذلك إلى ظروف البيئة الجغرافية ومايرتبط بها من عوامل طوبوغرافية وجيومورفولوجية من جهة وعوامل جيولوجية بنيوية وبنائية من جهة ثانية .

وأول ما ينبغى أن نلاحظه موقع القدس الذى يشغل منطقة صخرية جبلية متضرسة لايشقها نهر ولاتطل على بحر ، وإنما تحيط بها الجبال والمرتفعات ، وتلتف حولها الأودية من الشرق والشمال والجنوب ، وهو الأمر الذى كان له أثره الكبير فى تحديد أنماط مصادر المياه بالقدس ، إذ شكلت هذه المرتفعات أحواضا لتغذية عدد كبير من المجارى المائية بالمياه على مدار السنة وتنحدر قنواتها فى الجانبين نحو بطون الأودية والمنخفضات الحوضية .

كذلك فإن صخور القدس من النوع الكلسى الرملى التى تختلط أحيانا بصخور الصوان الصلدة ، ومن ثم كانت تلك التكوينات صالحة وملائمة لحفر الأحواض والبرك وغيرها لحفظ المياه[١٣] (شكل ١) .

وعلى ذلك فإن القدس كانت تعتمد بصفة رئيسية على مياه الأمطار والمياه الجوفية ، والتالى فإن عدم سقوط الأمطار كان يترتب عليه الكثير من الأزمات والشدائد كما يستدل من الإشارات الكثيرة الواردة فى المصادر التاريخية المختلفة[١٤] .

ومن هنا فإن السياسة العمرانية النشطة ، السابق الإشارة اليها ، كانت هدفا استراتيجيا وحيويا تبنته الدول الإسلامية المتعاقبة فيها كما يستدل من الإشارات الكثيرة فى المصادر التاريخية المختلفة فضلا عن الآثار الباقية [١٥] .

غير أن ما يعنينا من أمر هذه السياسة هو ما يتعلق بعصر الدولة العثمانية ولا سيما إبان عهد السلطان سليمان القانونى أو المعظم (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) الذى أمر بعمارة الأسبلة ، موضوع البحث ، ولذلك أطلقنا عليها اسم «الأسبلة السليمانية» وكانت المنشآت المائية الرئيسة فى القدس قد أصبحت فى حالة سيئة ولاينتفع بها منذ أواخر العصر المملوكى الجركسى [١٦] وظلت كذلك حتى أوائل العصر العثمانى فما كان من السلطان سليمان القانونى أو المعظم إلا أن أمر بتعميرها ووقف الأوقاف الكثيرة المغلة عليها لينفق من ريعها المبرور على عمارتها وصيانتها على الدوام [١٧] .

ومن هذه المنشآت المائية بركة السلطان [١٨]، وبئر أزبك المجاور لها[١٩] ، وبرك سليمان [٢٠]، وقناة السبيل [٢١] (أشكال ١ـ٣ مكرر) .

وعلى ذلك يمكن القول أن تعمير الأسبلة السليمانية كان جزءاً متمما لتلك السياسة العمرانية التى تبناها السلطان سليمان ، والتى كان هدفها الرئيسى هو تأمين المياه إلى القدس الشريف ، وتوفير المياه الصالحة للشرب وجعلها فى متناول الجميع . ويؤكد ذلك ما ورد فى سجلات المحكمة الشرعية بالقدس من أنه إنعقد بقبة السلسلة [٢٢] فى عشرى صفر ٩٤٨هـ/١٥٤١م مجلس شرعى بين يدى الأمير جعفر بك كاتب الولايات الشريفة السلطانية بلواء الشام وصالح أفندى ابن القزوينى مولى القدس الشريف ، وفى هذا المجلس أشهد على نفسه محمد چلبى النقاشى المباشر لعمارة قناة السبيل الواصل إلى مدينة القدس الشريف من عين المرجيع وأنشأ بها القساطل واجراء الماء فيها إلى مدينة القدس على الوجه الأكمل «وأنه عمر قناة السبيل المذكورة وأوقفها على عامة المسلمين وعلى أوقاف عامة المسلمين وعمر عليها السبيل وأوقفها كذلك صدقة عن مولانا السلطان الإمام الأعظم سليمان شاه...»[٢٣] .

وهذه الأسبلة هى «... السبيل على بركة السلطان ظاهر القدس (شكل ٣ مكرر) والسبيل بمحلة باب السلسلة والسبيل لوضوء الحنفية والسبيل لوضوء

الشافعية بالمسجد الأقصى الشريف والسبيل به المعروف بالشادروان والسبيل بمحلة القطانين .... والسبيل بمحلة باب الناظر والسبيل تجاه باب الدويدارية والسبيل بباب الاسباط بمحلة باب حطة...» [٢٤](شكلا ٤ـ٥) .

وعلى ضوء ذلك يتضح أن عدد الأسبلة السليمانية كان يصل إلى تسعة أسبلة إلا أنه لم يتبق منها سوى ستة وهى الأسبلة موضوع البحث ـ أما الأسبلة الثلاثة الأخرى فلا نعرف عنها ـ حتى الآن ـ سوى أسمائها الواردة بالوثيقة ووظيفتها المنوطة بها وهى السبيل لوضوء الحنفية والسبيل لوضوء الشافعية والسبيل المعروف بالشادروان ـ فضلاً عن موضعها بساحة المسجد الأقصى الشريف ، وبالنسبة إلى طرازها المعمارى فإنه ليس من السهل تحديده ، نظراً لإندثارها من جهة ، وخلو كتب الرحالة الأجانب المنشورة والمعروفة حتى الآن من لوحات لها من جهة ثانية.

ورغم ذلك فإنه من المرجح أن أسبلة الوضوء هذه ، وبصفة خاصة سبيل الحنفية وسبيل الشافعية ، كانت على غرار سبيل قاسم باشا متولى القدس فى عهد السلطان سليمان القانونى الذى أنشىء عام ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م كما يستدل من نقشه الانشائى ـ أى قبل انشاء الأسبلة السليمانية كلها بما يقرب من عشر سنوات ـ وهو يقع جنوب سبيل قايتباى وبالقرب من باب السلسلة ، ويعد هو الآخر من أسبلة الوضوء [٢٥] (لوحة ١) .

أما العسلى فيرجح أن أسبلة الوضوء الثلاثة هذه لم تنشىء كالأسبلة السليمانية الستة الأخرى ، وانما عمرت فقط ، ومن ثم فهو ـ أى العسلى ـ يعتقد أن السبيل الثالث منها وهو المعروف بالشادروان ، إنما هو السبيل المعروف بالكأس الذى لا يزال باقيا بين مبنى المسجد الأقصى ودرج صحن الصخرة المواجه له ، ويعد هو الآخر من أسبلة الوضوء ويرجع إنشاؤه الأصلى إلى العصر الأيوبى وبالتحديد عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م وقد عمر بعد ذلك مرات عديدة [٢٦](لوحة ٢) .

وفيما يلى دراسة لهذه الأسبلة الستة الباقية من حيث موقعها ومراحل إنشائها ووصف عمارتها مع دراسة تحليلية مقارنة لطرازها المعمارى وتأصيله فى العمارة الإسلامية عامة وتتبع تطوره إبان العصر العثمانى خاصة .

المبحث الأول: الموقع ومراحل الإنشاء:

أقيمت خمسة من الأسبلة الستة الباقية على مقربة من أبواب الحرم القدسى الشريف الغربية والشمالية (شكلا ٤ ـ ٥) ، بينما أقيم السبيل السادس ـ وهو الأول من حيث تاريخ الإنشاء كما سنشير فيما بعد ـ ظاهر القدس ـ أى خارج البلدة القديمة ـ ورغم أن إنشاء هذه الأسبلة كلها قد حدث فى عام ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م، إلا أنها لم تبن فى وقت واحد بل على مراحل متقاربة من نفس العام وهو ما يستدل من خلال النقوش الإنشائية المسجلة على كل سبيل منها .

والواقع إن إنشاء الأسبلة السليمانية على مراحل متقاربة يرجع إلى عامل مهم وهو إرتباط عمارة تلك الأسبلة بأعمال صيانة وتعمير المنشآت المائية والانتهاء منها، وبالتالى تأمين المياه وضمان جريانها إلى القدس الشريف على الوجه الأكمل وهو ما أكده النص الوثائقى السابق الإشارة إليه .

وتأتى النقوش الإنشائية المسجلة على الأسبلة السليمانية لتؤيد النص الوثائقى وتعززة ؛ إذ يستدل منها أن عمارة تلك الأسبلة لم تبدأ إلا بعد الانتهاء من أعمال مد قناة السبيل وتفريعاتها إلى موضع كل سبيل منها ، ولهذا السبب أنشئت تلك الأسبلة على مراحل متقاربة من عام ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م كما سبق القول .

وقد إنتهت أعمال المرحلة الأولى عند موضع سبيل بركة السلطان بظاهر القدس الذى فرغت عمارته فى ١٠ محرم ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م ، وهذا السبيل يعد أول الأسبلة السليمانية من حيث تاريخ الإنشاء وقد أسمته الوثيقة «السبيل على بركة السلطان ظاهر القدس» حيث أنه يقع خارج البلدة القديمة فى الجانب الشمالى من الطريق الذى يمر فوق البركة من جهة الجنوب والذى يصل ـ أى الطريق ـ بين القدس وبيت لحم (شكلا ٣ مكرر ، ٥) ، (لوحات ٣ ـ٦) .

وفى ضوء ذلك فإنه من المرجح أن أعمال صيانة وتعمير المنشآت المائية بالقدس قد بدأت فى عام ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م ، أو على الأقل فى النصف

الثانى منه، وليس عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م كما هو متفق عليه [٢٧]، لأن أعمال المرحلة الأولى قد إنتهت قبل العاشر من محرم لذلك العام وهو تاريخ الفراغ من عمارة سبيل بركة السلطان كما سبق القول .

ورغم أن سبيل باب القطانين هو ثانى الأسبلة السليمانية إنشاءً إلا أنه أول هذه الأسبلة التى أقيمت داخل البلدة القديمة وعلى مقربة من أحد أبواب الحرم القدسى الغربية ، ولذلك فإنه من المرجح أن قناة السبيل الرئيسية قد إنتهت على مقربة من باب القطانين ، وليس باب السلسلة الواقع إلى الجنوب منه كما يرى العسلى [٢٨].

وتمثلت المراحل التالية فى مد قنوات فرعية من قناة السبيل الرئيسية التى إنتهت على مقربة من باب القطانين كما رجحنا إلى حيث موضع بقية الأسبلة وهو ما يستدل من تاريخ الفراغ من عمارة كل سبيل منها كما سنرى .

وكانت البداية إلى الجنوب من باب القطانين إلى حيث موضع السبيل الواقع تجاه باب السلسلة من جهة الغرب ولذلك عرف بالسبيل بمحلة باب السلسلة كما أسمته الوثيقة أو سبيل باب السلسلة (لوحات ١٠ـ١٢) وكان الفراغ من عمارته فى ٢٢ رجب ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م أى بعد ثلاثة أسابيع من عمارة سبيل باب القطانين . وتوالت بعد ذلك أعمال مد القنوات الفرعية إلى الشمال من باب القطانين وإلى حيث موضع كل من السبيلين الواقعين على مقربة من بعض أبواب الحرم القدسى الشريف الشمالية .

ومن ذلك السبيل تجاه باب الدويدارية (باب العتم ويعرف حاليا بباب فيصل) المعروف بسبيل سليمان ، وهو أول الأسبلة التى أقيمت قرب أبواب الحرم القدسى الشريف الشمالية وكان الفراغ من عمارته فى أوائل شهر شعبان ٩٤٣هـ/١٥٣٦م (لوحات ١٣ ـ ١٥) ، والسبيل بمحلة باب الناظر المعروف بسبيل باب الناظر لوقوعه عند ملتقى طريق باب الناظر بطريق الواد وكان الفراغ من عمارته فى (٢ رمضان ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) (لوحات ١٦ ـ ١٨) .

أما السبيل بباب الأسباط بمحلة باب حطة المعروف بسبيل باب الأسباط ـ

وهو أحد أبواب الحرم الشمالية ـ أو سبيل ستنا مريم لوقوعه على الجانب الشمالى من طريق ستنا مريم (طريق المجاهدين) على بعد أمتار قليلة من باب الأسباط إلى الغرب (لوحتا ٢٠ ـ ٢١) فيعد السبيل الوحيد من الأسبلة الستة الذى فقد نقشه الإنشائى منذ فترة طويلة (لوحة ١٩) وبالتالى لم يحدد الشهر الذى أنشىء فيه كغيره من الأسبلة الخمسة السابقة .

ولما كان هذا السبيل هو ثانى الأسبلة التى أقيمت قرب أحد أبواب الحرم القدسى الشريف الشمالية ، ولذلك فإنه من المنطقى أنه أنشىء بعد الفراغ من عمارة أول الأسبلة بذلك الجانب ، وهو السبيل تجاه باب الدويدارية المعروف بسبيل سليمان الذى فرغت عمارته فى أوائل شعبان ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م ، وعلى ضوء ذلك يكون الفراغ من عمارة سبيل باب الأسباط المعروف بسبيل ستنا مريم فى أواخر شعبان ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م .

ونضيف على ما تقدم فنقول أن وجود قناة السبيل الرئيسية وتفريعاتها لم يؤثر على مقدار المياه التى تصل إلى الأسبلة السليمانية ؛ إذ حرص الواقف على أن توزع بالتساوى على كل سبيل منها ، وهو ما أكدته الوثيقة من أن محمد چلبى النقاشى المباشر لعمارة قناة السبيل الواصل إلى مدينة القدس الشريف وعمر عليها الأسبلة، المشار إليها ، قد أشهد على نفسه أنه «جعل مقاسما متعددة ، وجعل لكل موضع من المواضيع المذكورة أعلاه ـ أى الأسبلة ـ قسما من الماء يخصه بحيث أن الماء الجارى فى القناة المذكورة يصل لكل موضع من المواضيع المذكورة ما يخصه كثرة وقلة وإن نقص الماء ينقص على الجميع وإن زاد يزيد للجميع يجرى ذلك كذلك فى المواضيع المذكورة أعلاه ليلا ونهاراً أبد الآبدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبطله أو يغير معالمه أو يقدم فى الماء موضعا على موضع أو يمنع موضعا من المواضع أو يعطل موضعا مما عين أعلاه بل الماء بينهم سوية كما ذكر ...» [٢٩] وليس أدل على زيادة الماء فى هذه الأسبلة من أن بعضها كانت تزود الحمامات المجاورة لها والقريبة منها بالماء حسب حاجتها

وكفايتهما ، ويؤكد ذلك ما ورد فى الوثيقة أيضا « ... والسبيل بمحلة باب القطانين ومن قناة هذا السبيل قسم من الماء للحمام المعروف بتنكز[٣٠] على قدر حاجته وكفايته ... والسبيل بباب الأسباط بمحلة باب حطة ومن قناة هذا السبيل قسم من الماء للحمام المعروف بحمام باب الأسباط[٣١]على قدر حاجته وكفايته ...» [٣٢].

المبحث الثانى : الدراسة الوصفية : (شكلا ٦-٦ مكرر) :

من الملاحظ أنه يبدو للوهلة الأولى أن الأسبلة السليمانية قد صممت وفق طراز تخطيطى واحد يجمعها كلها فى نسق معمارى رائع ، ومع ذلك فإن النظرة الفاحصة سرعان ما تظهر أن لكل سبيل منها سماته المستقلة ونمطه الخاص ولا سيما من حيث عناصره ومفرداته المعمارية ونقوشه . ومن حيث الطراز التخطيطى العام نجد أن هذه الأسبلة الستة ذات واجهة مستطيلة يتراوح إتساعها ما بين ٣,٥٥م و ٤,٩٤م شغلت بحنية ـ أو دخلة ـ مجوفة يتراوح إتساعها ما بين ١,٨١م و٢,٧٨م وعمقها ـ أى الحنية ـ يتراوح ما بين ٥٢ر٠م، ٣٤ر١م [٣٣]، ويتوجهذه الحنية ـ أو الدخلة ـ عقد مدبب يرتكز غالبا على عمودين مدمجين رفيعين ، وفيما بين رجلى العقد أو أسفلهما قليلا ثبتت لوحة رخامية نقش بها النقش الإنشائى لكل سبيل منها بخط الثلث المركب البارز ذى الأحرف الكبيرة .

ويشغل أرضية الحنية ـ أو الدخلة ـ حوض حجرى يمتد طولا بعرض الحنية ويصل الماء إلى ذلك الحوض من الصنبور (البزبوز) المثبت فوق منتصف الحوض . ويحدد هيئة هذا الصنبور فتحة معقودة بالعقد المعروف بعقد بورصة (أو بروسه)[٣٤].

أما من حيث المفردات والتفاصيل فنجد أنه يحدد هيئة واجهات الأسبلة غالبا إطار حجرى بارز على هيئة جفت مجرد [٣٥]ينتهى غالبا من أسفل بثنية حلزونية تتوسطها ميمة كما هو الحال فى كل من : سبيل بركة السلطان وسبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان وسبيل باب الأسباط المعروف بسبيل ستنا مريم (لوحات ٣-٥ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢١) .

وإذا كانت الأسبلة الثلاثة السابقة تخلو من وجود الميمة العليا التى تعلو الصنجة المفتاحية لعقد حنية السبيل ، فإن كل من سبيل باب السلسلة وسبيل طريق الواد يتميزان بوجود تلك الميمة العليا إلا أنها شكلت فى كل منهما بطريقة مختلفة فهى فى سبيل باب السلسلة تتوسط الجفت المجرد ، وذلك أعلى الصنجة المفتاحية لعقد حنية السبيل ، بينما هى فى سبيل طريق الواد تعلو الجفت المجرد نفسه. (لوحات ٧ـ١٢) .

هذا ولاينحصر الاختلاف ين واجهات الأسبلة فى الجفت المجرد والميمات فحسب ، بل نجد أن بعض الأسبلة قد انفردت واجهتها بوجود أربعة أعمدة مدمجة رفيعة فى ناصيتها بواقع عمودين مركبين بكل ناصية كما هو الحال فى كل من سبيل باب الناظر وسبيل طريق الواد . (لوحات ٧ـ٩ ، ١٦ـ١٨) .

كذلك تختلف هذه الأسبلة من حيث هيئة عقود الحنية وما يشغل باطنها وكوشاتها فكل من سبيلى بركة السلطان وباب السلسلة يتوج حنية كل منهما عقد مدبب بارز شكلت صنجاته الداخلية بأشرطة دالية (زجزاجية) يتميز الشريط الداخلى منها فى سبيل باب السلسلة بامتداده لأسفل على هيئة ذيل مقرنص من حطتين .

وبينما يكسو باطن عقد سبيل بركة السلطان صدر مقرنص يشتمل على أربع حطات من المقرنصات تشكل الحطتان الثالثة والرابعة منهما هيئة عقد ثلاثى الفصوص (مدائنى) على حين تمتد الحطتان الأولى والثانية لأسفل الشريط الداخلى على هيئة ذيل متدرج ، نجد أنه يكسو باطن عقد سبيل باب السلسلة زهرة مشعة لم يتبق منها سوى ثمان برانق وكانت فى الأصل ذات اثنى عشر برنقا وقد شكلت هذه البرانق المشعة على هيئة مستديرة تتكون من اثنى عشر عقدا نصف دائريا ترتكز على أحد عشر عمودا رفيعا لم يتبق منها سوى ثمانية عقود وتسعة أعمدة ذات قواعد وتيجان .

ويصف العابدى هذه الزهرة قائلا «.... وتظهر أوراقها الغضة على السبيل كأن الريح تهب بلطف فيما بينها وتظهر رؤوس الأعمدة الصغيرة ومثلثات

الزوايا المزينة... ولايظهر من الأعمدة إلا ثلاثة أرباعها وهى رفيعة جدا وتشبه ثمانية (والصواب تسعة) حبال مجدولة ...» [٣٦].

وبينما يشغل كل من كوشتى عقد سبيل بركة السلطان مدورتان مصمتتان، بواقع مدورة بكل كوشة ، نجد أنه يشغل كل من كوشتى عقد سبيل باب السلسلة مثلثان ذو وتر منحنى ، بواقع مثلث بكل كوشة ، نقشت بهما زخارف نباتية بارزة قوامها ورقة نباتية تتفرع منها أوراق حلزونية الشكل .

كذلك يتميز سبيل باب السلسلة بوجود مدورتان صغيرتان أخريتان أسفل رجلى عقد حنية السبيل ، بواقع مدورة بكل جانب ، نقشت على اليمنى منهما كلمة وقف وعلى اليسرى كلمة إسلامى ولما كانت اللوحات القديمة لهذا السبيل تثبت أن المدورة اليسرى كانت ذات نقوش زخرفية وليست كتابية (لوحة ١٠) وعلى ذلك فإنه من المرجح أن نقش عبارة وقف إسلامى على كل من المدورتين يرجع إلى أحد أعمال الصيانة والترميم التى جرت للسبيل فى النصف الثانى من القرن ٢٠م وذلك عقب الاحتلال الإسرائيلى للقدس الشريف .

وإذا كان سبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان يشبه كل من سبيلى بركة السلطان وباب السلسلة من حيث هيئة عقد حنيته وحلية صنجاته الداخلية بالأشرطة الدالية (الزجزاجية) إلا أن باطن عقده يشبه مثيله فى سبيل بركة السلطان فحسب من حيث كسوته بصدر مقرنص ، ورغم ذلك فهو يختلف عنه من حيث طريقة تشكيله (لوحتان ١٣ـ١٤) .

وكذلك كل من كوشتى عقد السبيل فرغم أنه يشغلهما مثلثان ذو وتر منحنى، مثل سبيل باب السلسلة ، إلا أنهما مصمتتان حيث لم تفرغ فيهما النقوش الزخرفية النباتية كما هو الحال فى كل من كوشتى سبيل باب السلسلة (لوحتا ١١ ـ١٢) .

أما سبيل طريق الواد فيتميز بهيئة عقد حنيته فهو من نوع العقد المدبب المركب إذ يشتمل على ثلاثة أقواس متتابعة الأول منها ـ وهو الداخلى ـ يرتكز على عمودين مدمجين رفيعين وكذلك الثانى ـ وهو الأوسط ـ يرتكز على

عمودين مدمجين رفيعين ، والقوس الثالث ـ وهو الخارجى ـ لايرتكز على شىء بينما تمتد رجلاه إلى الجانبين حتى بداية الجفت المجرد الذى يحدد هيئة واجهة السبيل . ويشغل كل من كوشتى عقد هذا السبيل مثلثان ذو وتر منحنى ، بواقع مثلث بكل كوشة، بكل منهما مدورة غفل من الزخرفة (لوحات ٧ـ٩) .

أما باطن العقد الداخلى للسبيل فيكسوه صدر مقرنص من أربع حطات من المقرنصات ولكنها شكلت هى الأخرى بطريقة مختلفة عن مثيلتها فى كل من سبيل بركة السلطان وسبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان (لوحات ٣ ، ٥، ١٣ ـ ١٤) .

وإذا كان سبيل باب الناظر (لوحات ١٦ ـ١٨) يشبه سبيل طريق الواد من حيث عقد حنيته المدبب المركب ، إلا أنه يختلف عنه من حيث طريقة تشكيل هذا العقد وما يكسو باطنه من شكل مثمن يحوى دائرة تشغلها زهرة مشعة ورغم أنها بحالة سيئة إلا أنها تشبه مثيلتها فى سبيل باب السلسلة وإن كانت تختلف عنها من حيث طريقة تشكيلها وتفاصيل البائكة بعقودها وأعمدتها . (لوحات ١١ـ١٢).

أما كل من كوشتى عقد السبيل فهما تشبهان مثيلتهما فى سبيل طريق الواد (لوحتا ٩ ، ١٨) .

أما سبيل باب الأسباط المعروف بسبيل ستنا مريم فقد إتخذ هو الأخر نمطا خاصا به فالحنية متوجه بعقد مدبب لا يرتكز على عمودين مدمجين كما هو الحال فى الأسبلة الخمسة الأخرى ، واقتصر الأمر على مجرد وجود كابولى حجرى بارز أسفل رجلى العقد ، كذلك يحدد هيئة هذا العقد إطار حجرى بارز يأخذ نفس الهيئة المدببة للعقد ، كذلك يحدد هيئة هذا العقد اطار حجرى بارز يأخذ نفس الهيئة المدببة للعقد ، ويمتد هذا الإطار إلى الجانبين ليلتحم مع الجفت المجرد الذى يحدد هيئة واجهة السبيل كما سبق القول (لوحات ١٩ـ٢١) .

ويتميز باطن عقد هذا السبيل باشتماله على سطرين متوازيين نقشت بهما العبارة التالية (٣٧) :

سـلام على روح النبى المطهـر
أصـابعـه أجـرت مـيـاها ككوثر

هذا وينفرد سبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان عن الأسبلة الخمسة الأخرى بإشتمال واجهته الخلفية ـ أى الشمالية ـ على مصلى مكشوف عبارة عن مصطبة أقرب إلى المربع (لوحة ١٥) ، وترتفع هذه المصطبة عن أرض الحرم بنحو نصف متر تقريبا ، ويتوسط صدر هذه المصطبة محراب حجرى بسيط تعلوه لوحة نقش بها ما يشير إلى تجديد هذا المحراب من قبل السلطان سليمان بصيغة «جدد هذا المحراب الشريف فى أيام مولانا السلطان سليمان ابن السلطان سليم خلد الله ملكه»[٣٨].

ويستدل من هذا النقش أن المصلى يرجع إلى ما قبل عصر السلطان سليمان (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) ، وهو الأمر الذى يشير إلى أن السبيل هو الذى الحق بواجهة المصلى الخلفية ـ أى الجنوبية ـ عقب تجديد السلطان سليمان له وليس العكس .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أنه كانت تنتشر فى ساحات الحرم الشريف مصاطب كثيرة ، وكان بعضها يستعمل كمكان يجلس عليه الطلاب لتلقى العلم[٣٩].

وعن اللوحات الرخامية التى تتضمن النقوش الإنشائية للأسبلة السليمانية ، فقد سبق القول أنها لاتزال بمواضعها بكل سبيل منها بإستثناء السبيل السادس والأخير ، وهو سبيل باب الأسباط المعروف بسبيل ستنا مريم ، الذى فقدت لوحته كما سبق القول (لوحات ١٩ ـ ٢١) .

وهذه اللوحات الباقية ذات مقاسات متقاربة فهى تبلغ ١٠٠سم × ٥٠سم فى سبيل باب الناظر ، و١٠٠سم × ٥٥سم فى سبيل بركة السلطان ، و ١٢٠سم × ٥٠سم فى كل من سبيل طريق الواد وسبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان ، و١٥٠سم × ٥٠سم فى سبيل باب السلسلة[٤٠].

وتتضمن تلك اللوحات النقوش الإنشائية التى نفذت بخط الثلث المركب البارز ذى الأحرف الكبيرة كما سبق القول .

ورغم أن النقوش الإنشائية الخمسة الباقية تشتمل على ثلاثة أسطر متوازية إلا أنها تختلف فيما بينها من حيث عدد الكلمات فى كل سطر منها من جهة وزيادة بعض ألقاب السلطان والدعاء له من جهة ثانية .

ومن ذلك سبيل بركة السلطان ـ وهو أول الأسبلة الستة إنشاءاً ـ وسبيل باب الناظر ـ وهو أخر الأسبلة الستة إنشاءاً ـ فهما يتفقان مع بعضهما من حيث محتويات النقش ومضمونة وعدد الكلمات فى كل سطر بإستثناء السطر الثالث والأخير وذلك على النحو التالى :

١ ـ أمر بإنشاء هذا (هذه فى سبيل باب الناظر) السبيل المبارك مولانا السلطان الملك الأعظم والخاقان .

٢ ـ المكرم مالك رقاب الأمم سلطان الروم والعرب والعجم السلطان سليمان .

٣ ـ ابن السلطان سليم خان خلد الله ملكه وسلطانه بتاريخ عاشر شهر محرم الحرام فى سنة (بتاريخ ثانى شهر رمضان سنة فى سبيل باب الناظر) ثلاثة وأربعين وتسعمائة [٤١] .

وإذا كان نقش سبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان يتفق مع كل من النقشين السابقين من حيث المحتوى والمضمون ، إلا أنه يختلف عنهما من حيث عدد الكلمات فى كل سطر ، فضلا عن إضافة عبارة جديدة لم ترد فى النقشين السابقين وذلك على النحو التالى :

١ ـ أمر بإنشاء هذه السبيل المبارك مولانا السلطان الملك الأعظم والخاقان المكرم مالك رقاب .

٢ ـ الأمم سلطان الروم والعرب والعجم سلطان سليمان ابن سلطان سليم خان خلد الله ملكه وسلطانه .

٣ ـ بتاريخ هجرة (كذا) النبوية فى أوائل شهر شعبان المعظم من شهور سنة ثلاثة وأربعين وتسعمائة وصلى الله على محمد وآله أجمعين [٤٢].

كذلك يتميز هذا السبيل باشتماله على لوحة رخامية أخرى صغيرة تعلو اللوحة السابقة ، وذلك أسفل الصدر المقرنص بباطن العقد ، ومقاس هذه اللوحة ٧٠ سم × ٣٠ سم تقريبًا ، وتشتمل هذه اللوحة على سطرين باللغة التركية العثمانية نصهما :

١ـ تـــ ... ف (؟) جشمسندن أبى صافى .

٢ـ أقوسون صاحب الخير دعائى [٤٣].

وترجمتهما :

١ـ فلتشرب الماء الصافى من سبيل ...

٢ـ وليدعو لصاحب الخير .

أما نقشا كل من سبيل طريق الواد وسبيل باب السلسلة ، فرغم أنهما يتفقان فى زيادة بعض ألقاب السلطان على الأسبلة السابقة ، إلا أنهما يختلفان من حيث عدد الكلمات فى كل سطر وزيادة بعض الأدعية فى أحدهما دون الآخر وذلك على النحو التالى :

١ ـ أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملك الأعظم والخاقان المكرم مالك رقاب الأمم .

٢ ـ سلطان الروم (وردت فى نهاية السطر الأول فى سبيل باب السلسلة) والعرب والعجم عز الإسلام والمسلمين ظل الله فى العالمين حامى الحرمين الشريفين السلطان .

٣ ـ سليمان ابن السلطان سليم خان (وردت عقب كلمة السلطان فى نهاية السطر الثانى فى سبيل باب السلسلة) خلد الله ملكه وسلطانه (أعقب هذا الدعاء دعاء أخر فى سبيل باب السلسلة صيغته : وأدام عدله

واحسانه) بتاريخ أول شهر رجب المرجب من شهور سنة (بتاريخ ثاني وعشرين شهر رجب المرجب من شهور سنة فى سبيل باب السلسلة ثلاثة وأربعين وتسعمائة [٤٤].

ومن الواضح أنه كان وراء إختلاف عدد الكلمات فى كل سطر وزيادة بعض الألقاب والأدعية إختلاف المقاسات بين لوحات الأسبلة الخمسة الباقية على النحو الذى ذكرناه من قبل .

أما عن أحواض الأسبلة الستة فإن اللوحات القديمة تدل على أنها كانت هى الأخرى لاتخلو من النقوش الزخرفية .

ويبلغ طول حوض سبيل طريق الواد ٢م وارتفاعه ٥٤ سم ، وكان يكسو واجهته ثلاثة أقراص بارزة ضمن اطار مستطيل كما يستدل من إحدى اللوحات القديمة (لوحة ٧) .

أما حوض سبيل باب السلسلة فيبلغ طوله ٢٫٠٢م وارتفاعه ٢٥سم [٤٥]وتكسو واجهته زخارف هندسية متكررة قوامها أشكال الدوائر والمثلثات المعدولة والمقلوبة ، ويجرى أسفلها شريط من الزخارف البارزة (لوحات ١٠ـ١٢) .

المبحث الثالث : الدراسة التحليلية :

ينبغى ، بادىء ذى بدء ، أن نشير إلى بعض الآراء التى ذكرت من قبل حول طراز عمارة الأسبلة السليمانية الستة ، ومن أهمها ما ذكره العلامة فان برشم بقوله «إن الأسبلة الستة يجمعها نظام عام واحد ينتظم عناصرها الفنية ونقوشها الزخرفية وأنه قد إستعملت فيها عناصر لاتينية أو لاتينية مقلدة مثل إطار الحنية والأعمدة وتيجانها والحلية المستديرة على قمة العقد وبعض النقوش التى تشبه باب كنيسة من القرن ١٢م وربما الكورنيش العلوى ، ولكن الخطة العامة للسبل الستة هى من سمات الفن المملوكى فى مصر وسوريا» [٤٦].

كذلك إنتهت مريم ايالون من دراستها الى القول بأن هذه الأسبلة تجمع بين التقاليد المعمارية المملوكية من جهة ، والتقاليد الصليبية المبكرة من جهة ثانية ، وهو الأمر الذى لانجده بنفس الطريقة وبذات الدرجة من الوضوح فى كل من تركيا ومصر أو سوريا ، ومن ثم فإن هذه الأسبلة تمثل فصلاً من الفصول المحلية الممتعة فى العمارة الإسلامية ، وهى تبرز فى الوقت نفسه مظهراً معروفاً على نطاق محدود للتأثير المملوكي على العمارة العثمانية فى القدس فى عهد السلطان سليمان القانونى(٤٧).

وقد فات على الباحثة ما ترتب على الوجود العثماني فى الأقطار العربية منذ سنة ٩١٦هـ / ١٥٢٢م من نتائج خاصة فى مجال العمارة والفنون ، فإنه على الرغم من أن سياسة الدولة العثمانية ، وهى الخاصة بإبقاء الأوضاع على ما هى عليه ، قد ساهمت ، هى وعوامل أخرى عديدة ، فى إحتفاظ كل قطر من الأقطار العربية بطرازه المحلى الموروث وإستمراره خلال ذلك العصر ، إلا أن ذلك لم يحل دون تسرب الطراز العثمانى الى تلك الأقطار من جهة وتبادل التأثيرات المعمارية والفنية بينه وبين الطرز المحلية من جهة ثانية .

وتعكس العمائر الباقية فى الأقطار العربية هذه النظرة بحق ، وهو الأمر الذي سبق أن أبرزناه فى العديد من دراساتنا المنشورة ؛ وبالتالي فإن الأسبلة السليمانية لم تخرج عن هذا الإطار ، أو فلنقل أنها لم تكن إستثناءاً لتلك القاعدة ، ومن ثم فهي تعد نموذجا يضيف قرينة جديدة تسهم فى زيادة تأكيد هذه النظرة .

أما بقية الآراء الأخرى فهى أراء وصفية تشبيهية أكثر منها تحليلية ومنها ما ذكره العسلى بقوله «ومن حيث طراز البناء تشبه سبل السلطان سليمان البوابة التى يعلوها قوس مزخرف وفى أسفلها حوض للماء» (٤٨).

أما ارمسترونج فقد إكتفت بقولها أنها مجرد ست نافورات جميلة (٤٩).

والحق أن الأسبلة السليمانية الستة قد صممت كلها وفق الطراز المعروف فى العمارة الإسلامية بإسم طراز الچشمة (٥٠)، وترجع النماذج الباقية المعروفة

حتى الآن إلى عصر سلاجقة الروم فى الأناضول (أسيا الصغرى) ، وهى تبنى إما مستقلة فى الشوارع وعند مفارق الطرق أو ملحقة بالعمائر المختلفة ، وبصفة خاصة المساجد والمدارس أو المجمعات المعمارية (الكليات) فى العديد من المدن[٥١] . ويضم مجمع صاحب عطا فى قونية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م أقدم أنموذج باق معروف حتى الآن لذلك الطراز من الچشمات الملحقة ، حيث توجد بالواجهة الرئيسة چشمتان ، وذلك على جانبى مدخل المجمع ، بواقع چشمه عن يمينه ومثلها عن يساره (لوحتا ٢٢ ـ ٢٣) . وتتضمن الچشمة اليسرى ـ أى على يمين الواقف تجاه المدخل ـ توقيع المهندس (لوحة ٢٣) داخل جامتين صغيرتين مستديرتين بكل من كوشتى الطاقية المقرنصة للحنية أو الدخلة بصيغة «عمل كالوك بن عبدالله»[٥٢] .

ومن النماذج التالية تلك الچشمة الملحقة بالواجهة الرئيسية لكوك مدرسة (المدرسة الزرقاء) فى سيواس ٦٧٠هـ / ١٢٧١م وذلك عن يمين المدخل ـ أى على يسار الواقف تجاهه [٥٣](لوحتا ٢٤ـ ٢٥) .

وعند تحليلنا لطراز عمارة تلك الچشمات الثلاث نجد أنها قد صممت وفق النمط البسيط وهو يتكون فى جوهره من حنية أو دخلة عميقة إلى حد ما ، ويتوج هذه الدخلة أو تلك الحنية إما طاقية مقرنصة ترتكز على عمودين مدمجين قصيرين يحصران فيما بينهما عقداً ممتداً كما هو الحال فى چشمتى مجمع صاحب عطا أو عقد ثلاثى الفصوص (عقد مدائنى) كما هو الحال فى چشمة كوك مدرسة (لوحات ٢٢ ـ ٢٥) .

هذا وتشترك الچشمات الثلاث السابقة فى إشتمال كل منها على حوض بأرضية الدخلة أو الحنية وتنساب اليه المياه من خلال صنابير أو بزابيز يصل عددها إلى ثلاثة فى چشمة كوك مدرسة (لوحتا ٢٤ ـ ٢٥) .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن المياه كانت تصل إلى هذه الصنابير أو البزابيز من خلال خزان كبير يقع خلف الچشمة وكان الاهالى يأتون ليتزودوا بإحتياجاتهم من المياه فى قلل وأباريق وبراميل وغير ذلك[٥٤] .

ومن الملاحظ فى چشمتى مجمع صاحب عطا أنه يحدد هيئة حوضيهما والصنابير أو البزابيز المثبتة فوق منتصف كل حوض منها العقد المدبب الممتد السابق الإشارة إليه ، وهى سمة تكررت بأشكال مختلفة فيما بعد .

كذلك لم تخل تلك الچشمات الثلاث من النقوش الكتابية والزخرفية المتنوعة، وتلك السمة صارت هى الأخرى تقليداً متبعاً فى الچشمات اللاحقة كما سنشير فيما بعد.

وظل ذلك النمط البسيط من الچشمات يواصل إستمراره وتطوره خلال عصرى البكوات والعثمانيين ، وخلال العصر الآخير ـ أى العثمانى ـ بصفة خاصة إنتشرت انتشاراً كبيرا فى العديد من المدن الأناضولية والأوربية على السواء(٥٥).

ويكفى للدلالة على ذلك أن نشير إلى أنه كان يوجد فى مدينة استانبول وحدها حتى وقت قريب نحو ٨٠٠ چشمة ، ولكن أكثرها تهدم لسبب أو لأخر ، وبعضها نقل إلى موضع آخر (٥٦).

ومن ناحية أخرى فإن سجل الأراضى (الطابو) فى عهد السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ ـ ١٠٤٩هـ / ١٦٢٣ ـ ١٦٤٠م) يشير إلى أنه كان يوجد نحو ١٠٣٩٠ سبيلاً تقوم بوظيفتها على خير وجه (٥٧).

وعلى الرغم من أن غالبية الچشمات الباقية قد صممت وفق النمط التقليدى الموروث عن الچشمات السلجوقية ، مستقلة كانت أو ملحقة بغيرها من العمائر ، إلا أنه يمكن ملاحظة الكثير من سمات التجديد والتطوير ، بل والابتكار أحيانا سواء من حيث التخطيط أو من حيث المفردات والعناصر والحليات المعمارية أو النقوش الكتابية والزخرفية .

وليس هذا بالأمر الغريب لأن ذلك يعد تطوراً طبيعيا ومنطقيًا فى ذات الوقت ، نظراً لما تعرضت له غالبية وحدات ومفردات وعناصر العمارة الإسلامية بعد عصر السلاجقة من مراحل التجديد والتطوير والابتكار ، وبالتالى فإنه من

الصعوبة بمكان أن نغفل ذلك عند دراستنا للچشمات الباقية سواء من عصر البكوات أو من العصر العثمانى .

ومن هذه السمات تعدد أنواع العقود وتنوع شكل الأحواض وهيئة الصنابير أو البزابيز التى صارت وكأنها فسقية صغيرة مثبتة فوق منتصف الحوض ، ومنها أيضا الحليات المختلفة كالرفارف والكرانيش والكرندازات والجفوت فضلا عن النقوش الكتابية والزخرفية المتنوعة وغير ذلك .

ومن بين تلك النماذج الباقية حسبنا أن نشير إلى كل من چشمة Serefsirin وچشمة بابا سلطان أواخر ق ٨هـ / ١٤م أو أوائل ق ٩ هـ / ١٥م فى قونية (لوحتا ٢٦ ـ٢٧) وچشمة حاجى بيرام فى انقرة ق ٩ هـ / ١٥م وچشمة الجامع الأخضر فى بورصة (أو بروسه) ق ٩ هـ / ١٥م [٥٨] (شكلا ٧ ـ٨) ، وچشمة داود باشا فى استانبول ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م [٥٩]. ومنها چشمة Horoz Pinari ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م وچشمة Tokmak ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م فى مرزيفون [٦٠] (لوحتا ٢٨ ـ ٢٩) .

ومنها چشمة ملحقة بواجهة أحد المبانى فى مدينة ليماسول القبرصية مؤرخة بعام ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م إلا أنها تعرضت لبعض معالم التغيير (لوحة ٣٠) ، ومنها چشمة مؤرخة بعام ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م وهى ملحقة بكوچك مدرسة فى مدينة نيقوسيا القبرصية [٦١](لوحة ٣١) .

ومنها چشمة Mutevelli ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م فى مدينة قيصرية وهى من الچشمات المستقلة ذات الطابع الخاص [٦٢](شكل ٩) .

ومنها چشمة نشر Pasic صورة لها فى كتابة دون أن يحدد اسمها أو اسم المدينة التى توجد فيها أو حتى تاريخها [٦٣]. ومنها كل من : چشمة حاجى أحمد أفندى ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م وچشمة الميدان ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م وچشمة اسما خاتون ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م وچشمة على صائب باشا ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م وچشمة صالح أغا ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م فى طلاس جنوب قيصرية بالأناضول[٦٤] (أشكال ١٠ـ ١٣ ، لوحات ٣٢ ـ ٣٦) .

ومنها كل من : چشمة لمبهار خاتون ق ١١ هـ / ١٧م وچشمة قره مصطفى باشا ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م وچشمة سنان أغا ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م وچشمة حسين باشا ١١١٦هـ / ١٧٠٤م فى ادرنة[٦٥] (أشكال ١٤ ـ ١٧ ، لوحتا ٣٧ ـ ٣٨) .

ولم يتبق من الچشمات العديدة التى كانت منتشرة فى مدينة بريزرن (Prizren) سوى النقوش الإنشائية لثلاث جشمات وهى : چشمة عيسى دده ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م وچشمة امين باشا ١٢٣٢هـ/١٨١٦م وچشمة داود أفندى ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م[٦٦].

ومن الچشمات المتميزة تلك التى يعيد تخطيطها إلى أذهاننا طراز القباب الجنائزية المبكرة ذات الجوانب الأربعة المفتوحة[٦٧] ومن نماذجها الباقية حسبنا أن نشير إلى كل من : چشمة الميدان ٩٨١هـ / ١٥٧٣م وچشمة Yazici ١١٢٩هـ / ١٧١٦م فى مدينة قيصرية[٦٨] (شكلا ١٨ - ١٩) ، وتقوم القباب التى تغطى كل من هاتين الچشمتين على منطقة انتقال من المثلثات الكروية ، بواقع مثلث بكل ركن من الأركان الأربعة .

أما چشمة غازى باشا فى مدينة ليماسول القبرصيةق ١٣ هـ / ١٩م فهى الأخرى تعيد إلى أذهاننا طراز التربة المفتوحة ولكن على نطاق أصغر[٦٩] (لوحة ٣٩) .

ونضيف إلى ما سبق بعض الچشمات المستقلة المركبة ويقصد بها تلك التى تشتمل على عدد من الحنايا أو الدخلات التى تحوى بأرضية كل منها حوضا ينساب اليه الماء من خلال تلك الصنابير أو البزابيز المثبتة فوق منتصف الحوض .

ومن أمثلتها چشمة inaykoyu التى تؤرخ بأواخر ق ٨ هـ / ١٤م أو أوائل ق ٩ هـ / ١٥م[٧٠] (شكل ٢٠) وتشتمل على ثلاث حنايا أو دخلات تتوجها ثلاثة عقود متنوعة ما بين العقود نصف الدائرية والعقود المتعددة الفصوص ، وبأرضية كل حنية أو دخله حوض الماء ، أما عن سقف الچشمة فهو من نوع الأسقف الجمالونية التى إنتشرت كثيراً فى العمارة الإسلامية خلال العصر العثمانى ولاسيما فى الأناضول والبلقان .

ولم تلبث أن تطورت عمارة الچشمات تطوراً كبيراً خلال القرنين ١٢ـ ١٣هـ/ ١٨ ـ ١٩م ـ أى منذ بداية عصر اللاله (١١١٥ ـ ١١٤٣هـ / ١٧٠٣ـ ١٧٣٠م) وما تلاه ـ بل واستمر ذلك خلال الربع الأول من القرن ١٤هـ / ٢٠م، ومن أبرز سمات ذلك التطور أن غالبية تلك الچشمات تعكس الاستجابة الكاملة لطراز الباروك والروكوكو ، وبالتالى أصبحت تلك الچشمات ، بما شحنت به من شتى أنواع النقوش الكتابية والزخرفية والحليات المتعددة ، قطعا فنية بكل ما تحملة هذه الكلمة من معنى .

ومن بين نماذج الچشمات المستقلة فى تلك الفترة ، حسبنا إن نشير إلى كل من : چشمة إسماعيل أغا ١١٤٤هـ / ١٧٣١م وچشمة Keman Kas ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م وچشمة بركة زاده ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م وچشمة حسين باشا ١١٥٤هـ / ١٧٦٨م فى مدينة استانبول [٧١]. (أشكال ٢١ـ٢٣ ، لوحتا ٤٠ـ٤١) .

ومن أبدع وأروع تلك النماذج چشمة السلطان عبدالحميد (حميدية چشمة سى) بيلديزسراى [٧٢](لوحة ٤٢) .

كذلك لاتفوتنا الإشارة إلى ذلك الطراز المبتكر الذى جمع فيه المعمار بين طراز السبيل التركى التقليدى الذى ترجع أقدم نماذجه الباقية إلى أواخر ق ١٠هـ/ ١٦م وبين طراز السبيل الچشمة فى مبنى واحد ، وذلك خلال عصر اللاله وما تلاه أيضا ومن أمثلته ، بل ومن أروع وأبدع النماذج الباقية كافة سبيل وچشمة السلطان أحمد الثالث فى الميدان الواقع أمام باب همايون بطوب قابى سراى باستانبول [٧٣] ١١٤١هـ / ١٧٢٨م (لوحتا ٤٣ـ٤٤) ، وهو عبارة عن مساحة مربعة وضعت فى أركانها أربعة أسبلة ذات واجهة مقوسة أو نصف دائرية بواقع سبيل فى كل ركن فتحت به ثلاثة شبابيك ويتوج كل سبيل قبة صغيرة تظهر رقبتها القصيرة وخوذتها المضلعة وكأنها خارجة من الرفرف الخشبى الذى يتوج واجهات السبيل ومثلها فى ذلك القبة الكبيرة التى تتوسط قباب الأسبلة الأربعة ، مع أن الرفرف هو الذى أحاط تلك القباب الخمس إحاطة السوار بالمعصم ولذلك اكتسبت القباب ذلك الشكل المميز ،

واكتسب الرفرف كذلك شكله على هيئة هرم ناقص وعلى ذلك أصبح لدينا أربعة أسبلة فى الأركان مزودة بـ ١٢ شباكا ، ويتوسط كل ضلع من الأضلاع الأربعة فيما بين الأسبلة أربع چشمات ، بواقع چشمة بكل ضلع ، عبارة عن دخلات معقودة بعقود مدببة تشغلها من أسفل أربعة صنابير ، بواقع صنبور بكل چشمة ، ويوجد أسفل كل صنبور حوض رخامى أبيض ، ويكتنف هذه الچشمات من جانبيها ثمان حنايا محرابية مقرنصة طواقيها ، بواقع حنيتان على جانبى كل چشمة . وعلى ذلك فإنه بفضل هذا الابتكار صار لدينا أربعة أسبلة ذو ١٢ شباكا وأربع چشمات فى مبنى واحد وهو ما لم يحدث من قبل. أما عن الزخارف فتعد هى الأخرى مثالا راقيا للفن والإبداع وتستوى فى ذلك النقوش الزخرفية والكتابية على السواء ، وهى تجمع أساليب مختلفة ما بين الحفر والتذهيب والتلبيس والصب والتكسية الخزفية وقد نفذت تلك النقوش وفق طراز الباروك الممزوج بالطراز المحلى .

ومن الأسبلة التالية التى صممت وفق ذلك الطراز الجديد كل من سبيل وچشمة السلطان محمد الرابع فى باب العزب (Azapkapi) ١١٤٤هـ / ١٧٣١م ، وسبيل وچشمة قوچة يوسف باشا ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م وسبيل وچشمة مهرشاه سلطان ١٢١١هـ / ١٧٩٦م وسبيل وچشمة إبراهيم باشا وغير ذلك [٧٤].

وبعد أن أبرزنا نشأة طراز السبيل الچشمة فى الأناضول منذ عصر سلاجقة الروم، ثم تتبعنا إستمراره وتطوره وإنتشاره ، ولاسيما خلال العصر العثمانى سواء فى الأناضول أو فى أوروبا العثمانية ، ولذلك كان لابد أن يثور تساؤل مهم للغاية وهو هل عرف طراز السبيل الچشمة فى الأقطار العربية قبل العصر العثمانى ؟

ونستطيع القول فى ضوء ما ورد فى وثائق الوقف ، فضلا عن الأدلة الآثارية الباقية ، أن هذا الطراز قد عرف فى الأقطار العربية قبل العصر العثمانى وترجع أقدم نماذجه الباقية فى الشام ومصر والمعروفة ، حتى الآن ، إلى العصر المملوكى .

وقد أطلق على هذا الطراز بضعة مصطلحات عربية كما يستدل من وثائق الوقف والنقوش الإنشائية ومنها الحوض أو حوض السبيل أو السبيل .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن تلك المصطلحات العربية الثلاثة قد ظلت تطلق على نماذج ذلك الطراز أيضا خلال العصر العثمانى ، وهو الأمر الذى إن دل على شىء فإنما يدل على الجذور العميقة لذلك الطراز فى الأقطار العربية ومن هذه الأدلة الآثارية بقيت بضعة نماذج فى بلاد الشام ومنها سبيل الأمير طشتمر ضمن مجمعه بالقدس الشريف ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م وهو عبارة عن حنية أو دخلة تتوجها طاقية محارية الشكل ، وعلى ارتفاع ٥٩سم يوجد حوض صغير يرفع إليه الماء من البئر المحفور فى باطن الأرض ، والذى كانت تخزن فيه مياه الأمطار [٧٥].

ويعزز هذا الدليل المادى دليل آخر مستمد من وثيقة وقف الأمير تنكز بالقدس الشريف أيضا التى يرجع تاريخها إلى عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م ـ أى قبل سبيل طشتمر بما يزيد عن نصف القرن ـ ورد فيها النص التالى «... حوض السبيل الذى أنشأه الواقف ... وجعله مسبلا لجميع خلق الله تعالى» وتضيف الوثيقة فتبين أن حوض السبيل هذا كان يستمد مياهه من الماء الواصل إليه من فائض بركة قناة العروب، وهو الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على وجود بركة تتجمع فيها مياه قناة العروب ، وربما كانت هذه البركة فى موضع قريب من باب السلسلة ثم تتوزع منها إلى جهات مختلفة عبر قنوات ممتدة تحت الأرض ، ومنها تلك القناة التى كان يتوصل منها الماء إلى حوض سبيل الأمير تنكز [٧٦].

ومن الأدلة الآثارية أيضا السبيل المعروف بسبيل الخزنة بدمشق ويرجع تاريخ تجديده ، كما يستدل من النقش الإنشائى المثبت بصدر السبيل ، إلى عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م [٧٧]، والفرق الوحيد بينه وبين نماذج طراز السبيل الجشمة التى صممت وفق النمط التقليدى البسيط ينحصر فى عدم إشتماله على البزابيز أو الصنابير كما هو الحال فى الجشمات السابق الإشارة إليها ، فضلا عن بعض السمات الخاصة التى ينفرد بها ومنها ذلك الطراز من العقود المعروف بـ «العقد ذو الوسائد أو المخدات المتلاصقة» (Cushion voussoirs) [٧٨]. ومنها

حوض العبيسى ٨٧١هـ / ١٤٦٦م بحماه ، ويتضمن نقشه الإنشائى المثبت بصدر الحنية أو الدخلة أسفل العقد المتوج لها الصيغة التالية «أنشأ هذا الحوض المبارك العبد الفقير الراجى / عفو ربه القدير الحاج أقوش ابن أحمد / العبيسى فى سنة إحدى وسبعين وثمانمائه» [٧٩].

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن مدينة حماه كانت تحوى ، كما يستدل من سجلات المحكمة الشرعية بحماه فضلا عن النماذج الآثارية الباقية ، نحو ٢١ حوضا و ٢٦ سبيلا صممت كلها وفق ذلك الطراز الذى يخلو من البزابيز أو الصنابير تماما مثل سبيل الخزنة سواءما كان منها يرجع إلى العصر المملوكى ، وأقدمها حوض العبيسى السابق الإشارة إليه ، أو إلى العصر العثمانى ، ومن بين هذه وتلك حسبنا أن نشير إلى كل من حوض الشيخ مسعود وحوض سوق الشجرة وحوض حمام القاضى وسبيل جامع النورى وسبيل الأزهرى وسبيل العمرى وغير ذلك (لوحات ٤٥ ـ ٤٨) .

وكانت المياه تصل إلى هذه الأحواض وتلك السبل من خلال الأميات [٨٠] والنواعير (السواقى أو السوانى) التى إشتهرت بها مدينة حماه عبر تاريخها الطويل [٨١].

أما عن معرفة مصر لهذا الطراز قبل العصر العثمانى ، فإنه من المرجح أن السبيل الملحق بواجهة مدرسة قلاوون ضمن مجمعه بشارع النحاسين (شارع المعز لدين الله حاليا) والمؤرخ بعام ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م [٨٢] (لوحة ٤٩) ، كان ينتمى إلى هذا الطراز ولكنه صمم بشكل مبتكر عن النماذج المعاصرة له فى الأناضول (أسيا الصغرى) .

وينبغى أن نشير ، بادىء ذى بدء ، إلى أن هذا السبيل كان موضع نقاش بين الباحثين وبالتالى لم يحسم القول بعد حول طرازه ؛ فمنهم من يرى أنه ينتمى إلى الطراز الذى إصطلح على تسميته بطراز السبيل ذى الحجاب بل أنه يعتبر أقدم نماذجه الباقية المعروفة [٨٣]، ومنهم من يرى أنه يصعب القطع بالكيفية التى كان عليها شكل هذا السبيل من الخارج عند إنشائه ، وبالتالى

هناك إحتمال أيضا أنه كان مفتوحا بلا حجاب ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب بل شكك صاحب هذا الرأى فى أصالة وجود ذلك الطراز أساسا [٨٤](لوحة ٤٩) .

والحق أن جوهر تخطيط هذ السبيل وطريقة ايصال المياه إلى حوضه ترجح أنه كان ينتمى إلى ذلك الطراز ولكنه صمم بشكل مبتكر كما سبق القول .

وجوهر هذا التخطيط عبارة عن دخلة أو حنية مستطيلة المساحة يشغل أرضيتها حوض ، وهذا هو نفس جوهر تخطيط الچشمات المعاصرة فى الأناضول ، وينحصر الاختلاف فى عدم اشتمال سبيل القاهرة على البزابيز أو الصنابير التى تعلو صدر الحوض كما هو الحال فى الچشمات السابق الإشارة إليها ، وكانت المياه تصل إلى حوض السبيل ، كما يستدل من نتائج الحفائر الآثارية التى قام بها عبدالتواب عام ١٩٧١م ، عبر أنابيب فخارية كات تتجه إلى ايوان القبلة بالمدرسة ، وتمتد أسفل ذلك الايوان حتى تصل إلى حوض السبيل ، ومنه تؤخذ المياه من خلال الميازيب ، وكانت تلك الأنابيب الفخارية تستمد مياهها من خلال المصنع المعلق ـ أى الصهريج المرتفع ـ الذى كان يغذى مجمع قلاوون كله بالمياه ، وقد أثبتت الحفائر الآثارية وجود تلك الأنابيب الفخارية الممتدة فى اتجاه موضع ذلك المصنع المعلق أيضا[٨٥] .

أما الشكل المبتكر الذى ظهر به تصميم ذلك السبيل فيتمثل فى عدم تتويج دخلة أو حنية السبيل بعقد كما هو الحال فى الچشمات المعاصرة ، وانما إستعاض المعمار عن ذلك بإستحداث سقف مبتكر عن طريق وجود عمودين بناصيتى واجهة السبيل ، ويحمل هذا العمودان سقف السبيل ، ويمتد من هذا السقف رفرف مائل، وتتوسطه قبة على رقبة مثمنة ذات نوافذ من الجص المعشق بالزجاج ، وقد إندثرت القبة ولم يتبق سوى رقبتها المثمنة وبعض كسوتها المنفذة بالفسيفساء الخزفية[٨٦] (لوحة ٤٩) .

وعلى ذلك يمكن القول أن طراز السبيل الملحق بواجهة مدرسة قلاوون يعد من بين تأثيرات المشرق الإسلامى عامة والأناضول خاصة التى وفدت على مصر خلال عهد الناصر محمد بن قلاوون إبان فترة سلطنته الثالثة والأخيرة

(٧٠٩_٧٤١هـ / ١٣٠٩_ ١٣٤٠م) وتجلت تلك التـأثيـرات فى بعض الوحدات والعناصر والمفردات المعمارية والزخرفية(٨٧) ، ومن بينها هذا السبيل الذى تم تمصيره وبذلك إكتسب ذلك الشكل المبتكر الذى لم يتكرر فى عمارة الأسبلة القاهرية فيما بعد .

ويستدل من بعض وثائق الوقف المملوكية أنه كانت توجد أحواض ذات ميازيب يجرى منها الماء ومنها حوض الوضوء الذى أشارت اليه وثيقة السلطان قايتباى (٨٧٢ _ ٩٠١هـ / ١٤٦٧ _ ١٤٩٥م) بما نصه «... وحوض الوضوء بميازيب شكل رؤوس السباع لإجراء الماء من الحوض لمن قصد الوضوء» (٨٨). كذلك زودنا جار الله بن فهد المكى بنص على قدر كبير من الأهمية يتعلق ببناء بعض الأحواض ذات البزابيز أو الحنفيات فى الحرم المكى الشريف فى أواخر العصر المملوكى وصدر العصر العثمانى وذلك ضمن حوادث شهر محرم عام ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م حيث يذكر «... وشرع الأمير مصلح الدين الرومى فى عمل حنفية ... بجانب الحنفية العتيقة التى غيرها الأمير جانبك وهى حوض كبير من حجر الماء له بزابيز من نحاس وحجارة يجلس عليها للوضوء» (٨٩).

وإذا ما إنتقلنا إلى الغرب الإسلامى لوجدنا السقايات _ أى الأسبلة _ المغربية منذ عهد الموحدين وما تلاه قد صممت غالبيتها على هيئة حنايا أو دخلات عميقة بصدرها أقصاب يفور منها الماء إلى الحوض الذى يشغل أرضية الحنية أو الدخلة (٩٠) ورغم أن هذا التخطيط هو جوهر تخطيط السبيل الجشمة ، إلا أن السقايات المغربية قد صممت هى الأخرى بشكل مبتكر ذو طابع محلى مميز لانجد صداه سواء فى مصر أو الشام أو العراق أو أقطار المشرق الإسلامى عامة والأناضول خاصة .

مما تقدم يمكن القول أن النمط البسيط لطراز السبيل الجشمة قد عرفته الأقطار العربية فى مصر والشام والمغرب قبل العصر العثمانى ، وإن كان قد صمم فى كل قطر منها بطابع محلى خاص بل ومبتكر أحيانا كما سبق القول.

وكان من الطبيعى والمنطقى فى ذات الوقت أن يزداد الاقبال على بناء الجشمات خلال العصر العثمانى فى العديد من الأقطار العربية وهو ما يستدل

عليه من خلال كتابات الرحالة ووثائق الوقف المختلفة فضلا عن النماذج الباقية المعروفة حتى الآن مستقلة كانت أم ملحقة بغيرها من العمائر المختلفة .

وتمتاز غالبية الچشمات التى أنشئت خلال العصر العثمانى بإشتمالها على البزابيز أو الصنابير كما هو الحال فى النماذج العثمانية فى الأناضول والبلقان ومع ذلك ظلت تلك الچشمات تعرف بنفس المصطلحات العربية التى كانت معروفة ومتداولة قبل الوجود العثمانى فى الأقطار العربية فيطلق عليها تارة الحوض وتارة أخرى السبيل سواء فى الوثائق أو النقوش الإنشائية ، أما إطلاق مصطلح الچشمة على ذلك النمط من الأسبلة فى الأقطار العربية فلم يكن بالقدر المطلوب وبالتالى لم يتحقق لذلك المصطلح الذيوع والانتشار إلا فى كتابات الرحالة المسلمين من الأتراك، وحسبنا أن نشير إلى أشهرهم ذكراً ، وهو الرحالة أوليا چلبى الذى زار القدس فى الثلث الأخير من القرن ١١ هـ / ١٧م وبالتحديد عام ١٠٨٣هـ ١٦٧٢م ، ودون مشاهداته المختلفة عن المدينة إلا أن ما يعنينا منها ، فى هذا المقام، هو ما ذكره عن عدد أسبلة المدينة المصممة وفق ذلك النمط بقوله وبها ١٨ چشمة[٩١]ومن الطبيعى أن تكون الأسبلة السليمانية الست ـ موضوع البحث ـ هى من ين تلك الچشمات التى ذكرها چلبى فى رحلته .

أما ورود هذا المصطلح ـ أى چشمة ـ فى وثائق الوقف فيعد قليلا بل ونادراً وحسبنا أن نشير إلى وثيقة وقف عبدالرحمن كتخدا أمير البناء فى العصر العثمانى[٩٢] .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن الچشمات التى أنشئت خلال العصر العثمانى فى الأقطار العربية لم تكن عثمانية الطراز فحسب كما قد يتبادر إلى الذهن من أول وهلة، بل إنها إمتزجت مع تلك التقاليد المحلية الموروثة فى كل قطر من الأقطار العربية مما أضفى عليها ذلك الطابع المتميز أو على حد قول القفصى «مما جعلها مثالاً للازدواجية الفنية واللغوية»[٩٣] .

وان نظرة فاحصة لتلك النماذج التى لا تزال باقية فى بعض الأقطار العربية تكفى لتأكيد ذلك .

ومنها الأسبلة السليمانية الست ـ موضوع البحث ـ بالقدس الشريف التى تعد أقدم أنموذج باق لذلك النمط من الأسبلة العثمانية فى الأقطار العربية عامة ولذلك الطابع المتميز أو لتلك الازدواجية الفنية خاصة .

ومن أهم النماذج الباقية فى سوريا سبيل الدرويشية ضمن مجمع درويش باشا بدمشق ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م [٩٤] (لوحة ٥٠) .

ومنها فى فلسطين السبيل المعرروف بسبيل الرفاعية بمدينة غزة ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م [٩٥] (لوحة ٥١) .

ومنهـا فى تونس سبيل يوسف داى بمدينة بنزرت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م (شكل ٢٤) ، وقد تم بناوه على يد المعلم على بن ديسيم الأندلسى كما يستدل من النقش الإنشائى [٩٦] .

أما فى مصر العثمانية (٩٢٣ ـ ١٢١٣هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) فقد ظهرت الچشمات بأشكال وأنماط معمارية وأوضاع مختلفة .

وقد عرفت فى وثائق الوقف المختلفة بعدة مسميات منها «سبيل حجر مركب به مصاصة ، سبيل رخام مصاصة ، مصاصة من الحجر مركب بها بزبوزين نحاسا، حوض مبنى بالحجر به مصاصتين نحاس» [٩٧] .

ويذكر الحسينى أن السبيل المصاصة عبارة عن لوح من الحجر أو الرخام يحتوى على بزبوز أو بزبوزين من النحاس ومثبت فى الواجهة الخارجية للسبيل ، ويتصل بذلك اللوح حوض كبير بداخل حجرة التسبيل وأحيانا بخارجها ـ فى ملاحقها ـ ويتم تزويد هذا الحوض بالماء من الصهريج .

ويضيف ـ أى الحسينى ـ قائلا أن هذا التكوين لم يشاهدمن قبل فى الأسبلة المملوكية ولا فى بداية العصر العثمانى ، وأن أقدم أمثلته الباقية حتى الآن هو الحجر المصاصة بسبيل أمين أفندى ابن هيزع (أثر رقم ٢٣) ١٠٥٦هـ / ١٦٤٦م [٩٨] .

والحق أنه يمكن من خلال وثائق الوقف التى ترجع إلى بداية العصر العثمانى فى مصر أن نضيف مصطلحا جديدا يضاف إلى المصطلحات السابقة

التى إستخلصها الحسينى من خلال الوثائق التى أمكن له الاطلاع عليها وهذا المصطلح الجديد هو «مسيل حجر مبروم مرتفع» أو «مسيلان من الحجر المبروم» .

وقد ورد هذان المصطلحان بوثيقة وقف داود باشا الوالى العثمانى بمصر (٩٤٥ ـ ٩٥٦هـ / ١٥٣٨ ـ ١٥٤٩م) على عمائره ببركة الحاج المؤرخة بـ ١٧ ربيع الأول ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧م) (٩٩).

ومن أهم عمائر داود باشا ببركة الحاج ما يتعلق بالمنشآت المائية التى وقفها «سبيلا لله العظيم ابتغاء فضله العميم وطلبا لثوابه الجسيم يوم يجزى المتصدقين ولايضيع أجر المحسنين على أن ينتفع بذلك الحاضر والبادى والرايح والغادى والذاهب والعائد والصادر والوارد والغنى والفقير والجليل والحقير والقوى والضعيف والدنى والشريف على توالى الشهور والأعوام وتعاقب الليالى والأيام ...» (١٠٠).

ومن هذه المنشآت السبيل وكان يشتمل على «فسقية مربعة الأركان مرتفعة البنيان مضروبة بالخافقى لكل ركن منها درجة لطيفة ، يعلوها قبة عظيمة مبنية بالطوب الآجر مسبلة بالبياض سفلها أربعة مناور متقابلة ، وبصدر الفسقية المذكورة من الجهة القبلية مسيل حجر مبروم مرتفع متصل بقناة الغيط المذكور ـ أى غيط داود باشا ـ يصل اليه الماء من القناة المذكورة وينصب منه بالفسقية المذكورة وبجانب المسيل من جهته الشرقية والغربية حوضان لطيفان من الحجر الكدان المنحوت متصلان بالمسيل المذكور يصل اليهما الماء من القناة المذكورة كل حوض منها عليه غطا حجر برسم الشرب منهما ...» .

وتضيف الوثيقة فتذكر « ... وبحافة الفسقية والليوانين المذكور ذلك أعلاه من الجهة البحرية حوض مستطيل من أول الليوان الشرقى إلى نهاية الليوان الغربى مبنى بالحجر الأبيض مضروب بالخافقى وبصدر الحوض المذكور مسيلان من الحجر المبروم يصل إليهما الماء من الفسقية المذكورة ويصب فى الحوض المذكور...»(١٠١).

ومن هذا الوصف الوثائقى المفصّل يتضح لنا وجود نمط متميز من الأسبلة يخالف الأنماط المعروفة الباقية فى القاهرة حتى الآن سواء من العصر المملوكى

أو من العصر العثمانى بنمطية المصرى المحلى والعثمانى الوافد .

وجوهر تخطيط ذلك النمط عبارة عن فسقية مربعة تعلوها قبة عظيمة سفلها أربعة مناور متقابلة ، وبصدر تلك الفسقية مسيل حجر مبروم مرتفع يفور منه الماء إلى الفسقية ، وكان الماء يصل إليه عبر قناة غيط داود باشا المجاور للسبيل . ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل أنه كان يتصل بذلك المسيل من جهتيه الشرقية والغربية حوضان لطيفان ـ أى صغيران ـ يغطى كل حوض منهما خرزه من الحجر.

أما الحوض الكبير فكان بصدره هو الآخر مسيلان يصل اليهما الماء من فسقية السبيل ومنها ينساب إلى الحوض .

وعن شروط الواقف فقد إشترط أنه ينتفع بماء كل من الحوضين اللذين بصدر الفسقية بجوار مسيلها فى الشرب خاصة ، أما الفسقية والحوض الكبير فينتفع بالماء الواصل اليهما فى الشرب والوضوء والاغتسال وسقى الدواب والمواشى وغسل الاوانى والأثواب ونقل ذلك على الدواب والظهور وفى القرب والجرار وكيف كان[١٠٢] .

وعلى ذلك يمكن القول أن هذا السبيل يعيد إلى أذهاننا طراز التربة المفتوحة الذى إستخدم بكثرة خلال العصر العثمانى فى تصميم الترب بصفة خاصة ، ومع ذلك استخدم أحيانا فى تصميم بعض الأسبلة من طراز الچشمة ومنها چشمة غازى باشا فى مدينة ليماسول القبرصية السابق الإشارة إليها ، إلا أن سبيل داود باشا ، كما يستدل من الوصف الوثائقى السابق ، كان أعظم هيئة وأكبر تكوينا من چشمة غازى باشا المشار اليها (لوحة ٣٩) .

ونضيف على ذلك فنقول أن ما عرف بالسبيل المصاصة لم يقتصر تثبيته على الواجهة الخارجية للسبيل فحسب كما ذكر الحسينى [١٠٣]، وإنما كان يثبت أيضا بصدر حجرة السبيل بل والأحواض الكبيرة كما كان عليه الحال فى سبيل وحوض داود باشا ببركة الحاج .

أما عن نماذج السبيل المصاصة الباقية فيمكن القول أنها قد اتخذت أوضاعا وأشكالا معمارية مختلفة سواء فى أسبلة الطراز المصرى المحلى أو فى أسبلة الطراز العثمانى الوافد وهو الأمر الذى أبرزه جيداً الحسينى فى دراسته (١٠٤)، ومن هذه وتلك حسبنا أن نشير إلى كل من : سبيل ابن هيزع ١٠٥٦هـ / ١٦٤٦م وسبيل بشير أغا دار السعادة ١١٣١هـ / ١٧١٨م وسبيل الأمير عبد الله ١١٣٢ هـ / ١٧١٩م وسبيل الست صالحه ١١٥٤هـ / ١٧٤١م وسبيل عبدالرحمن كتخدا المعروف بسبيل بين القصرين ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م وسبيل محمد بك أبوالدهب ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م من أسبلة الطراز المصرى المحلى .

وكل من : سبيل السلطان محمود ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م وسبيل السلطان مصطفى ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م وسبيل رقية دودو ١١٧٤هـ / ١٧٦١م (شكل ٢٥) ، وسبيل نفيسة البيضا ١٢١١هـ / ١٧٩٦م ، وسبيل جنبلاط ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م (شكل ٢٦ ، لوحة ٥٢) من أسبلة الطراز العثمانى الوافد .

وبالإضافة إلى هذه الچشمات أو الأسبلة المصاصة التى جمع بينها المعمار وبين السبيل التقليدى بنمطية المصرى والعثمانى فى مبنى واحد عرفت أيضا الچشمات الملحقة بالعمائر الدينية ومنها الچشمة الملحقة بتكية الكلشنى بشارع تحت الربع بالقاهرة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م (١٠٥). ورغم صغر حجمها ـ تماما مثل النماذج التقليدية السابق الإشارة إليها فى الأناضول وأوروبا العثمانية ـ إلا أنها قد جمعت بين الطابعين المصرى المحلى والعثمانى فى تناسق بديع مما أكسبها ذلك المظهر الأخاذ المتميز .

الخاتمة

وبعد فإنه يتضح من خلال ما تقدم مدى أهمية دراسة موضوع «الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف» سواء من حيث أهميتها بالنسبة لمدينة القدس التى تشكو دائما قلة المياة أو من حيث طرازها المعمارى أو من حيث مفرداتها وعناصرها المعمارية ونقوشها الكتابية والزخرفية . ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب ، بل تتبعت الدراسة للمرة الأولى تحليل هذا الطراز وتأصيلة فى العمارة الإسلامية منذ عصر سلاجقة الروم بالأناضول (أسيا الصغرى) وتتبع إستمراره وإنتشاره وتطوره فى العصور اللاحقة ، ومن أهمها بطبيعة الحال العصر العثمانى الذى بقيت منه نماذج عديدة سواء فى الأناضول أو فى أوروبا العثمانية أو فى الأقطار العربية .

وأثبتت الدراسة أن طراز السبيل الچشمة قد عرف فى بعض الأقطار العربية قبل العصر العثمانى بمسميات مختلفة ومنها الحوض والسبيل فى الشام والسبيل فى مصر والسقاية فى المغرب ، وأن الاختلاف الوحيد بين النماذج التركية فى الأناضول وتلك النماذج فى الأقطار العربية ينحصر فى عدم إشتمال هذه الأخيرة على البزابيز أو الصنابير التى تعلو صدر الحوض وهى السمة المميزة التى لازمت الچشمات منذ ابتكارها وخلال مراحل تطورها ، فضلا عن بعض السمات المحلية الخاصة بكل قطر من تلك الأقطار ، والتى فرضت نفسها وطابعها على هذه الأسبلة .

كما رجّحت الدراسة أن السبيل الملحق بواجهة مدرسة قلاوون بالقاهرة ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩م (لوحة ٤٩) ينتمى إلى نفس الطراز ولكنه صمم بشكل مبتكر عن النماذج المعاصرة له فى الأناضول ، وأنه وإن كان من بين تأثيرات المشرق الإسلامى الوافدة فى ذلك الوقت ، إلا أنه قد تم تمصيره ـ مثله فى ذلك مثل العديد من الوحدات والعناصر والمفردات الوافدة وقتئذ وهو الأمر الذى يحتاج إلى دراسة مفردة مطولة ـ وبذلك إكتسب ذلك الشكل المبتكر الذى لم يتكرر فى النماذج اللاحقة .

وأثبتت الدراسة أن الچشمات التى أنشئت فى الأقطار العربية ومنها الأسبلة

السليمانية ـ موضوع البحث الرئيس ـ قد ظلت تعرف بنفس المصطلحات العربية الموروثة من العصور السابقة فى تلك الأقطار وهى الحوض والسبيل والسقاية كما سبق القول ، كما أن هذه الجشمات لم تكن عثمانية خالصة بل انها قد إمتزجت مع التقاليد المحلية الموروثة فى تلك الأقطار مما أضفى عليها ذلك الطابع المتميز أو تلك الازدواجية الفنية الملفتة للنظر .

كذلك أثبتت الدراسة أن بعض الجشمات قد صممت وفق بعض الطرز التى صممت على أساسها العمائر الجنائزية فى العمارة الإسلامية ومنها طراز القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة وطراز التربة المفتوحة وهو الأمر الذى يضيف قرينة جديدة تؤكد ما سبق أن ذكرناه فى بعض دراساتنا المنشورة (وسنفرد لهذا الموضوع دراسة مطولة لاحقة بمشيئة الله تعالى) حول مدى صلاحية التخطيط لتأدية أكثر من وظيفة بعد إضافة المفردات والوحدات والعناصر التى تساعد فى تحقيق ذلك ، والتى تختلف بطبيعة الحال من وظيفة لأخرى وبالتالى من مبنى لآخر .

وإذا كانت الدراسة قد أضافت مصطلحا جديداً عرف فى مصر منذ بداية العصر العثمانى وهو «مسيل حجر مبروم» فإنها من جهة أخرى قد أثبتت أن السبيل الجشمة أو السبيل المصاصة لم يقتصر انشاؤه على واجهات الأسبلة الخارجية فحسب بل كان يوضع فى صدور الأسبلة من الداخل أيضا ، إلا أن نماذجة قد إندثرت ، ومن جهة ثالثة فإن هذه الجشمات لم تقتصر إضافتها على الأسبلة المصرية بنمطيها المحلى والعثمانى كما هو معروف فحسب بل الحقت أيضا بالعمائر الدينية كما هو الحال فى بعض النماذج السلجوقية والعثمانية .

وتوصى الدراسة بضرورة صيانة وترميم التراث المعمارى والفنى الاسلامى فى القدس الشريف عامة والأسبلة خاصة ، وبالتالى فإنه يجب على جميع الجهات المعنية عربيا وإسلاميا بل وعالميا أن تتكاتف لتحقيق ذلك الغرض .

وختامًا ، فإنى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى هذه الدراسة وفى ابراز أهمية الموضوع وتحليله وتأصيل ذلك الطراز المتميز من الأسبلة فى العمارة الإسلامية عامة وخلال العصر العثمانى خاصة .

هوامش الفصل الأول

(١) انظر على سبيل المثال :

ابن الجوزى ، أبوالفرج ، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ، فضائل القدس ، تحقيق جبرائيل جبور ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة (١٩٨٠م) ؛ المنهاجى السيوطى، أبى عبدالله محمد بن عبدالخالق ، ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، قسمان ، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٢م) ؛ المقدسى ، شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت٧٦٥هـ / ١٣٦٣م ، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمى ، بيروت ، دار الجيل (١٩٩٤م) .

(٢) العسلى ، كامل جميل ، مخطوطات فضائل بيت المقدس ، دراسة وببليوجرافيا ، عمان ، مجمع اللغة العربية الأردنى (١٩٨١م) .

(٣) يعتبر الرحالة الفرنسى أركولف هو أول من كتب فى الشرق والغرب على السواء عن مسجد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بالقدس الشريف ، وسجل مشاهداته عنه وكان ذلك عام ٥٠هـ / ٦٧٠م .

عمران ، محمود سعيد ، كتابات الرحالة أركولف كمصدر لبلاد الشام فى عصر الراشدين ، ضمن أبحاث المؤتر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام الموسوم بـ «بلاد الشام فى صدر الإسلام» المجلد الثالث ، تحرير محمد عدنان البخيت، عمان (١٩٨٧م) ، ص ص ٣١١ ـ ٣١٢ ، ٣٢١ .

Creswell,K.A.C., A short Account of Early Muslim Architecture Revised and supplemented by Allan, J. the American University in Cairo Press, (1989), p. 8.

(٤) انظر على سبيل المثال وليس الحصر ،

العابدى ، محمود ، قدسنا ، معهد البحث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (١٩٧٢م) ، ص ص ٢١٧ ـ ٢٤٤ ؛ الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ، عمان (١٩٧٣م) ، ص ص ١٢٣ ـ ١٣٤ ؛ ماجواير ، كيت ، تهويد القدس : الخطوات الإسرائيلية للأستيلاء على القدس، بيروت ، دار الآفاق الجديدة (١٩٨١م) . (٧٢صفحة) ؛ أبو حمده، محمد على ، المسجد الأقصى المبارك وما يتهدده من حفريات اليهود ، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة (١٩٨٢م) (٩١صفحة)؛ شراب، محمد محمد حسن، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، دراسة تاريخية موثقة، دمشق ، دار القلم ، بيروت ، الدار الشامية، (١٩٩٤م) ، ص ص ٤٩١ ـ ٤٩٨ ؛ طربين، أحمد ، مواقف الشرعية الدولية من مساعى تهويد القدس ومقدساتها الإسلامية ١٨٣٩ـ ١٩٩٠م، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، العدد ١١ ، الإمارات العربية المتحدة (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ،ص ص ١٠٣ـ ١٤٢؛ فتوح ، سليمان محيى الدين ، وآخرين ، اليهود والقدس ، دراسة تاريخية للادعاءات الصهيونية وممارستها فى المدينة ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (١٩٩٧م)، (١٧٨صفحة) ؛ عبدالكريم ، إبراهيم ، تهويد الحرم القدسى ، مجلة شؤون عربية ، العدد ٩٦، (رمضان ١٤١٩هـ / ديسمبر ١٩٩٨م) ، ص ص ١٢٣ ـ ١٤٩.

(٥) نجم، رائف يوسف ، وآخرين ، كنوز القدس ، عمان ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ؛ نجم ، الحفاظ على التراث المعمارى الإسلامى فى القدس الشريف رغم الاحتلال الإسرائيلى ، ضمن كتاب الحفاظ على التراث المعمارى الإسلامى ، الرياض ، المعهد العربى لإنماء المدن، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م) ، ص ص ٤٩١ ،٥٠٣ ـ ٥٠٨ ؛ الحداد ، محمد حمزة ، القدس وأندر الآثار الإسلامية ، مجلة الهلال ، القاهرة ، عدد فبراير (١٩٩٦م)، ص ص ١٠١ ـ ١٠٧ .

(٦) إبراهيم ، عبداللطيف ، وثيقة السلطان قايتباى «دراسة وتحليل» المدرسة بالقدس والجامع بغزة ، ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (١٩٧٩م) ، ص ص ٤٩٧ ـ ٥٢٨ ؛ الإمام الحسينى، الشيخ محمد أسعد ، المنهل الصافى فى الوقف وأحكامه والوثائق التاريخية للأراضي والحقوق الوقفية الإسلامية فى فلسطين وخارجها، القدس، وكالة أبوعرفه للصحافة والنشر (١٩٨٢م) ص ص ٦٩ ـ ١٧٣؛ البخيت ، محمد عدنان ، وآخرين ، القدس الشريف : وثائقها وسجلاتها ومخطوطاتها المصورة فى مركز الوثائق والمخطوطات فى الجامعة الأردنية ٩٣٦ ـ ١٤٠٤هـ/ ١٥٢٩ ـ ١٩٨٤م، عمان ، الجامعة الأردنية ، مركز الوثائق والمخطوطات (١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ؛ غير أن ما يعنينا من هذه الوثائق والسجلات تلك التى ترجع إلى العصر العثمانى ؛ ومن بين الدراسات التى عولت على تلك الوثائق والسجلات حسبنا أن نشير إلى بعض ما نشر خلال العقدين الاخيرين من القرن العشرين المنصرم وهى :

التازى ، عبدالهادى ، أوقاف المغاربة فى القدس ، وثيقة تاريخية سياسية قانونية، المغرب ، المحمدية ، مطبعة فضاله (١٩٨١م) ، ص ص ١٤ ـ ٦٠؛ غوانمه ، يوسف درويش ، تاريخ نيابة بيت المقدس فى العصر المملوكى ، عمان (١٩٨٢م) ، ص ص ١٠٧ ـ ١١١ ، ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧٦ ؛ صالحية ، محمد عيسى ، من وثائق الحرم القدسى الشريف المملوكية ، حوليات كلية الآداب ـ الحولية السادسة ، الرسالة ٢٦ ، مجلس النشر العلمى بجامعة الكويت (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ؛ على ، على السيد ، وثائق الحرم القدسى الشريف مصدر لدراسة بعض جوانب التاريخ الاجتماعى للقدس فى العهدين الأيوبى والمملوكى ، مجلة الدرعية، السنة ٢ ، العددان ٦ ـ٧ ، الرياض (ربيع الآخر ـ رجب ١٤٢٠هـ / أغسطس ـ نوفمبر ١٩٩٩م) ، ص ص ٣٤٣ ـ ٣٩٨. كذلك لاتفوتنا الإشارة إلى كتاب «هايد» وهو من أهم الدراسات الأجنبية حول ذات الموضوع ، ولاغنى لأى باحث من الرجوع إليه .

Heyd, U., Ottoman documents on Palestine 1552-1615), London (1960).

(٧) العابدى ، أجانب فى بلادنا ، عمان (١٩٧٤م) ؛ موسى ، سليمان ، رحلات فى الأردن وفلسطين ، ترجمات ودراسات ، عمان ، دار ابن رشد (١٩٨٤م)؛ العسلى ، بيت المقدس فى كتب الرحلات ، عمان (١٩٩٢م)؛ عباس ، إحسان ، فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية فى فلسطين ، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (١٩٩٣م)؛ الصباغ ، ليلى ، فلسطين فى مذكرات الفارس دارفيو ، بيروت ، مؤسسة المصادر (١٩٩٦م)؛ النتشه، رفيق شاكر ، القدس الإسلامية ، الرياض ، دار ثقيف (١٩٩٦م) ، ص ص ١٨٤ ـ ٢٠٠ (وفيها حصر بأسماء عدد من الرحالة المسلمين والأجانب الذين دونو مشاهداتهم عن القدس) .

(٨) عن لفظة السبيل واشتقاقها ومدلولها انظر : العسلى، من آثارنا فى بيت المقدس، عمان (١٩٨٢م) ، ص ص ٢١٨ ـ ٢١٩؛ غالب ، عبدالرحيم ، موسوعة العمارة الإسلامية ، بيروت (١٩٨٨م) ، ص ص ٢١٨ ـ ٢١٩؛ الباشا ؛ حسن ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية (١٩٩٠م) ، ص ١٦٣؛ أمين ، محمد ، إبراهيم ، ليلى على ، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة (١٩٩٠م) ، ص ٦٢؛ ابراهيم ، محمود ، دراسة أثرية للأسبلة اليمنية ، مجلة التاريخ والمستقبل ، المجلد الثانى ، العدد الأول ، قسم التاريخ بآداب المنيا (١٩٩٢م) ، ص ٢١٣؛ رزق ، عاصم محمد ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولى (٢٠٠٠م)، ص ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٩) من ين العمائر الخيرية الأخرى حوض السبيل ومكتب السبيل وخان السبيل وقناة السبيل والمطاعم الخيرية (عمارت) وغير ذلك ، وهو ما أفردنا له دراسة مطولة فى طريقها للنشر بمشيئة الله تعالى .

(١٠) يرجع أقدم ورود للفظة سبيل فى النقوش الإنشائية المسجلة على العمائر الإسلامية ، والمعروفة حتى الآن ، إلى أواخر القرن ٥ هـ / ١١م وبالتحديد عام ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م .

نويصر ، حسنى محمد ، مجموعة سبل السلطان قايتباى بالقاهرة ، رسالة ماجستير، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٧٠م) ، ص ٤ ؛ دراسة لأجزاء هامة من بقايا مدرسة السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى بالقاهرة ، مجلة كلية الآثار، العدد ٤ ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، (١٩٩٠م)، ص ١ ، ١٤ حاشية ٢ .

(١١) التلمسانى ، محمد ابن مرزوق ، ت ٧٨١هـ / ١٣٧٩م، المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا ابى الحسن ، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بو عياد ، الجزائر (١٩٨١م) ص ٤١٧؛ الوزان الفاسى، الحسن بن محمد المعروف بليون الافريقى ، ت بعد ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م ، وصف افريقيا ، جـ١ ، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ط ٢ ، (١٩٨٣م) ، ص ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ؛ المنونى ، محمد ، دور الأوقاف المغربية فى التكامل الاجتماعى عبر عصر بنى مرين ، ضمن أبحاث ندوة مؤسسة الأوقاف فى العالم العربى الإسلامى ، بغداد (١٩٨٣م) ، ص ص ٢١٩ ـ ٢٢١ ؛ الكحلاوى ، محمد محمد ، القيم الدينية وأثرها فى تخطيط عمارة المساجد ، مجلة دراسات فى علم الآثار والتراث، العدد الأول ، الرياض ، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية بجامعة الملك سعود ، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ص ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ؛ السقايات المغربية بمدينتى فاس ومراكش ، دراسة أثرية مقارنة مع الأسبلة المملوكية بالقاهرة ، مجلة كلية الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادى ، العدد الرابع (١٩٩٥م)، ص٣١٧ ـ ٣٥٥ ؛ مراد ، حسين سيد عبد الله ، الأوقاف مصدراً لدراسة مجتمع فاس فى العصر المرينى ، القاهرة ، (٢٠٠٢م) ، ص ١٣٥ ـ ١٣٧ .

(١٢) مبارك ، على باشا ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، جـ ٦ ، ط ٢ (عن ط . بولاق ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧ م)، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٧م) ص ١٦٦.

(١٣) خضر ، عبدالعليم عبدالرحمن ، التطور العمرانى لمدينة القدس «دراسة فى جغرافية المدن ، مطابع سحر ، عكاظ للنشر والتوزيع ، (١٩٨١م) ، ص ص ٩٣ ـ ٩٥ ؛ هيئة الموسوعة الفلسطينية ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم العام، المجلد الثالث ، دمشق (١٩٨٤م) ، مادة القدس (مدينة) ، ص ٥١٦ ؛ الفرحان ، يحيى ، القدس ، ضمن موسوعة المدن الفلسطينية، دائرة الثقافة ، منظمة التحرير الفلسطينية ، دمشق (١٩٩٠م) ، ص ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧ ، ٥٩٩ ؛ عبدالسلام ، عادل ، المياه فى فلسطين ، ضمن أبحاث الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثانى (الدراسات الخاصة) ، المجلد الأول (الدراسات الجغرافية) ، هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق ، بيروت (١٩٩٠م) ، ص ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ، ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(١٤) عن بعض هذه الإشارات انظر :

على ، وثائق الحرم القدسى الشريف ، ص ٣٩٤؛ القدس فى العصر المملوكى القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، (١٩٨٦م) ، ص ٢٤١ ، عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، بعض أضواء جديدة على مدينة القدس فى عصر سلاطين المماليك ، ضمن أعمال المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» ، المجلد الأول ، القدس ، عمان (١٩٨٣م) ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ؛ (وقد أعيد نشر هذا البحث تحت عنوان «مدينة القدس فى عصر سلاطين المماليك»، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ الإسلام وحضارته لنفس المؤلف ، القاهرة ، عالم الكتب (١٩٨٧م) ، ص ص (٥٢٠ ـ ٥٢١) .

(١٥) الحنبلى ، أبو اليمن القاضى مجير الدين ، ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ ٢ ، عمان ، مكتبة المحتسب (١٩٧٣م)، ص ص ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ ؛

العسلى ، من آثارنا فى بيت المقدس ، ص ص ٢٢١ ـ ٢٥٥ ؛ على ، وثائق الحرم القدسى، ص ٣٩٥ ؛ القدس ، ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٤ ؛ عاشور ، بعض أضواء ، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٦ ، مدينة القدس ، ص ص ٥٢١ ـ ٥٢٢ ؛ أبو عليه ، عبدالفتاح ، وآخرين ، تاريخ مدينة القدس ، عمان (١٩٨٤م) ، ص ص ٦٣ ، ٦٥ ـ ٦٦ ، الخطيب ، روحى ، المماليك فى القدس حمايتهم ورعايتهم لها وحضارتهم فيه ، مجلة القدس الشريف، العدد ٨ ، (ربيع أول ١٤٠٦هـ / تشرين الثانى ١٩٨٥م) ، ص ص ٧٩ ـ ٨٠ ؛ زكار ، سهيل ، فلسطين فى عهد المماليك ، ضمن الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثانى (الدراسات الخاصة) المجلد الثانى، الدراسات التاريخية (١٩٩٠م) ، ص ص ٦٠١ ـ ٦٠٣ ؛ العارف، عارف باشا ، تاريخ القدس ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٣ ، (١٩٩٩م) ، ص ص ١٧٧ ـ ١٧٩ ؛ ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام ، أن سبيل السطان قايتباى ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م يعد من أشهر أسبلة القدس الباقية وأروعها ، ولذلك حظى بالعديد من الدراسات ، إلا أن أهمها هى دراسة كل من :

Kessler, C., The Fountain of sultan Qaytbay in the sacred precinct of Jerusalem in : Archaeology in the levant - Essays for kathleen kenyon, ed. Moorey and P. Parr, Aris and Philipltd, warminster, England, 1978, pp. 251-268.

نجيب ، محمد مصطفى ، دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال المندثر والسبيل الحالى للسلطان قايتباى بالحرم الشريف بالقدس ، القاهرة ، مطبعة حسان، (١٩٩٨م) ص ص ٧ ـ ٤٥ ؛ هذا وقد إعتمد العسلى على دراسة «كسلر» إعتماداً كلياً فى كتابه : من آثارنا المشار إليه سابقا (ص ص ٢٤٨ ـ ٢٥١) ، ومن الواضح أنه لم يطلع على دراسة نجيب القيمة عن ذات الموضوع .

(١٦) الحنبلى ، الانس الجليل ، جـ ٢ ، ص ٩٤ .

(١٧) العسلى ، من آثارنا فى بيت المقدس ، ص ١٥١ ؛ ارمسترونج ، كارين ، القدس : مدينة واحدة عقائد ثلاث ، ترجمة فاطمة نصر ، محمد عنانى (والأصل الانجليزى صدر فى نيويورك عام ١٩٩٦م) ، (١٩٩٨م) ، ص ٥٢٦ ؛ ومما له دلالته فى هذا الصدد أن العناية بالمنشآت المائية وصيانتها وتعميرها ووقف الأوقاف الكثيرة المغلة عليها ، قد إستمرت طيلة العصر العثمانى ، مع الاهتمام أيضا بعمارة أسبلة جديدة كما يستدل من المصادر التاريخية والوثائق المختلفة ؛ انظر على سبيل المثال : العسلى ، من آثارنا فى بيت المقدس ، ص ص ١٥٢ ـ ١٥٦ ، ١٦٠ ـ ١٦٢ ، ٢٨٤ ـ ٢٨٩ ؛ الإمام الحسينى ، المنهل الصافى ، ص ص ١١٣ ـ ١١٥ ؛ العارف ، تاريخ القدس ص ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ؛ أبو عليه ، الأسس الاجتماعية والحضارية للإضافات والترميمات العمرانية العثمانية فى القدس الشريف ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العددان التاسع والعاشر ، زغوان ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية والتوثيق والمعلومات ، (أوت ١٩٩٤م) ، ص ص ٤١ - ٤٢ ؛ مجموعة علماء ، القدس فى التاريخ ، ترجمة كامل جميل العسلى ، عمان (١٩٩٢م) ، ص ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

Çelebi, E., Siyahatnamesi, X 111, s. 250.
Evliya Tschelebi's Travels in Palestine, TR. st. H., stephan, Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, V 111, (1939), p. 156.

(١٨) تقع بركة السلطان مقابل جبل صهيون إلى جهة الغرب ، مقابل الزاوية الجنوبية الغربية لسور القدس ، وعلى بعد حوالى مائة متر من السور ، وتعد أكبر برك القدس إذ يبلغ طولها ١٧٠م وعرضها فى المعدل ٨٠م ومساحتها حوالى ١٤٫٠٠٠م٢ (شكل ٤) ، وقد جرت على هذه البركة أعمال الصيانة والتعمير فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ومن العصر الأول تعمير السلطان الظاهر برقوق لها ٨٠١هـ / ١٣٩٨م ، ومن العصر الثانى

تعمير السلطان سليمان القانونى ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م كما رجّحنا ، ومنذ أواخر القرن ١٩م صارت البركة سوقا لبيع الماشية ، وإستمر ذلك حتى عام ١٩٤٨م .

الحنبلى ، الانس الجليل ، جـ ٢ ، ص ٩٤؛ العسلى ، من آثارنا فى بيت المقدس، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٨ ؛ العارف ، تاريخ القدس ، ص ١٧٧ ؛ فرج الله ، معين حسيب ، تاريخ القدس العربية ، الكويت ، دار سعاد الصباح (١٩٩٧م)، ص ٩٩ .

(١٩) كان هذا البئر يقع إلى الجنوب الغربى من بركة السلطان ، وكانت تصل إليه قناة السبيل وهى فى طريقها إلى الحرم ، وقد عمر فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م وفى أوائل العصر العثمانى عمره السلطان سليمان القانونى ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م كما رجّحنا ، ومما له دلالته أنه قد أقيمت فوق البئر زمن الانتداب البريطانى مدرسة ابتدائية للبنين هدمها اليهود ١٩٤٨م كما هدموا البئر أيضا .

العسلى ، من آثارنا ، ص ١٥٠ ؛ الدجانى ، رفيق ، آثارنا الإسلامية بين التهويد والضياع ، مجلة هدى الإسلام ، العددان ٣ ـ ٤ ، المجلد ١٧ ، الأردن، (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)، ص ص ١١ ـ١٧ .

(٢٠) يبلغ عددها ثلاث برك ، وقبل القرن ١٠ هـ / ١٦م كانت بركتان فقط هما بركتا المرجيع ، ثم أضيف البركة الثالثة فى أوائل العصر العثمانى ، وعلى الأرجح أثناء صيانة وتعمير المنشآت المائية فى عهد السلطان سليمان القانونى ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م (شكل ٢) .

وقد وصفها غالبية الرحالة المسلمين والأجانب ومنهم عبدالغنى النابلسى وقد أطلق عليه اسم البرك الثلاث ، ودار فيو وأطلق عليها اسم ينابيع سليمان أو النبع المختوم Fonssi GNATUS ، وموندريل وغيرهم . الحنبلى، الانس الجليل، جـ٢ ، ص ص ٣٢٣ ـ ٣٣٠؛ العسلى ، من آثارنا ، ص ص ١٤١ ـ ١٤٤؛ الإمام الحسينى ، المنهل الصافى ، ص ص ١٠٩ ،

١١٢ ؛ الصباغ ، فلسطين فى مذكرات الفارس دار فيو ، ص ٤٢ ؛ النابلسى ، عبدالغنى ، ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م ، الحضرة الأنيسية فى الرحلة القدسية ، نشر مكتبة القاهرة بالصنادقية بالأزهر ، (١٩٠٢م) ، ص ٦٩؛ الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ، جـ ١ ، تحقيق رياض عبدالحميد مراد ، دمشق ، دار المعرفة (١٩٨٩م) ، ص ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤؛ رافق ، عبدالكريم ، فلسطين فى عهد العثمانيين (١) من مطلع القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثانى (الدراسات الخاصة) ، المجلد الثانى (الدراسات التاريخية) ، بيروت ، (١٩٩٠م) ، ص ص ٧٣٣ ، ٧٤٤ ، ٧٥٨، ٧٦١؛

Maundrell, H., Ajourney from Aleppo to Jerusalem, Beirut, Khayats, (1963), pp. 118-119.

(٢١) كانت هذه القناة (شكل ٣) تبدأ من وادى العروب وتستقى من عيونه المختلفة ، وتسير متعرجة حتى تصل إلى برك سليمان وعيون ارطاس وتستقى منهما ، ثم تسير إلى بيت لحم ثم إلى قبة راحيل إلى أن تصل إلى بركة السلطان وتسير بمحاذاة البركة فى طرفها الغربى ثم تلتف حولها من الشمال وترجع بمحاذاتها من الغرب ثم ترتقى جبل النبى داود (جبل صهيون) ثم تدخل المدينة بين باب المغاربة وباب النبى داود ، وتسير القناة إلى طريق باب القطانين كما رجحّنا ، وليس باب السلسلة كما يرى العسلى ، ومن هناك تدخل إلى الحرم وتمتد منها قنوات إلى الأسبلة وغيرها من الحمامات والمدارس. العسلى ، من أثارنا ، ص ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ؛ وكانت هذه القناة عرضة للخراب باستمرار ، كما كانت تتعرض لاعتداءات قطاع الطرق ، ولذلك توالت عليها الكثير من أعمال الصيانة والتعمير ووقف الأوقاف الكثيرة المغلة عليها خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، وبصفة خاصة فى عهود كل من الناصر محمد وابوسعيد خشقدم والاشرف قايتباى من العصر المملوكى ، والسلطان سليمان القانونى وغيره من سلاطين الدولة العثمانية .

الحنبلى ، الانس الجليل ، جـ ٢ ، ص ص ٩٢ ، ٩٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ؛ الامام الحسينى ، المنهل الصافى ، ص ص ١١٣ ـ ١١٥ ؛ العسلى ، من آثارنا ، ص ص ١٤٧ ـ ١٦٢ ؛

Heyd, Ottoman Documents, PP. 146-149., Bahat, D., Jerusalemselected plans of Historical and Monuments Buldings Jerusalem, (1980), P. 118.

(٢٢) تقع قبة السلسلة (٧٢هـ/٦٩١م) شرقى قبة الصخرة ومحاذية لها، ويذكر الحنبلى أنها قبة فى غاية الظرف على عمد من رخام ... ويقال أن عبدالملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التى هى شرقى قبة الصخرة التى يقال لها قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها ، الحنبلى ، الانس الجليل ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ ، حـ ٢ ، ص ١٨ ؛

وعن أهمية هذه القبة من الناحية الأثرية وفيما إذا كانت إتخذت أنموذجا لقبة الصخرة أم لا . انظر : النتشة ، القدس الإسلامية ، ص ١٤٥ ؛ نجم . القباب العشرة فى الحرم القدسى الشريف ، مجلة القدس الشريف ، العدد ١٥ ، (شوال ١٤٠٦هـ / حزيران ١٩٨٦م) ، ص ص ٦٩ ـ ٧١ ؛ شيحة ، مصطفى عبدالله ، المقدسات والمآثر الإسلامية والمسيحية فى القدس ، ضمن أعمال بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافى (فى إطار الحوار الإسلامى ـ المسيحى) الرباط ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ ايسيسكو ـ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، ص ٣٠٩ ؛ فان برشم ، مارجريت ، وآخرين ، القدس الإسلامية فى أعمال ماكس فان برشم ، تعريف عطا الله دهينه وآخرين ، مراجعة وتقديم شوقى شعث ، دمشق ، دار الشام ، (١٩٩٤م) ، ص ٧١ .

(٢٣) الإمام الحسينى ، المنهل الصافى ، ص ١١٥ .

(٢٤) الإمام الحسينى ، المنهل الصافى ، ص ١١٥ .

(٢٥) العسلى ، من آثارنا ، ص ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ؛ نجم ، كنوز القدس ، ص ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

(٢٦) العسلى ، من آثارنا ، ص ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، ٢٦٠ .

ولمزيد من التفاصيل عن الكأس انظر :

عبدالدايم ، عبدالعزيز محمود ، بيت المقدس فى العصر الأيوبى ، القاهرة ، دار الثقافة العربية (١٩٨٩م) ، ص ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ، فرج الله ؛ تاريخ القدس العربية ، ص ٨٥ ؛ (إلا أنه يلاحظ أن فرج الله قد جانبه الصواب فى تاريخ إنشاء الكأس حيث ذكر أنه ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م والصواب هو ٥٨٩هـ / ١١٩٣م كما يستدل من النقش الإنشائى) .

(٢٧) العسلى ، من آثارنا ، ص ص ١٣٦ ، ١٥١ ؛ منشآت السلطان سليمان القانونى فى بيت المقدس ، مجلة القدس الشريف ، العدد ٧ ، (صفر ١٤٠٦هـ / تشرين أول ١٩٨٥م) ، ص ٧٤ .

(٢٨) العسلى ، من آثارنا ، ص ص ١٤٦ ، ٢٥٩ .

(٢٩) الإمام الحسينى ، المنهل الصافى ، ص ص ١١٥ ـ ١١٦ .

(٣٠) هو أحد الحمامين اللذين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكز الناصرى ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م على مدرسته بباب السلسلة (شكلا ٥ـ٦) ، ويعرف هذا الحمام بحمام العين ويقع عند ملتقى طريق الواد بسوق القطانين على الجانب الشرقى من الأول والجانب الجنوبى من الثانى وكان من أشهر حمامات القدس ويذكر العسلى أنه كان مايزال يعمل حتى عام ١٩٨٢م ، ولانملك عنه أية معلومات فى الوقت الحالى .

العسلى ، من آثارنا ، ص ص ١٧٥ ، ١٩٠ ـ ٢٠٠ ، من معالم القدس الأثرية .. الخانات والحمامات والأسبلة ، مجلة القدس الشريف ، العدد ٩ ، (ربيع ثانى ١٤٠٦هـ / كانون أول ١٩٨٥م) ، ص ٧٩ ؛

الخطيب ، المماليك في القدس ، ص ٧٦ ؛ زكار ، فلسطين في عهد المماليك، ص ٦٠٤ ، أما غوانمه فقد إكتفى فقط بالإشارة إلى اسم كل من الحمامين (الشفا والعين) وأنهما يعودان إلى القرن ٨هـ / ١٤م دون أن يحدد اسم منشئهما وتاريخ الإنشاء الدقيق ، غوانمه ، تاريخ نيابة بيت المقدس ، ص ١٣٨ ؛ بهنسي ، عفيف ، العمارة والزخرفة في فلسطين منذ الفتح العربى الإسلامى ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثانى (الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع (دراسات الحضارة) بيروت (١٩٩٠م) ، ص ٨٢٥ .

(٣١) يقع هذه الحمام فى أول طريق برج اللقلق على يمين الداخلى إلى باب الأسباط (شكلا ٤ـ٥) ، وهو يشكل جزءاً من مبنى دير الصلاحية الذى أنشىء عام ١٨٧٨م وكان يعمل حتى السبعينات من القرن الماضى ثم تعطل وتوقف ، ولانملك عنه أية معلومات فى الوقت الحالى .

العسلى ، من آثارنا ، ص ص ٢٠١ ـ ٢٠٥ ؛ من معالم القدس الأثرية .. الخانات والحمامات والأسبلة ، ص ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٣٢) الإمام الحسينى، المنهل الصافى ، ص ١١٥ .

(٣٣) قامت الباحثة مريم ايالون بدراسة الأسبلة السليمانية ونشرت ، للمرة الأولى، مساقطها الأفقية بمقاساتها وأبعادها المختلفة وذلك على النحو التالى

١ـ سبيل بركة السلطان : إتساع واجهته ٣٫٦٢م ، واتساع الحنية ١٫٨٦م وعمق الحنية ٠٫٧١م .

٢ـ سبيل طريق الواد أو سبيل باب القطانين : إتساع واجهته ٤٫١٩م ، واتساع الحنية ١٫٩٩م ، وعمق الحنية ٠٫٥٩م .

٣ـ سبيل باب السلسلة : إتساع واجهته ٣٫٨٦م ، واتساع الحنية ٢٫٣٦م ، وعمق الحنية ٠٫٦٢م .

٤ـ سبيل سليمان تجاه باب الدويدارية : إتساع واجهته ٤٫٩٤م ، واتساع الحنية ٢٫٧٨م ، وعمق الحنية ١٫٣٤م .

٥ـ سبيل ستنا مريم أو سبيل باب الأسباط : إتساع واجهته ٣٫٧٣م، واتساع الحنية ١٫٩٧م ، وعمق الحنية ٠٫٥٢م .

٦ـ سبيل باب الناظر : إتساع واجهته ٣٫٥٥م ، واتساع الحنية ١٫٨١ م ، وعمق الحنية ٠٫٥٣ م.

Ayalon, M.R,. On Suleiman's Sabils in jerusalem, The Islamic world, Essays in Honor of Bernard Lewis, Princeton, New jersey (1991), pp. 589-603 .

(٣٤) إشتهر هذا العقد بذلك الاسم ، على الرغم من أنه كان معروفا قبل العصر العثماني ، وهو يعرف أيضا باسم العقد الناقص ، ويتكون من قوسين جانبيين تمتد فيما بينهما من أعلى معبرة غالبا ، وقد شاع إستخدامه في كثير من العناصر والمفردات المعمارية كالمداخل والنوافذ والايوانات والمحاريب والمحافل والحليات الزخرفية فى العمائر المختلفة ؛ فضلا عن تحف الفنون الزخرفية المتعددة.

وعلى ذلك فإن هذا العقد يعد من بين أنواع العناصر المعمارية التى إستخدمت لتحقيق الغرضين المعمارى والزخرفى فى ذات الوقت ، بل إنه فى كثير من الأحيان كان الغرض الزخرفى البحت يطغى على الغرض المعمارى الرئيس، ولدينا نماذج متعددة ومتنوعة لهذا العقد فى العمارة والفنون الإسلامية خلال العصر السلجوقى وعصر الامارات التركمانية (البكوات أو ملوك الطوائف بالأناضول) والعصر العثمانى ، وهو الأمر الذى يستحق أن تفرد له دراسة مطولة.

أصلان آبا ، أو قطاى ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، استانبول (١٩٨٧م) ، ص ١٧٥؛ خليفة ، ربيع حامد ، العناصر المعمارية ودورها في زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية ، مجلة كلية الآثار ، العدد السادس، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى (١٩٩٥م) ، ص ص ٨٠ ـ ٨٤؛

Hasol, D., Ansiklopedik Mimarlik Sozlugy, Istanbul, (1990), S. 238, 248., Goodwin, G., A History of Ottoman Architecture, London (1998), p. 48.

ولمزيد من التفاصيل انظر : موسوعتنا العمارة الإسلامية ، المدخل (الكتاب الثانى) ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (قيد النشر) .

(٣٥) الجفت المجرد هو الذى لاتتخلل قناته الغائرة ، على أبعاد منتظمة ، الميمات أيا كان شكلها ، أما فى حالة وجود تلك الميمات فإنه كان يطلق عليه فى هذه الحالة جفت لاعب .

إبراهيم ، عبداللطيف ، الوثائق فى خدمة الآثار ، ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (١٩٧٩م)، ص ٤٣٧ حاشية ١ ؛ أمين ، وآخرين ، المصطلحات المعمارية ، ص ٢٩ ؛ ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد ورد فى وثيقة المدرسة الأشرفية بالقدس الشريف مصطلح الجفت والجفت الدائر والجفت المقرنص المحشى باللازورد وجفت خشب مدهون بالذهب محشي باللازورد ، وهو ما يشير إلى دلالات أخرى لهذا المصطلح فى العمارة الإسلامية وخاصة خلال العصر المملوكى ، وهو ما أشرنا إليه فى كتابنا الجامع للمصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية (قيد النشر)؛

إبراهيم ، وثيقة السلطان قايتباى ، ص ص ٥١٤ ـ ٥١٩ .

(٣٦) العابدى ، الآثار الإسلامية ، ص ١١٧ . ومما له دلالته فى هذا الصدد ، أن هناك من يرى أن الوريدة أو الزهرة المشعة والحليات الأخرى بسبيل باب السلسلة تعود فى الأصل إلى كنيسة St. Gilles التى تقع خارج باب السلسلة.

Folda, J, The Art of the Crusadersin the Holy land (1098 - 1187), Cambridge, (1995), p. 55 .

(٣٧) العسلى ، من آثارنا ، ص ٢٧٦ .

(٣٨) العسلى ، من آثارنا ، ص ٢٧٢ .

(٣٩) نجم ، وآخرين ، كنوز القدس ، ص ٣٣٩ .

(٤٠) العسلى ، من آثارنا ، ص ص ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦.

(٤١) العسلى ، من آثارنا ، ص ص ٢٦١ ، ٢٧٦ .

أما عن الألقاب الواردة فى كل من هذين النقشين فقد سبق أن تلقب بها كثير من سلاطين المسلمين قبل العصر العثمانى ، فضلا عن سلاطين آل عثمان.

الباشا ، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ، دار النهضة العربية، ط ٢ (١٩٧٨م) ، ص ص ٢٧١ ـ ٢٧٣ ، ٣٣٠ـ ٣٣٧ ، ٤٤٦؛ بركات ، مصطفى ، الألقاب والوظائف العثمانية ، القاهرة ، (٢٠٠٠م)، ص ص ١٨ ـ ٦٢.

(٤٢) العسلى ، من آثارنا ، ص ٢٧٢ .

(٤٣) قرأ العسلى هذا النقش على النحو التالى :

١ـ ت ... ف (؟) جشمتدن آبي صاتي .

٢ـ اقوسون صاحب الخير دوعاتي .

ثم يضيف فيقول « وهذا البيتان التركيان يفيدان على الأرجح بإعادة تعمير هذا السبيل » .

العسلى ، من آثارنا ، ص ٢٧٢ .

(٤٤) العسلى ، من أثارنا ، ص ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ .

وعن الألقاب التى وردت فى هذين النقشين ولم ترد فى النقوش السابقة وهى: عز الاسلام والمسلمين ظل الله فى العالمين حامى الحرمين الشريفين ، فقد وردت قبل العصر العثمانى وخلال ذلك العصر بصيغ ومرادفات مختلفة ، وتدور كلها حول بسط السيادة والنفوذ على العالم الإسلامى بما فى ذلك المركز الروحى للإسلام والذى كانت حمايته وبسط السيادة عليه رمزا لشمول النفوذ على العالم الإسلامى كله .

الباشا، الألقاب ، ص ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦ ، ٢٦٧ ـ ٢٧٠ ، ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ، ٤٠١؛ بركات ، الألقاب والوظائف ، ص ص ١٨ ، ٤٥ ـ ٤٦ .

(٤٥) العسلى ، من آثارنا ، ص ص ٢٦٤ ـ ٢٧٠ .

ومما له دلالته فى هذا الصدد ما أشار إليه «جانو» من أن غالبية هذه

الأحواض كانت فى الأصل توابيت (Sacrophagus) وأنها نقلت من قبور السلاطين خارج السور ، وقد إستعملت فى الأسبلة فضلا عن الفساقى ، كما أن بعضها نقل إلى بعض المتاحف الأوروبية .

Ganneau, C., Archeological Researches in Palestine During the years 1873 - 1874, vol. I, London, (1886), pp. 129-131, 233.

والحق أنه لم يثبت حتى الآن مدى صحة ذلك القول وصدقه من عدمه ، لأن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة متأنية وهو الأمر الذى يصعب حدوثه فى الوقت الراهن نظراً للاحتلال الإسرائيلى .

(٤٦) Berchem, M.V., Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicaru, Deuxieme Partie, Syrie du sud. Tome Deuxieme. Jerusalem "Haram", Mifao, Tome Xiliv, le Caire, (1927), pp. 422-426.

(٤٧) Ayalon, On Suleiman's Sabils, PP. 603, 605.

(٤٨) العسلى ، الخانات والحمامات والأسبلة ، ص ٨١ .

(٤٩) ارمسترونج ، القدس ، ص ٥٢٦ .

(٥٠) چشمة كلمة فارسية الأصل تعنى : عين ماء ، ينبوع – نبع – منبع ، وقد دخلت هذه الكلمة التركية وصارت إصطلاحا لطراز بسيط من الأسبلة ذات الصنابير أو البزابيز ، وذلك منذ عصر سلاجقة الروم وما تلاه من عصر البكوات، وفى العصر العثمانى واصل هذا المصطلح اطلاقه على ذلك الطراز من الأسبلة سواء بنمطها البسيط الموروث أو بنمطها المتطور الذى لم يسبق إليه أو ذلك الطراز الذى جمع بينهما وبين ما عرف بالسبيل التركى العثمانى فى مبنى واحد .

أدهم باشا ، إبراهيم ، أصول معمارى عثمانلى ، القاهرة (١٨٧٣م) ، ص ٤٢ ؛ الحسينى ، محمود حامد ، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، القاهرة، مكتبة مدبولى (١٩٨٨م) ، ص ٣٣٩ ؛ شتا ، إبراهيم الدسوقى ، المعجم

الفارسى الكبير ، المجلد الأول ، القاهرة ، مكتبة مدبولى (١٩٩٢م) ، ص ٩١٥؛ علوب ، عبد الوهاب ، معجم الأمين للآثار والأديان ، دار الأمين ، القاهرة (١٩٩٦م) ، ص١٩٢ .

(٥١) أدهم باشا ، أصولى معمارى عثمانلى ، ص ٤٢؛

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن هناك من العلماء من يعتقد أن هذا الطراز من المنشآت المائية ترجع جذوره إلى العمارة البيزنطية ، بل إن بعض النماذج البيزنطية قد أعيد إستخدامها خلال العصر العثمانى كما هو الحال فى بعض الأمثلة المحفوظة فى المتحف الأثرى فى استانبول وغيرها .

Eyice, S., Istanbul Arkeoloji Muzesinde Bizans-Turk Çesmesi, Belleten, Gilt, XXXiX, sayi, 153-156, Ankara, (1975), s. 429-444.

والحق إن هذا الرأى لايزال بحاجة إلى دراسة متأنية حتى يمكن الأخذ به من عدمه هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن الشبه بين مظاهر عنصرين معماريين لا يعتبر وحده دليلا على إشتقاق أحدهما من الآخر ما لم تتضح بصفة قاطعة الأسباب العملية التى تبرر هذا الاشتقاق .

(٥٢) أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص ص ٩٥ ، ٢٣٥ ، شكلا ٣٠ - ٣١؛

Arseven, C.E., Turk Sanati, istanbul, (1959). s. 61-62., Aslanapa, O., Turk sanati, Ankara, (1990), S. 203-204.

(٥٣) أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٢٣٥ ، شكل ٥٠ ؛

Gabriel, A., Monuments Turc d' Anatolia, Tome Deuxieme, Paris, (1934), p.

Yetkin, S.K., Turk Mimarisi, Ankara, (1970), s. 58-59., Denizli, H., Sivas, Tarihi ve Anitlari, Simtas Matbaacilik A.S., (1995), S. 101.

(٥٤) أدهم باشا ، أصولى معمارى عثمانلى ، ص ٤٢ .

(٥٥) الحداد ، محمد حمزة إسماعيل ، العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، مجلس النشر العلمى ، جامعة الكويت ، (٢٠٠٢م)، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٤؛

Yuksel, A., Mimar, Y., Osmanli Mimarisinde, 11. Bayexid Yavuz Selim Devri (886-926/1481-1520) v, Istanbul, (1983), s. 186, 231, 286, 349., Ayverdi, E, H., Osmanli Mimarisinde, Fatih Devri (855-886/1451-1481) Istanbul, (1989), 111, s. 348, 417, iv s. 559, 615, 736-737., Ayverdi, Avrupa'da Osmanli Mimari Eserleri, Istanbul, (2000), 111, S. 51, 63, 338-350; iv, s. 117, 202, 303, 307, 417.

(٥٦) أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٢٣٥ .

(٥٧) أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٢٣٥ ؛ بول رو ، جان ، الفن العثمانى فى الأراضى التركية ضمن الفصل الخامس عشر الموسوم بـ « الفن العثمانى فى كتاب تاريخ الدولة العثمانية » ، جـ ٢ ، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، (١٩٩٣م) ، ص ٣٩٢.

(٥٨) ONGE., Y., Fiskiyeli Turk Çesmeleri, Vakiflar Dergisi, XXII, Anakara, (1991), S. 100.

(٥٩) أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٢٣٥ .

(٦٠) Gabriel, Monuments, S. 74, pl, xix., yuksel, osmanli v,s. 353

(٦١) Yenisehirlioglu, F., Turkiye Disindaki Osmanli Mimari Yapitlari, (1989), S. 60, 68.

(٦٢) Denketas, M., Kayseri- Buyuk Burunguz Koyu'n De ki Turk Anitlari, Vakiflar Dergisi, xxv 11, Ankara, (1998), S. 169-170, Resmler, 32-33.

(٦٣) Pasic, A., Islamic Architecture in Bosnia and Hercegovina, Istanbul, (1994), p. 86.

(٦٤) Turkmen, K., Talas'ts Turk Devri Yapilari, vakiflar Dergisi, xxvi, Ankara, (1997), S. 161-164.

(٦٥) Onge, Fiskiyeli, S. 101.

(٦٦) Hafix., N., Prizren'de Yeni Bulunan Birkac Turk Yaxiti, Belleten Gilt, xxxix, sayi, 153-156, Ankara, (1975), S. 225-226, 229-231, Resmler, 1, 4-5.

(٦٧) ومن أمثلة هذا الطراز بعض مقابر اسوان والقباب السبع فى مصر وقبة الصليبية فى سامرا وقبة أبو الهيجـاء الحمدانى وبعض قباب جبانة صعدة اليمنية وغير ذلك .

ولم يقتصر ذلك الطراز على القباب الجنائزية المبكرة فحسب ، بل وجدت له بضعة نماذج خلال العصر المملوكى بدولتيه البحرية والجركسية ومنها قبة تنكز بغا بمنشية ناصر وقبة يشبك أخو السلطان برسباى بحوش مجمعه بقرافة صحراء المماليك وقبة الشيخ عبدالله المنوفى (تجاه مجمع السلطان قايتباى بذات القرافة).

الحداد ، القباب فى العمارة المصرية الاسلامية ، جـ ١ ، القبة المدفن ، نشأتها وتطورها حتى نهاية العصر المملوكى ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص ص ٦٣ ـ ٦٤ ، ٧٥ .

(٦٨) Denktas, Kayseri, S. 168 - 169, Resmler, 27-31.

(٦٩) Yenisehirlioglu, Turkiye, S. 68.

وعن طراز التربة المفتوحة من حيث عمارته ونشأته وإنتشاره انظر : الحداد ، العمائر الجنائزية فى مصر خلال العصر العثمانى ، مجلة جامعة الملك سعود ، مج ١٢ ، الآداب (١) ، (١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م) ، ص ص ٢٤٦ ـ ٢٥٣ ؛ (وانظر أيضاً الفصل الثالث من هذا الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٧٠) Bas, A., Inay Koyu Manzumesi, Vakiflar Dergisi, xxiv, Ankara, (1994), S. 223, Resim 16.

(٧١) Barista, O., Istanbul Cesmeleri, Ankara, (1991), S. 3-85.

(٧٢) Tuglaci, P. the Role of the Balian Family in Ottoman Architecture, Istanbul, (1990), p. 554., Hellier, C., Splendors of Istanbul, Houses and Palaces Along the Bosphorus, Abbeville press publishers, New York, London, Paris, (1993), p. 220.

(٧٣) أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٢٣٧ ؛ الحسيني ، الأسبلة ، ص ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ؛ الريحاوى ، عبدالقادر ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، جده ، مركز النشر العلمى بجامعة الملك عبدالعزيز ، (١٩٩٠م) ، ص ص ٤٨٠ ـ ٤٨١ ؛

Goodwin, Ahistory, p. 674, pls. 694-495., levey, M., The world of Ottoman Art, London (1976), pp. 119-120.

(٧٤) أصلان آبا ، فنون الترك ، ص٢٣٨ ؛ الحسينى ، الأسبلة ، ٢٩٥ ؛

Kuran, A., Eighteenth Century Ottoman Architecture, Papers on Islamic History, vol, 4, studies in Eighteenth Century Islamic History, edited by Thomas Naff and Roger Owen, Oxford - Pennsylvaniam 1977, pp. 320 - 324.

(٧٥) العسلى ، من آثارنا ص ٢٤٣ ؛ ناصر ، جلال أسعد ، المدرسة الطشتمرية فى بيت المقدس ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ، ضمن أعمال المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» ، المجلد الأول ، القدس ، عمان ، إربد ، (١٩٨٣م) ص ص ٥٥ ـ ٥٦ ؛ ومما له دلالته فى هذا الصدد أن ناصر قد تناول فى دراسته هذا السبيل على أنه يتكون من ثلاثة طوابق : الأول هو البئر المحفور فى باطن الأرض ، والثانى هو المزملة التى تقع على ارتفاع ٥٩سم والثالث هو غطاء المزملة المزخرف على شكل محارة ؛ وقد أخذ بهذا الوصف والتناول العسلى فى كتابه المشار إليه (ص ٢٤٣) .

ولاشك أن هذا الوصف يثير نوعا من الارتباك ، لاسيما إذا لم تكن الدراسة مزودة بالصور الفوتوغرافية والمساقط الهندسية ، ومن هنا يتضح أن ناصر والعسلى لم يدركا بشكل واضح جوهر تخطيط هذا السبيل .

(٧٦) وقفية الأمير تنكز الناصرى عن : العسلى ، وثائق مقدسية تاريخية ، المجلد الأول ، ص ١١٢ ؛ من آثارنا ، ص ٢٤٢ .

(٧٧) الريحاوى ، دمشق ، تراثها ومعالمها التاريخية ، دمشق ، دار البشائر ، ط ٢ (١٩٩٦م) ، ص ١٧٥ ؛ العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها فى سورية، دمشق ، دار البشائر، ط ٢ (١٩٩٩م) ، ص ٢٠٦ ، لوحة ٤١ مكرر.

(٧٨) عن نشأة هذا العقد والآراء التى أثيرت حوله ونماذجه الباقية المعروفة حتى الآن بدءا من العصر الفاطمى ، وانتهاءا بعصر محمد على انظر : الحداد ، موسوعة العمارة الإسلامية فى مصر ، المدخل (الكتاب الأول) القاهرة، مكتبة زهراء الشرق (١٩٩٨م) . ص ص ١٧٦ ــ ١٨٠ .

(٧٩) شحادة ، كامل ، الأحواض والسبل فى حماه ، الحوليات الأثرية العربية السورية ، المجلدان ٢٧ ــ ٢٨ ، دمشق ، المديرية العامة للآثار والمتاحف ، (١٩٧٧ ــ ١٩٧٨م) ، ص ٢٤١.

(٨٠) تعد من أكبر وسائط تزويد المدينة بالمياه ، وتكون على شكل أنفاق مبنية فى جوف الأرض ، وترتبط هذه الأنفاق بمجرى النهر (نهر العاصى) ، وكانت تقام فوق هذه الأنفاق مآخذ يتم من خلالها تزويد المنشآت المائية بالمياه عبر وسائل مختلفة . شحادة ، الأحواض والسبل ، ص ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨ .

(٨١) شحادة ، الأحواض والسبل ، ص ص ٢٣٩ ــ ٢٥٠ لوحات ١٦ –٢٨ .

(٨٢) مما له دلالته أن هذا السبيل قد حل محل حوض سقى الدواب الذى كان بجانب المدخل الرئيسى لمجمع قلاوون ، وذلك على يسار الواقف تجاه المدخل ــ ولكن نظرا «لتأذى الناس بنتن رائحة ما يجتمع قدامه من الأوساخ» تم ابطال الحوض وأنشىء ذلك السبيل فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م على يد أقوش وارغون ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٠٧ ؛ الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، ص ١٠٩ ، لوحات٣، ٣٨ ، ٥٢ ــ ٥٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن وصف السبيل وعمارته انظر :

Ebeid, S., Early Sabils and Their Standardization, M.A. thesis, AmercianUniverstiy in Cairo, (1976),pp. 11-25.

(٨٣) نويصر ، دراسة لأجزاء هامة من بقايا مدرسة السلطان الظاهر بيبرس ، ص ١٢ ، ١٦ حاشية ٣١ ؛ مجموعة سبل ، ص ٥ حاشية ٣ ، ص٩ ـ ١٠ ؛ منشأة الأمير فيروز الساقى بالقاهرة ، مجلة كلية الآثار ، العدد السادس ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى (١٩٩٥م) ، ص ٢٤ ؛

ومما له دلالته فى هذا الصدد ما ذكره نويصر من أن التسبيل فى هذا الطراز كان يتم عن طريق الأحواض مباشرة . أنظر ، نويصر ، مجموعة سبل ، ص ١٠ ؛

(٨٤) أبوالفتوح ، محمد سيف النصر ، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، آداب سوهاج ، جامعة أسيوط (١٩٨٠م) ، ص ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن الذى دفع أبوالفتوح إلى هذا التشيكك هو أنه وجد النص الوثائقى لوصف السبيل الملحق بمدرسة جوهر اللالا بدرب اللبانة بالقاهرة مخالفا لما هو عليه هذا السبيل الآن ؛ وبالتالى فإن تجديد لجنة حفظ الآثار العربية لذلك السبيل عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م لايمت للأصل بصلة ، وهو الأمر الذى يبعث على التشكك فى أصالة التجديدات التى قامت بها ذات اللجنة للأسبلة الأخرى المشابهة ، ومنها سبيل مسجد السنبغا البوبكرى وسبيل مدرسة اينال اليوسفى .

(٨٥) أبو الفتوح ، منشآت ، ص ٤٣٤ ؛ العمرى ، آمال ، موارد المياه وتوزيعها فى بعض المنشآت الدينية السلطانية بمدينة القاهرة ، مجلة كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط ، العدد ٧ ، (١٩٨٨م) ، ص ٢٩٢ .

(٨٦) الحداد ، القباب ، ص ١٥٥ .

(٨٧) أثبتت دراسة سابقة أن النصف الأول من القرن ٨ هـ / ١٤م كان يمثل عصر إزدهار التأثيرات المعمارية والفنية الوافدة من المشرق الإسلامى على عمارة وفنون القاهرة ، أما التأثيرات التى ظهرت بعد ذلك سواء فى النصف الثانى من القرن ٨ هـ / ١٤م أو خلال القرن ٩هـ / ١٥م فكانت قليلة . الحداد ، القباب ، ص ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٨٨) نجيب ، محمد مصطفى ، مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٧٥) ، الملحق الوثائقى، ص ١١٦ ، حاشية ٥ .

(٨٩) جار الله بن فهد المكى ، جار الله بن العز بن النجم ، ت ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م ، كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى (تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٢هـ إلى ٩٤٦هـ) ، ق ١ ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) ص ٤٠ .

(٩٠) الكحلاوى ، القيم الدينية ، ص ٢٠٤ ، لوحة ٤٠ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، الكحلاوى ، السقايات المغربية ، ص٣٢٧ ـ ٣٥٧ ، (أشكال ١ ، ٦ ـ ٧، ٩ ـ ١٠) ، (لوحات ٥ ـ ٦، ١٤ ـ ١٦) ؛ (ومما تجب الإشارة إليه أن الكحلاوى قد قام فى بحثه بمقارنة عمارة السقايات المغربية مع الأسبلة المملوكية بالقاهرة رغم الاختلاف بينهما من حيث التكوين المعمارى وما يرتبط بذلك من طريقة التزويد بالماء بل وعملية التسبيل وهو ما أشار إليه كنتيجة لهذه المقارنة (ص٣٥٥ ـ ٣٦١)، ولذلك كان من الأحرى والأنسب ـ وفقا لما يقتضيه المنهج العلمى السليم ـ أن تكون المقارنة مع الچشمات المشرقية نظرا لوجود أوجه كثيرة للتقارب والتشابه بينهما سواء من حيث الطراز المعمارى أو من حيث المفردات والعناصر المعمارية الرئيسية التى تميز هذا النمط من الأسبلة؛ على أن يؤخذ فى الاعتبار السمات المحلية التى تميز كل من الجناحين الشرقى والغربى من دار الاسلام) .

(٩١) Çelebi, Syyahatnamesi, X111, S. 253.

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن المصادر العربية ، وبخاصة كتب التاريخ المحلى للحجاز ، قد أطلقت على أسبلة هذا الطراز مصطلح حنفية وهو ما أشرنا إليه فى كتابنا الموسوم بـ « الأسبلة فى العمارة الإسلامية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة» وهو يمثل الجزء الرابع من سلسلة دراستنا عن العمارة الإسلامية فى الجزيرة العربية ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (٢٠٠٤م) .

(٩٢) وثيقة وقف الأمير عبدالرحمن كتخدا (أوقاف رقم ٩٤٢) ، ص ص ٢٤ ، ٣١ ـ ٣٣ .

(٩٣) القفصى ، عبدالحكيم ، لمحة حول سبيل يوسف داى بمدينة بنزرت التونسية فى العهد العثمانى : مثال للازدواجية الفنية واللغوية ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العددان ٩ـ ١٠ ، زغوان ، أوت (١٩٩٤م) ، ص ص ٣١٧ ـ ٣٢٠ .

(٩٤) الريحاوى ، دمشق ، ص ١٧٥ ، لوحة ٦٤ ؛ العمارة العربية الإسلامية ، ص ٢٦٨ .

(٩٥) المبيض ، سليم عرفات ، البنايات الأثرية الإسلامية فى غزة وقطاعها ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٩٥م) ، ص ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧، لوحة ٤٠٦ .

(٩٦) القفصى ، لمحة حول سبيل يوسف داى ، ص ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

(٩٧) الحسينى ، الأسبلة العثمانية ، ص ٧١ .

(٩٨) الحسينى ، الأسبلة العثمانية ، ص ٧١ .

(٩٩) وثيقة وقف داود باشا (أوقاف رقم ١١٧٦) عن : العمرى ، بركة الحاج خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، القاهرة (١٩٨٧م) ، ملحق رقم ١ ، ص ٤٥ .

(١٠٠) العمرى ، بركة الحاج ، ملحق رقم ١ ، ص ٤٨ .

(١٠١) العمرى ، بركة الحاج ، ص ص ١٢ ، ١٣ ، ملحق رقم ١ ، ص ٤٥ .

(١٠٢) العمرى ، بركة الحاج ، ملحق رقم١ ، ص ٤٨ .

(١٠٣) الحسينى ، الأسبلة العثمانية ، ص ٧١ .

(١٠٤) الحسينى ، الأسبلة العثمانية ، ص ص ٧١ ، ٧٦ .

(١٠٥) Abouseif, D.B., Takiyyat Ibrahim AL- Kulshani in Cairo, Muqarnas, Vol. 5, Leiden- E.J. Brill, (1988). P. 48, PL. 6.

ولمزيد من التفاصيل عن الجشمات (الأسبلة المصاصة) فى قاهرة القرن ١٣هـ/ ١٩م سواء فى الأسبلة المستقلة أو الملحقة ، وخاصة بالمقابر ، انظر، أبو طربوش ، محمد هاشم إسماعيل ، أسبلة القرن التاسع عشر فى القاهرة ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، آداب سوهاج ، جامعة جنوب الوادى (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) .

ثبت الأشكال واللوحات

أولا : الأشكال :

(شكل ١) برك القدس وضواحيها . (عن : العسلى) .

(شكل ٢) مخطط برك سليمان . (عن : العسلى) .

(شكل ٣) مخطط قناة السبيل . (عن : العسلى) .

(شكل ٣مكرر) مخطط بركة السلطان ، ويمثل حرف E موضع سبيل بركة السلطان. (عن : فان برشم) .

(شكل ٤) خريطة مدينة القدس (البلدة القديمة) . (عن : غوانمه) .

(شكل ٤ مكرر) خريطة مدينة القدس موضحاً عليه مواضع الأسبلة والحمامات والخانات الآثارية الإسلامية . (عن : العسلى)

(شكل ٥) خريطة مدينة القدس موضحًا عليها مواضع الأسبلة السليمانية (موضوع الدراسة (رسم R. GRafrmann عن :M.R. AYLON) .

F ـ بركة السلطان .

١ ـ سبيل بركة السلطان ظاهر البلدة القديمة .

٢ ـ سبيل طريق الواد أو سبيل باب القطانين .

٣ ـ سبيل باب السلسلة .

٤ ـ سبيل سليمان تجاه باب الدويدارية (باب العتم أو باب فيصل) .

٥ ـ سبيل ستنا مريم أو سبيل باب الأسباط .

٦ ـ سبيل باب الناظر .

(شكل ٦) مسقط أفقى للأسبلة السليمانية الثلاثة الأولى (١ـ ٣) مرتبة وفق تاريخ إنشائها . (رسم G.solar عن : M.R. AYLON) .

١ـ سبيل بركة السلطان ١٠ محرم ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م .

٢ـ سبيل طريق الواد أو سبيل باب القطانين أول رجب ٩٤٣هـ/١٥٣٦م.

٣ـ سبيل باب السلسلة ٢٢ رجب ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م .

(شكل ٦مكرر) مسقط أفقى للأسبلة السليمانية الثلاثة الأخرى (٤-٦) مرتبة وفق تاريخ إنشائها . (رسم - G.solar عن : M.R. AYLON) .

١ - سبيل سليمان تجاه باب الدويدارية (باب العتم أو باب فيصل) أوائل شهر شعبان ٩٤٣هـ / ١٥٣٧م .

٢ - سبيل ستنا مريم أو سبيل باب الاسباط من المرجح أنه أنشيء في أواخر شعبان ٩٤٣هـ / ١٥٣٧م .

٣ - سبيل باب الناظر ٢ رمضان ٩٤٣هـ / ١٥٣٧م .

(شكل ٧) مسقط أفقى لچشمة حاجى بيرم فى انقرة . (عن : ONGE) .

(شكل ٨) مسقط أفقى للچشمة ضمن الجامع الأخضر (يشيل جامع) فى بروسة (أو بورصة) (عن : ONGE) .

(شكل ٩) مسقط أفقى وواجهة چشمة Mutevelli فى مدينة قيصرية الأناضولية (عن : Denktas) .

(شكل ١٠) مسقط أفقى وواجهة چشمة حاجى أحمد أفندى فى طلاس . (عن : Turkmen) .

(شكل ١١) مسقط أفقى وواجهة چشمة صالح اغا فى طلاس. (عن: Turk-men)

(شكل١٢) مسقط أفقى وواجهة چشمة اسما خانم فى طلاس. (عن : Turk-men)

(شكل ١٣) مسقط أفقى وواجهة چشمة على صائب باشا فى طلاس . عن : Turkmen) .

(شكل ١٤) مسقط أفقى لچشمة گلبهار خاتون فى أدرنة . (عن: ONGE) .

(شكل ١٥) مسقط أفقى لچشمة سنان اغا فى أدرنة . (عن : ONGE) .

(شكل ١٦) مسقط أفقى لچشمة حسين باشا فى أدرنة . (عن : ONGE) .

(شكل ١٧) مسقط أفقى لچشمة قره مصطفى باشا فى أدرنة . (عن : ONGE) .

(شكل ١٨) مسقط أفقى وواجهة چشمة الميدان فى قيصرية . (عن : Denk-tas) .

(شكل ١٩) مسقط أفقى وواجهة چشمة Yazici فى قيصرية. (عن : Denktas) .

(شكل ٢٠) مسقط أفقى لچشمة Inaykoyu (عن : BAS) .

(شكل ٢١)مسقط أفقى وواجهة چشمة اسماعيل اغا فى استانبول. (عن: -Baris
(ta

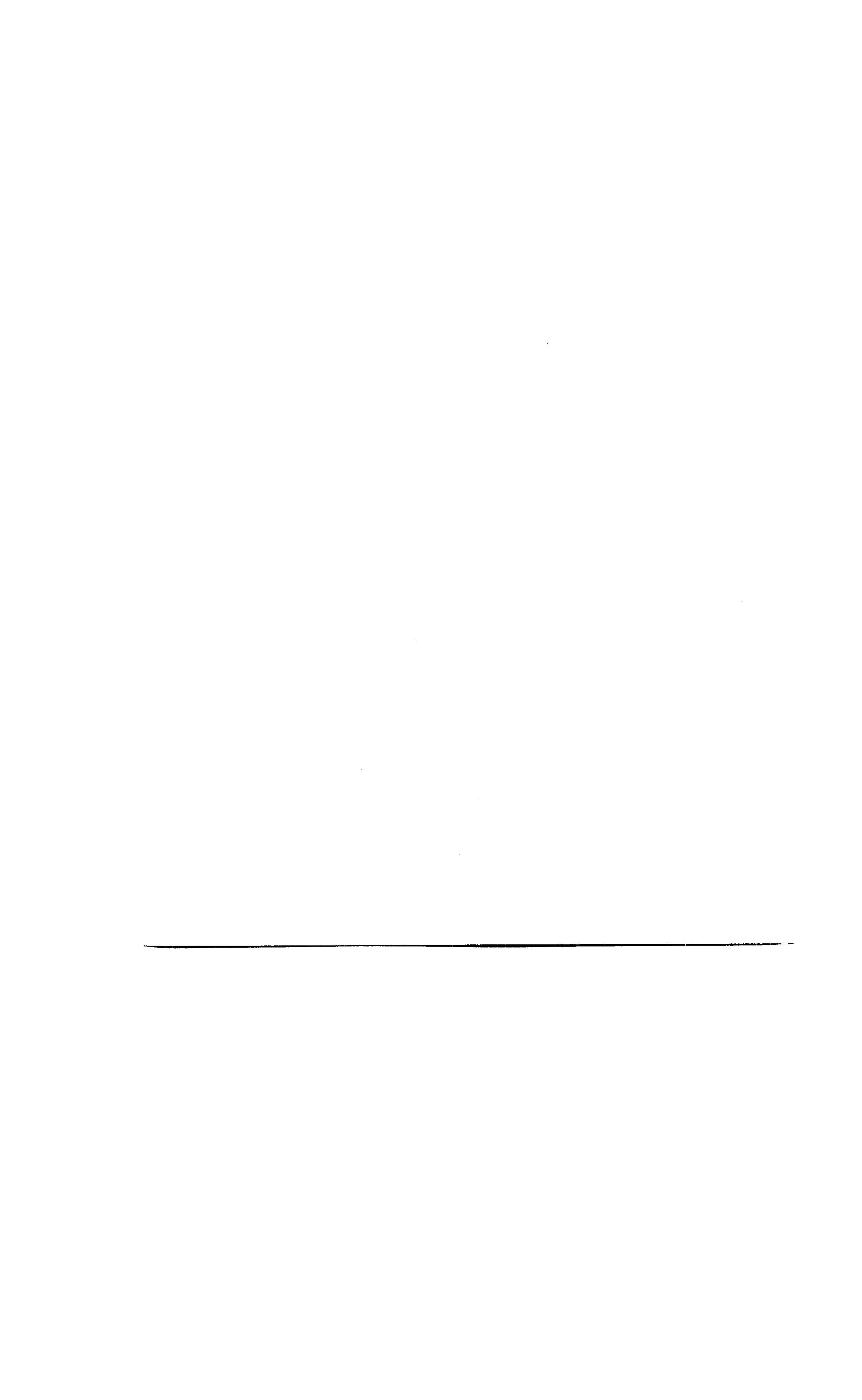
(شكل٢٢) مسقط أفقى وواجهة چشمة Kemankas فى استانبول (عن: -Baris
(ta

(شكل ٢٣) مسقط أفقى وواجهة چشمة قبطان حاجى حسين باشا فى استانبول.
(عن : Barista) .

(شكل ٢٤) واجهة سبيل يوسف داى بمدينة بنزرت التونسية . (عن القفصى)
.

(شكل ٢٥) مسقط أفقى لسبيل رقية دودو بالقاهرة . (عن : الحسينى) .

(شكل ٢٦) مسقط أفقى لسبيل جنبلاط بالقاهرة . (عن : الحسينى) .



ثانيًا :اللوحات

(لوحة ١) سبيل قاسم باشا بالقدس الشريف عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي).

(لوحة ٢) السبيل المعروف بالكأس بالقدس الشريف عام ١٩٨٣م (عن : كنوز القدس) .

(لوحة ٣) سبيل بركة السلطان : واجهة السبيل عام ١٨٦٥م . (عن فان برشم) .

(لوحة ٤) سبيل بركة السلطان : عام ١٩٨٢ م (عن : العسلي) .

(لوحة ٥) سبيل بركة السلطان : واجهة السبيل عام ١٩٨٣م . (عن: كنوز القدس).

(لوحة ٦) سبيل بركة السلطان : النقش الإنشائى عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .

(لوحة ٧) سبيل طريق الواد عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .

(لوحة ٨) سبيل طريق الواد عام ١٩٨٢م . (عن ": العسلي) .

(لوحة ٩) سبيل طريق الواد عام ١٩٨٣. (عن : كنوز القدس).

(لوحة ١٠) سبيل باب السلسلة عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .

(لوحة ١١) سبيل باب السلسلة عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي) .

(لوحة ١٢) سبيل باب السلسلة عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .

(لوحة ١٣) سبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان عام ١٩٨٢م. (عن : العسلي).

(لوحة ١٤) سبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان عام ١٩٨٣م (عن : كنوز القدس) .

(لوحة ١٥) المصلى المكشوف خلف سبيل باب العتم المعروف بسبل سليمان عام ١٩٨٣م. (عن كنوز القدس) .

(لوحة ١٦) سبيل باب الناظر عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .

(لوحة ١٧) سبيل باب الناظر عام ١٩٨٢م . (عن : العسلى) .

(لوحة ١٨) سبيل باب الناظر عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .

(لوحة ١٩) سبيل باب ستنا مريم عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .

(لوحة ٢٠) سبيل ستنا مريم عام ١٩٨٢م . (عن : العسلى) .

(لوحة ٢١) سبيل ستنا مريم عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .

(لوحة ٢٢) مجمع (كلية) صاحب عطا فى قونية : الواجهة الرئيسية . (عن : آصلان آبا) .

(لوحة ٢٣) مجمع (كلية) صاحب عطا فى قونية : الچشمة اليسرى . (عن : ارسفان) .

(لوحة ٢٤) مجمع (كلية) كوك مدرسة فى سيواس : الواجهة الرئيسية . (عن : آصلان آبا) .

(لوحة ٢٥) مجمع (كلية) كوك مدرسة فى سيواس : تفصيل للچشمة . (عن : جابرييل) .

(لوحة ٢٦) چشمة Serefsirin فى قونية . (عن : ONGE) .

(لوحة ٢٧) چشمة بابا سلطان فى قونية . (عن : ONGE) .

(لوحة ٢٨) چشمة Horoz pinari فى مرزيفون . (عن : جابر يل) .

(لوحة ٢٩) چشمة Tokmak فى مرزيفون (عن : جابرييل) .

(لوحة ٣٠) چشمة تقليدية فى مدينة ليماسول القبرصية. (عن : Yenisehiroglu)

(لوحة ٣١) چشمة ملحقة بكوچك مدرسة فى مدينة نيقوسيا القبرصية . (عن : Yenisehiroglu) .

(لوحة ٣٢) چشمة الميدان فى طلاس . (عن : Denktas) .(لوحة ٣٣) چشمة اسما خانم فى طلاس ، (عن : Turkmen) .

(لوحة ٣٣) چشمة اسما خانم فى طلاس ، (عن : Turkmen) .

(لوحة ٣٤) چشمة على صائب باشا فى طلاس . (عن Turkmen) .

(لوحة ٣٥) چشمة حاجى أحمد أفندى فى طلاس . (عن : Turkmen) .

(لوحة ٣٦) چشمة صالح اغا فى طلاس (عن : Turkmen) .

(لوحة ٣٧) چشمة قره مصطفى باشا فى ادرنه . (عن : ONGE) .

(لوحة ٣٨) چشمة حسين باشا فى ادرنة . (عن : ONGE) .

(لوحة ٣٩) چشمة غازى باشا فى مدينة ليماسول القبرصية (عن: Yenishirlioglu) .

(لوحة ٤٠) چشمة إسماعيل اغا فى استانبول . (عن : Barista) .

(لوحة ٤١) چشمة قبطان حسين باشا فى استانبول (عن : Barista) .

(لوحة ٤٢) چشمة السلطان عبدالحميد (حميدية چشمة سى) بيلديز سراى فى استانبول (عن: Hellier) .

(لوحة ٤٣) سبيل وچشمة السلطان أحمد الثالث فى استانبول فى أواخر القرن ١٩م. (عن : W.H.Bartlett) .

(لوحة ٤٤) سبيل وچشمة السلطان أحمد الثالث فى استانبول (عن: آصلان آبا) .

(لوحة ٤٥) حوض الشيخ مسعود بمدينة حماه السورية (عن : شحاده) .

(لوحة ٤٦) حوض سوق الشجرة بمدينة حماه السورية (عن : شحاده) .

(لوحة ٤٧) سبيل العمرى بمدينة حماه السورية (عن : شحاده) .

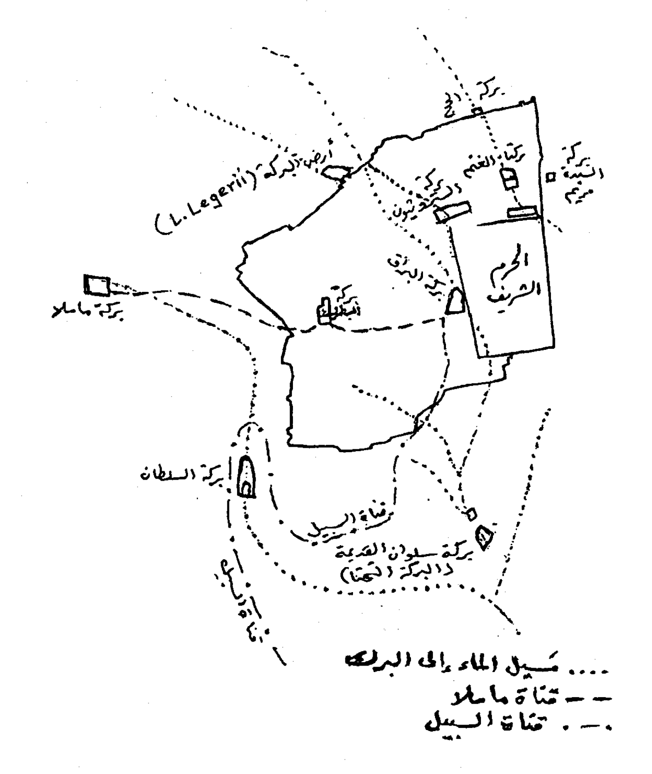
(لوحة ٤٨) سبيل جامع النورى بمدينة حماه السورية (عن : شحاده) .

(لوحة ٤٩) سبيل الناصر محمد الملحق بواجهة مدرسة قلاوون بالقاهرة . (عن: كريزول) .

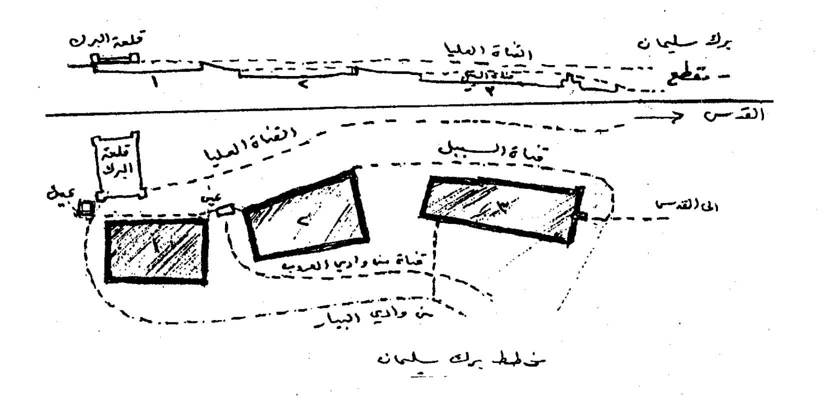
(لوحة ٥٠) سبيل درويش باشا ضمن مجمعة (كليته) بمدينة دمشق . (عن : الريحاوى) .

(لوحة ٥١) سبيل الرفاعية بمدينة غزة . (عن : المبيض) .

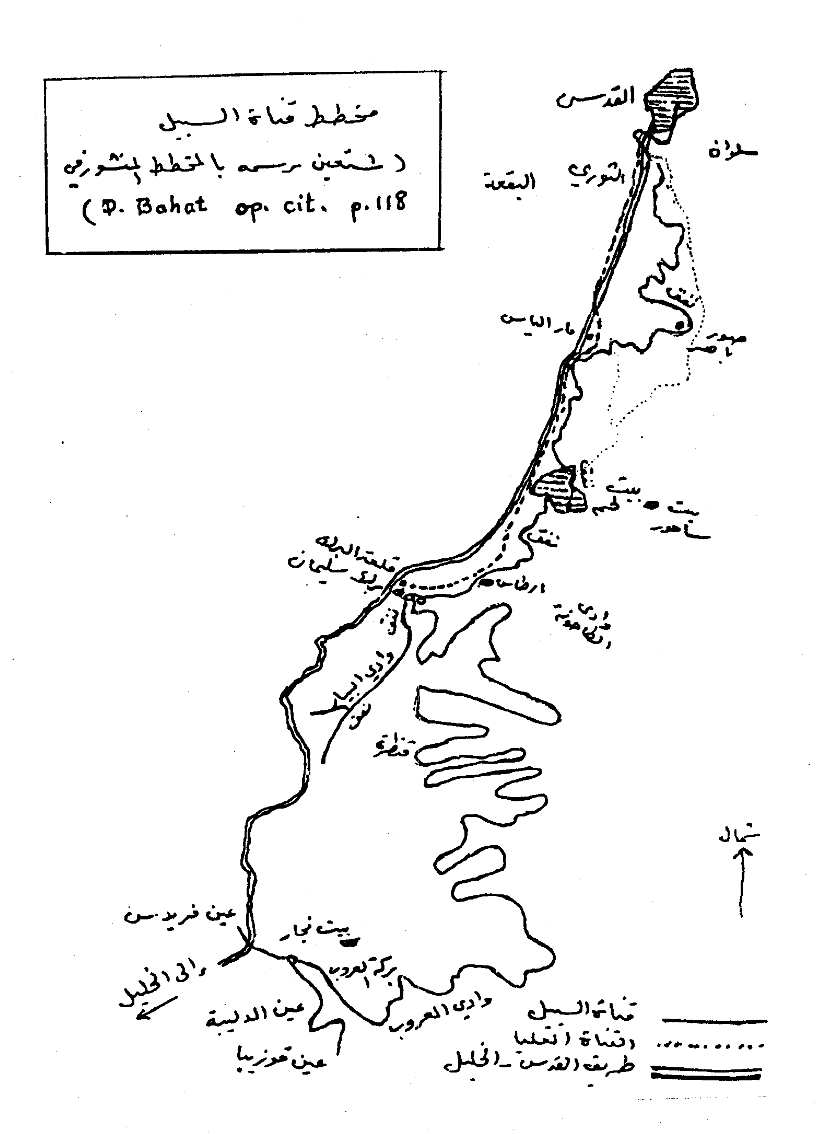
(لوحة ٥٢) دخلة السبيل المصاصة بسبيل جانبلاط بالقاهرة. عن : الحداد)



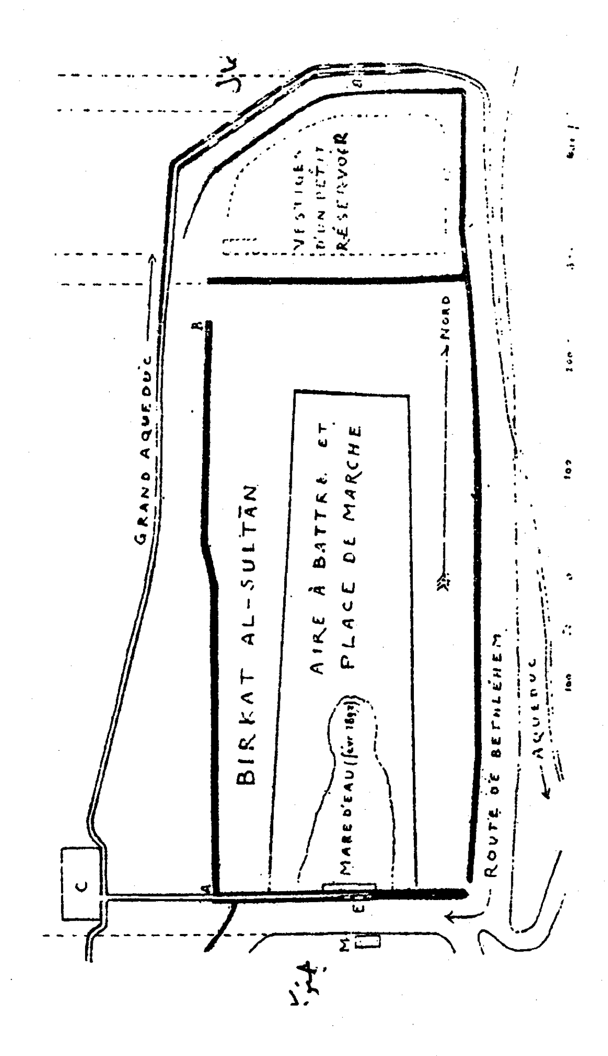
(شكل ١) برك القدس وضواحيها . (عن : العسلى) .



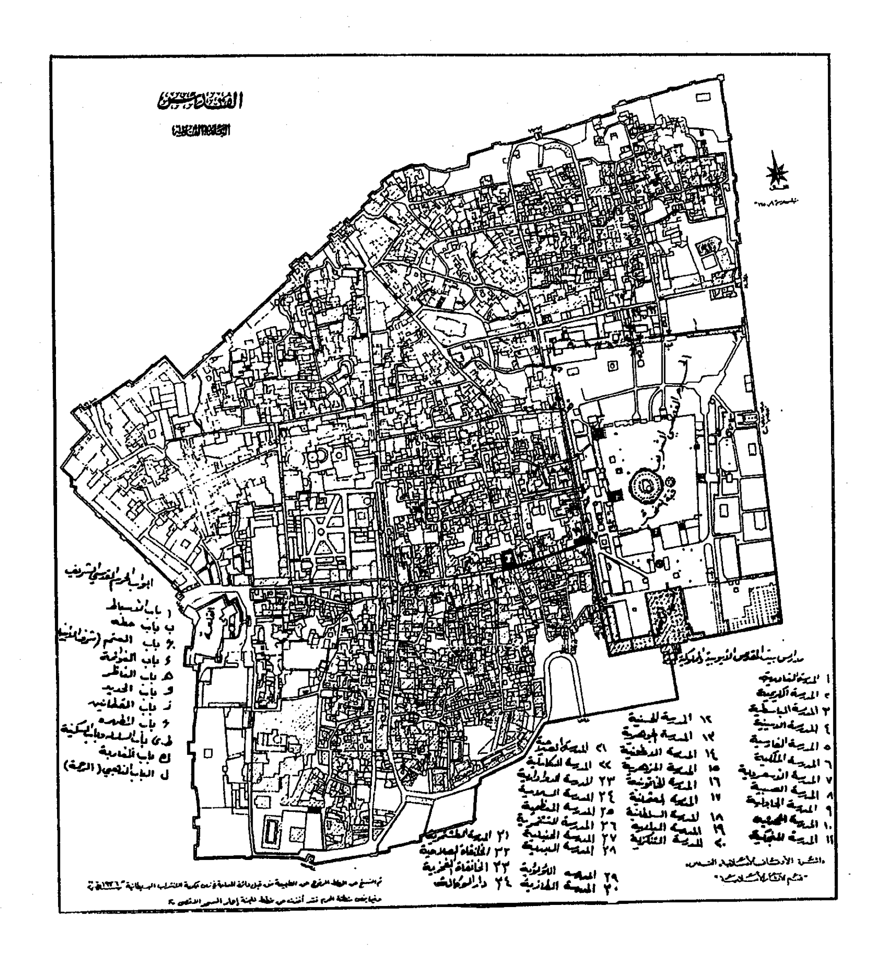
(شكل ٢) مخطط برك سليمان . (عن : العسلى) .



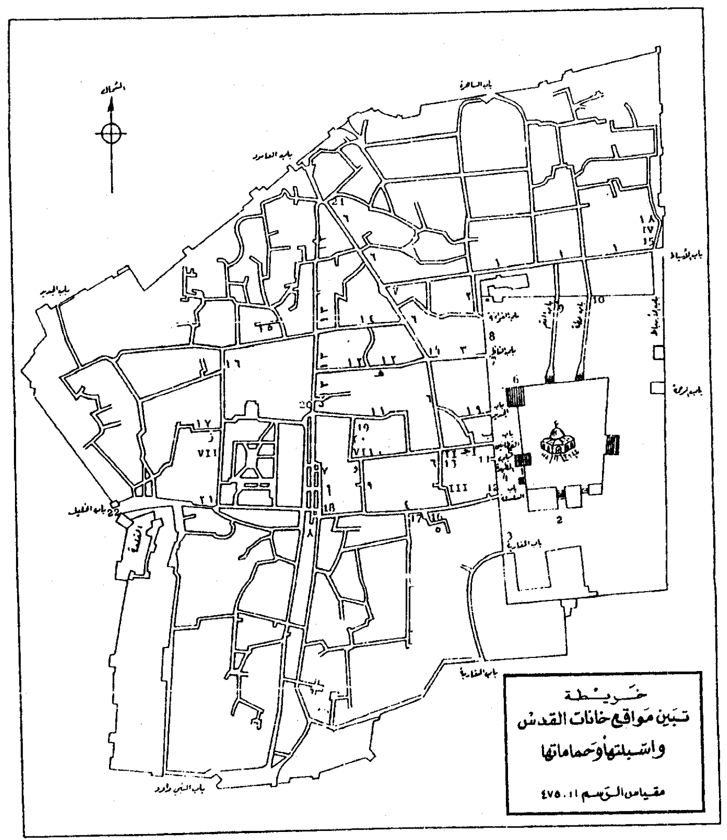
(شكل ٣) مخطط قناة السبيل . (عن : العسلي) .



(شكل ٣ مكرر) مخطط بركة السلطان، ويمثل حرف E موضع سبيل بركة السلطان
(عن : فان برشم) .



(شكل ٤) خريطة مدينة القدس (البلدة القديمة) . (عن : غوانمه) .



ارقام الطرق :

(١) طريق المجاهدين (٢) طريق باب الغوانمة (٣) طريق باب الناظر (٤) طريق باب السلسلة (٥) عقبة ابو مدين (٦) طريق الواد (٧) سوق الخواجات (٨) سوق الباشورة (٩) طريق الهكاري (١٠) عقبة الخالدية (١١) عقبة السرايا (١٢) عقبة التكية (١٣) سوق خان الزيت (١٤) عقبة المفتي (طريق الآلام) (١٥) عقبة الخانقاه (١٦) طريق حارة النصارى (١٧) عقبة خان الاقباط (١٨) طريق برج اللقلق (١٩) طريق باب الحديد (٢٠) طريق القرمي (٢١) سويقة علون .

الخانـات :

(أ) خان السلطان (ب) خان القادرية (جـ) خان تنكز (د) خان الزيت (هـ) خان الخاصكية (و) خان الجبيلي (ز) خان الاقباط (ح) خان الشمارة .

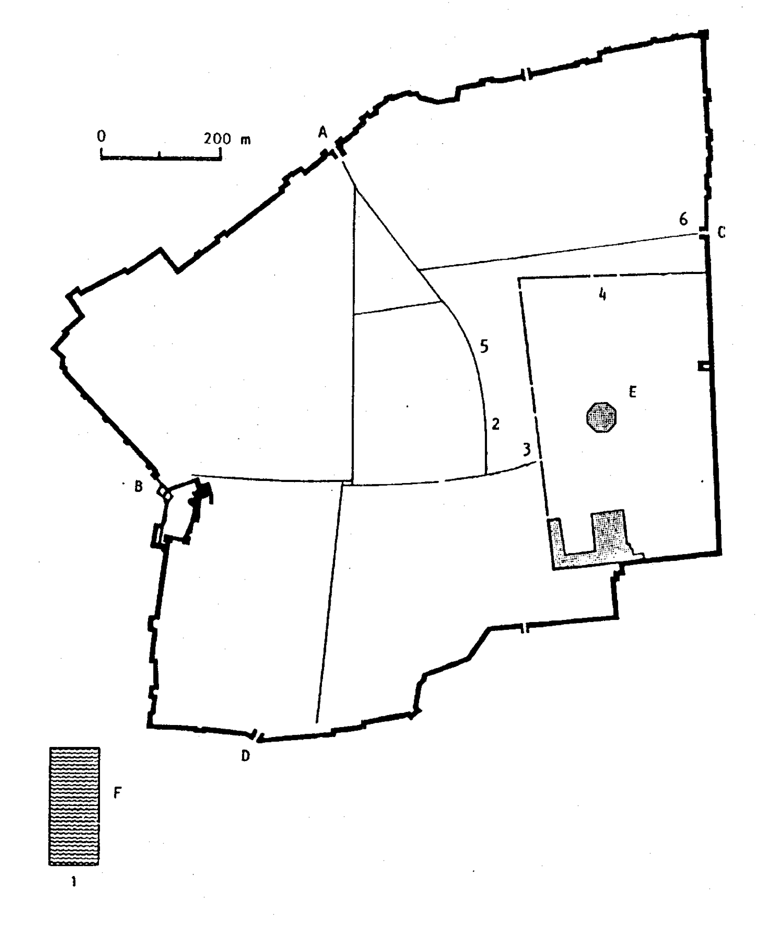
الحمامـات :

I حمام الشفا II حمام العين III مستحم درج العين IV حمام السيدة مريم V حمام السلطان VI حمام علاء الدين البصير VII حمام البطرك .

الأسبلـة

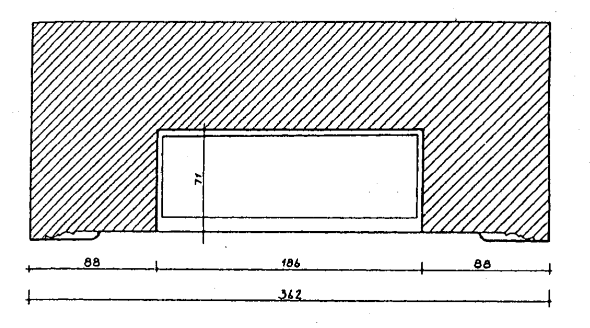
(1) صهريج الملك المعظم وسقاية قاسم بن عبد الله (2) الكاس (3) سبيل غير معروف الاسم (4) سبيل قاسم باشا (5) سبيل قايتباي (6) سبيل شعلان (7) سبيل الشيخ بدير (8) سبيل باب الحبس (9) سبيل سليمان (10) سبيل باب حطة (11) سقاية الملك العادل (12) سبيل باب السلسلة (13) سبيل الواد (14) سبيل باب الناظر (15) سبيل السيدة مريم (16) سبيل تربة بركة خان (17) سبيل الطشتمرية (18) سبيل خان السلطان (19) سبيل القرمي (20) سبيل باب خان الزيت (21) سبيل الشوربجي (22) سبيل باب الخليل .

(شكل ٤ مكرر) خريطة مدينة القدس موضحاً عليها مواضع الأسبلة والحمامات والخانات الآثارية الإسلامية . (عن : العسلى) .

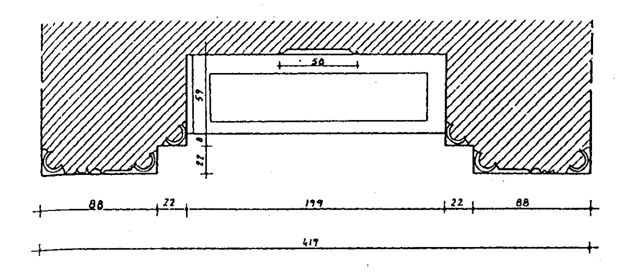


(شكل ٥) خريطة مدينة القدس موضحاً عليها مواضع الأسبلة السليمانية (موضع الدراسة)
(رسم : R.GRafmann) . عن : M.R. AYLON

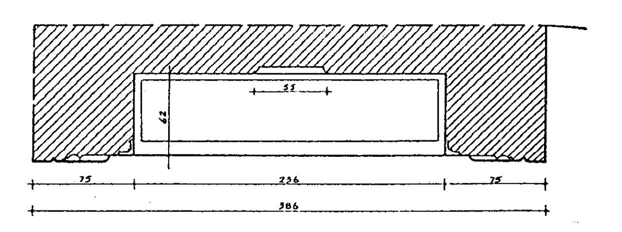
F – بركة السلطان
١ – سببيل بركة السلطان ظاهر البلدة القديمة .
٢ – سبيل طريق الواد أو سبيل باب القطانين .
٣ – سبيل باب السلسلة .
٤ – سبيل سليمان تجاه باب الدويدارية (باب العتم أو باب فيصل) .
٥ – سبيل ستنا مريم أو سبيل باب الأسباط .
٦ – سبيل باب الناظر .



١ - سبيل بركة السلطان ١٠ محرم ٩٤٣هـ/١٥٣٦م .

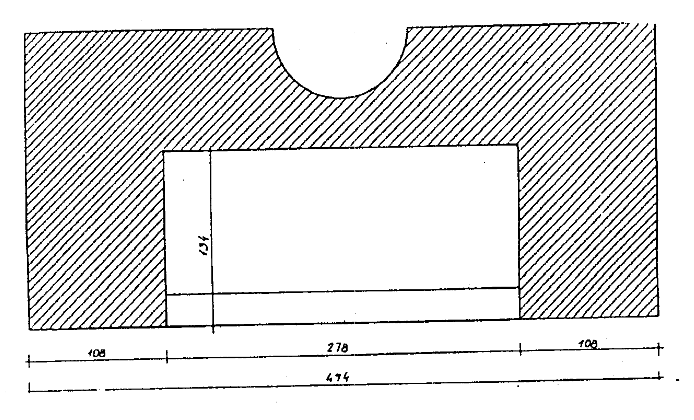


٢ - سبيل طريق الواد أو سبيل باب القطانين أول رجب ٩٤٣هـ/١٥٣٦م .

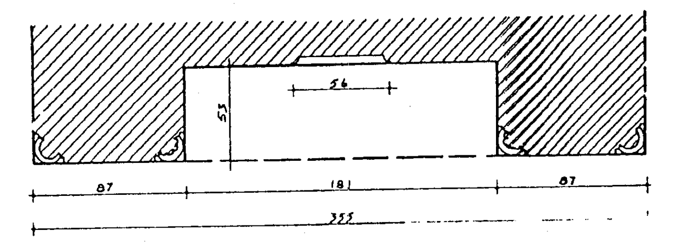


٣ - سبيل باب السلسلة ٢٢ رجب ٩٤٣هـ/١٥٣٦م .

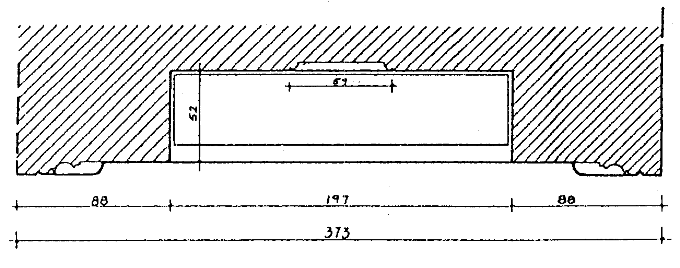
(شكل ٦) مسقط أفقي للأسبلة السليمانية الثلاث الأولى (١ - ٣) مرتبة وفق تاريخ أنشائها . (رسم G.solar عن : M.R. AYLON) .



٤ - سبيل سليمان تجاه باب الدويدارية (باب العتم أو باب فيصل)
أوائل شهر شعبان ٩٤٣هـ/١٥٣٧م .

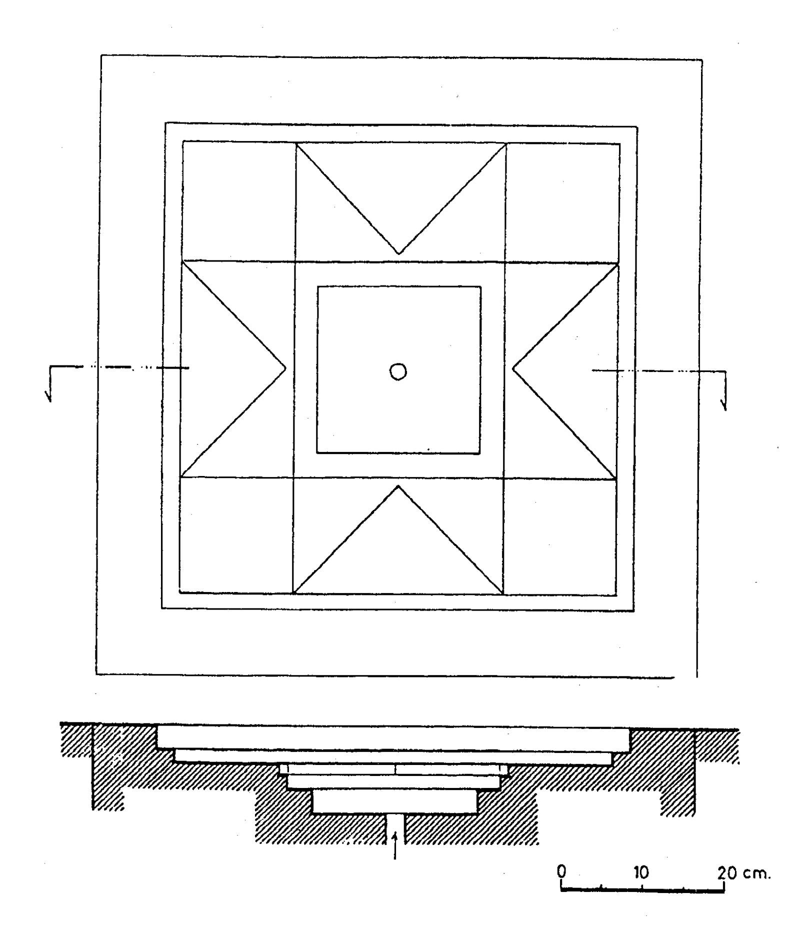


٥ - سبيل ستنا مريم أو سبيل باب الأسباط من المرجح أنه أنشئ في
أواخر شعبان ٩٤٣هـ/١٥٣٧م .

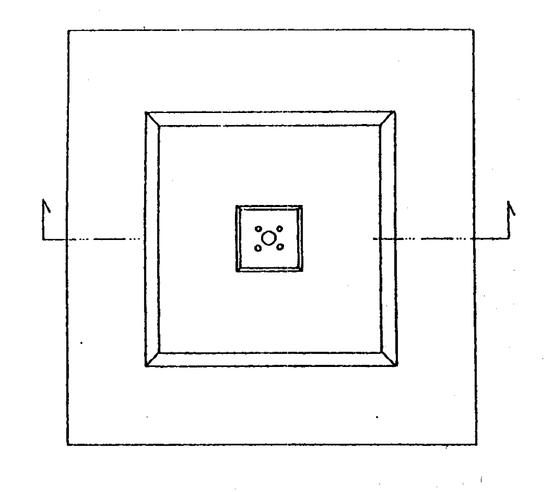


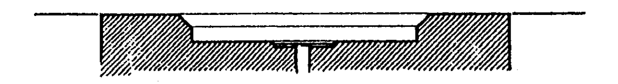
٦ - سبيل باب الناظر ٢ رمضان ٩٤٣هـ/١٥٣٧م .

(شكل ٦ مكرر) مسقط أفقي للأسبلة السليمانية الثلاث الأخرى (٤ - ٦) مرتبة وفق تاريخ أنشائها . (رسم G.solar عن : M.R. AYLON) .

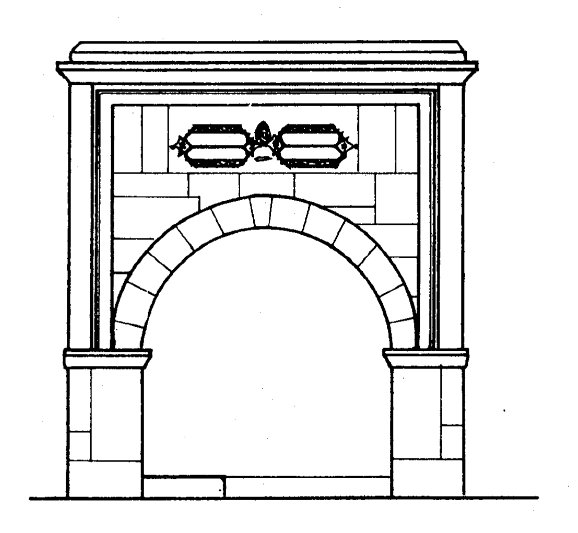


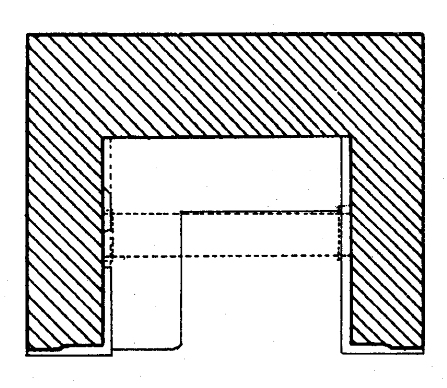
(شكل ٧) مسقط أفقي لچشمة حاجي بيرم في أنقرة . (عن : ÖNGE) .





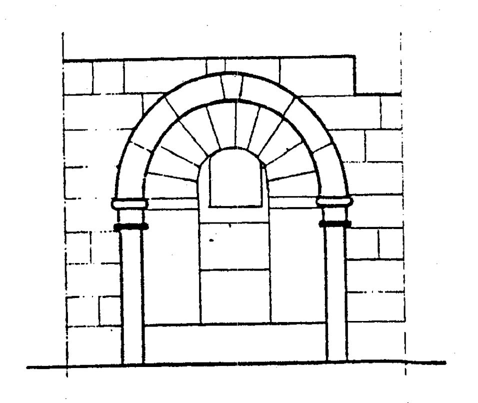
(شكل ٨) مسقط أفقي للچشمة ضمن الجامع الأخضر (يشيل جامع) في بروسة أو بورصة) (عن : ÖNGE) .

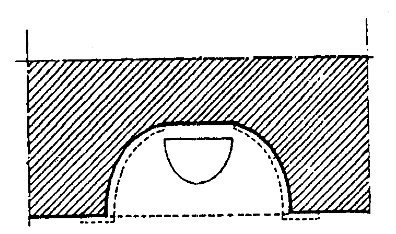




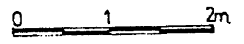
(شكل ٩) مسقط أفقي وواجهة چشمة Mutevelli في مدينة قيصرية الأناضولية
(عن : Denktaş) .

Plan: 10



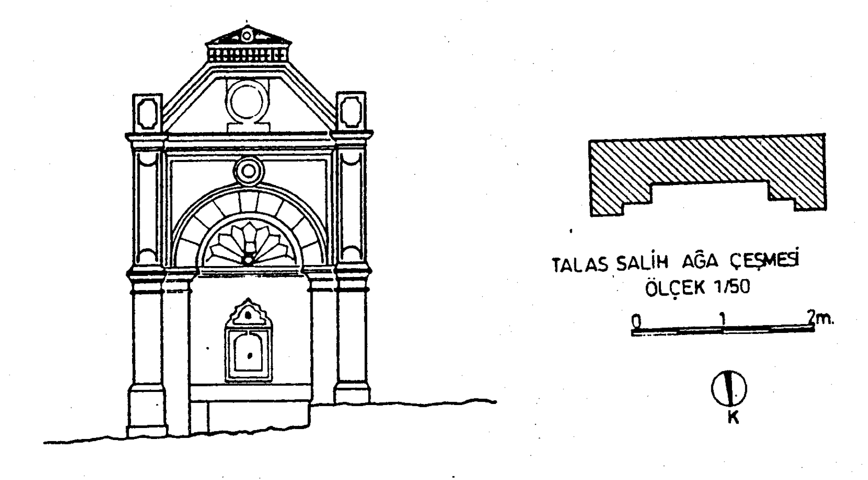


TALAS AHMET EFENDİ ÇEŞMESİ
ÖLÇEK 1/50



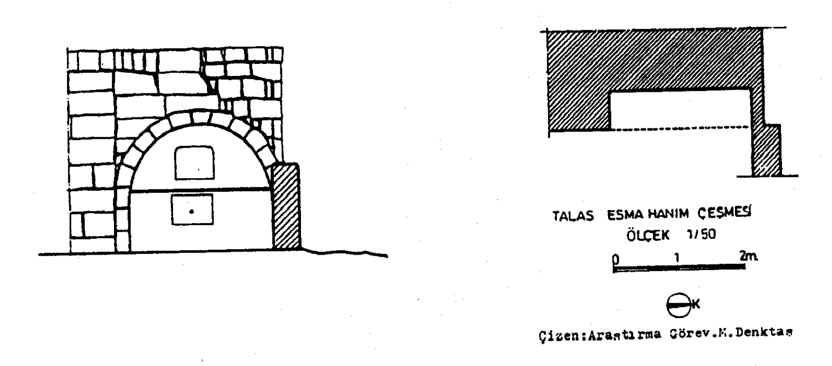


(شكل ١٠) مسقط أفقي وواجهة چشمة حاجي أحمد أفندى في طلاس . (عن : Türkmen) .

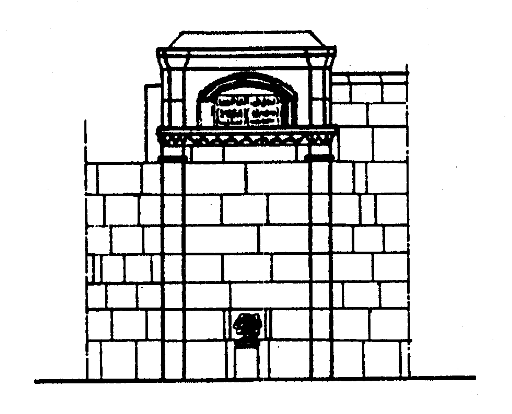


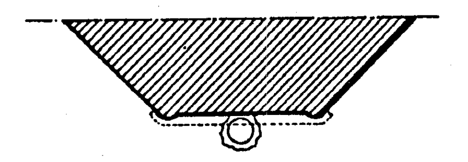
(شكل ١١) مسقط أفقي وواجهة چشمة صالح أغا
في طلاس . (عن: Türkmen) .

Plan: 9

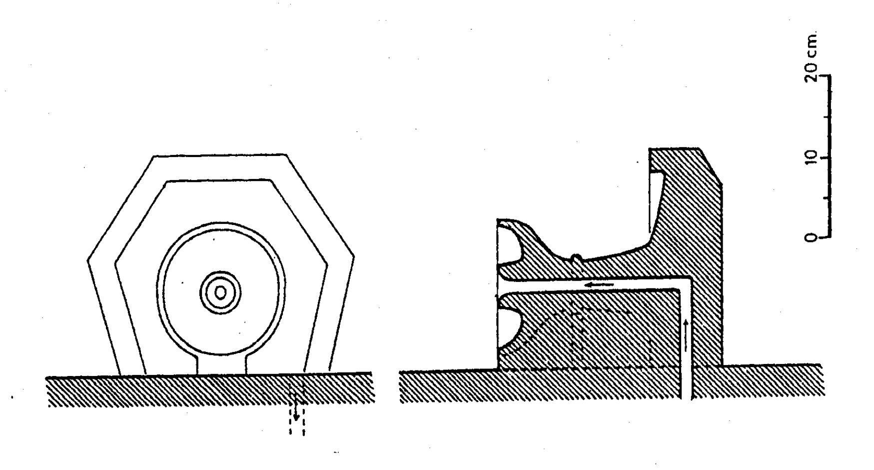


(شكل ١٢) مسقط أفقي وواجهة چشمة أسما خانم
في طلاس . (عن : Türkmen) .

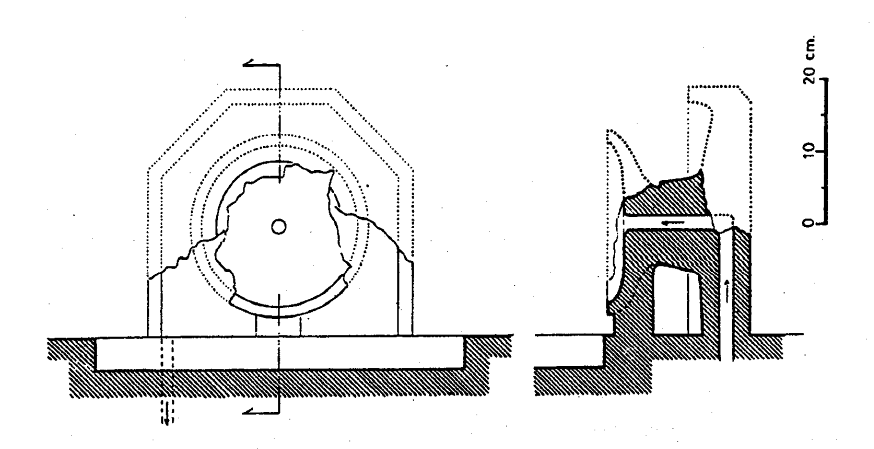




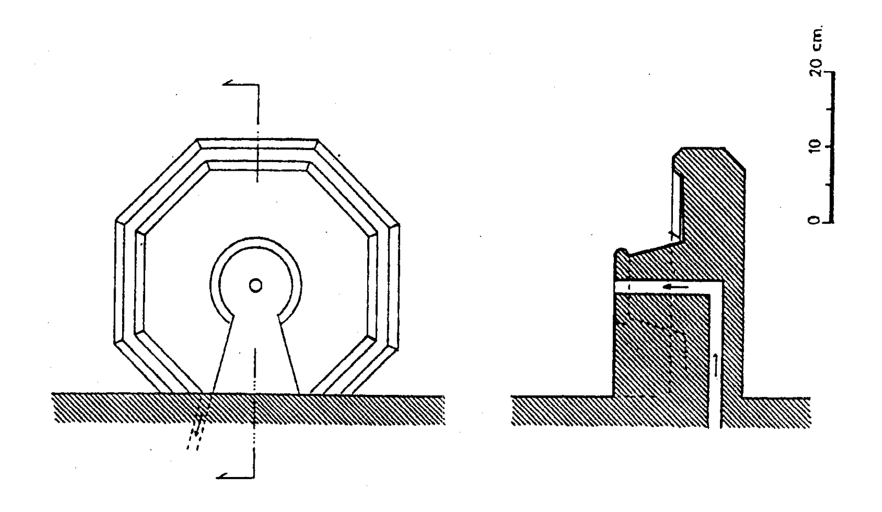
(شكل ١٣) مسقط أفقي وواجهة چشمة علي صائب باشا
في طلاس . (عن : Türkmen) .



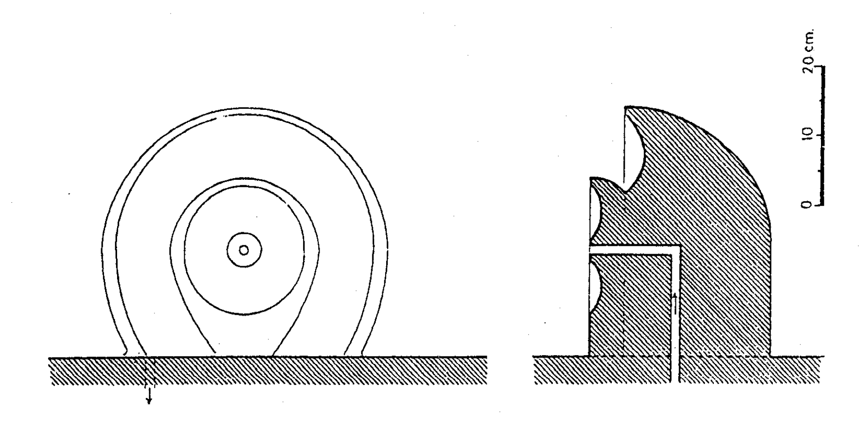
(شكل ١٤) مسقط أفقي لچشمة گلبهار خاتون
في أدرنة . (عن : ÖNGE) .



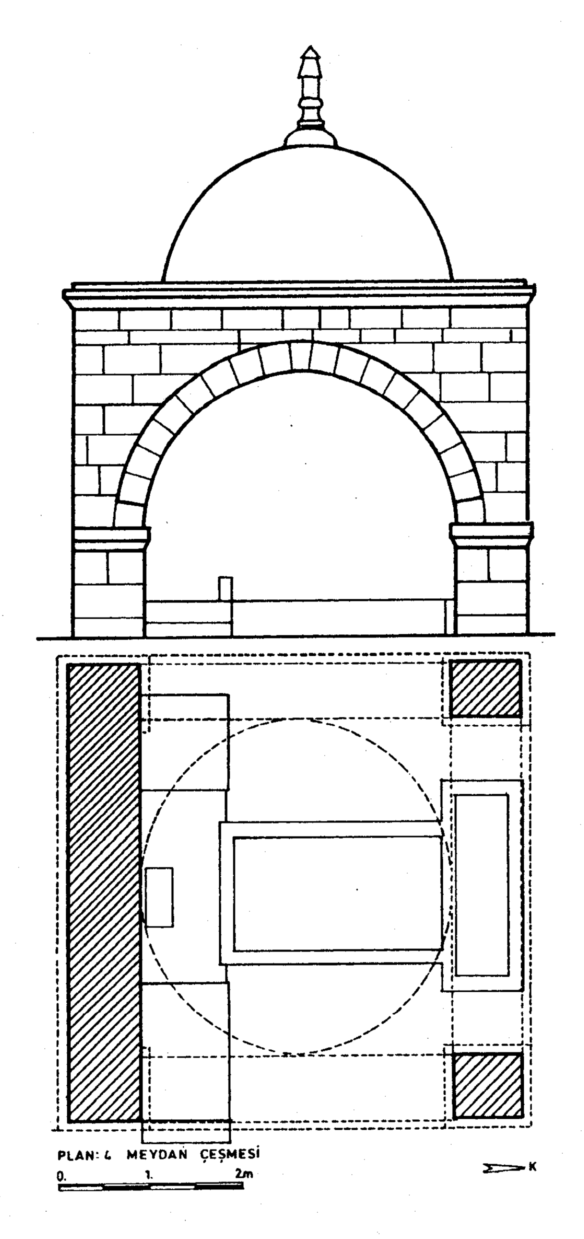
(شكل ١٥) مسقط أفقي لچشمة سنان أغا
في أدرنة . (عن : ÖNGE) .



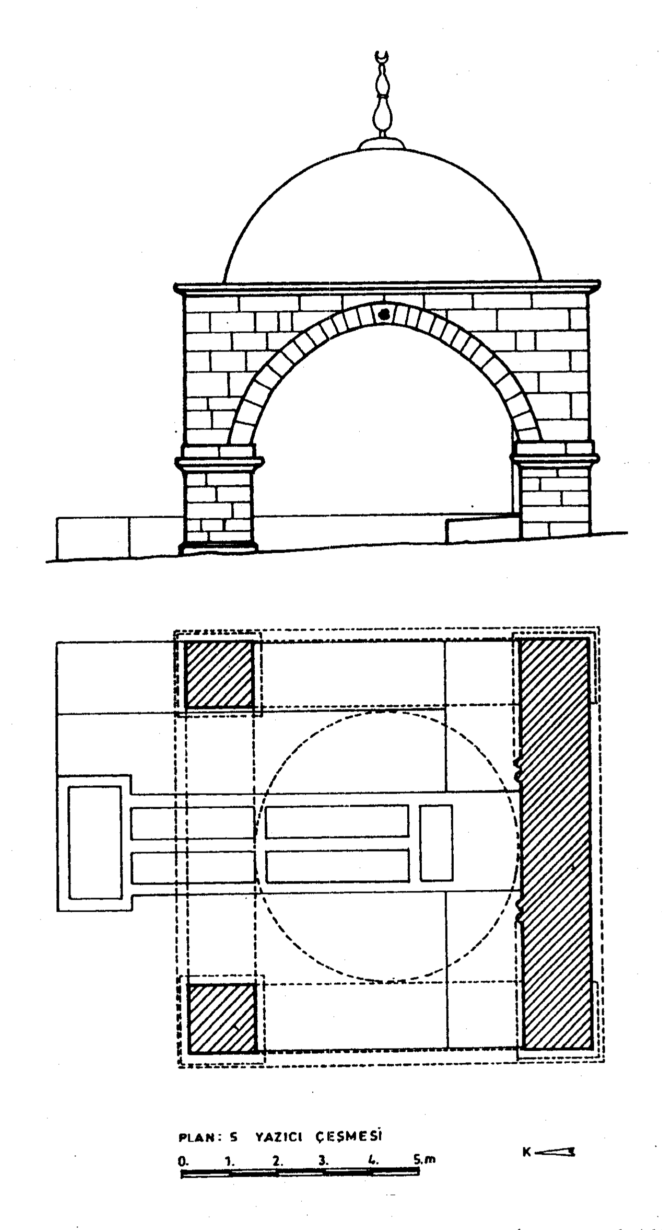
(شكل ١٦) مسقط أفقي لجشمة حسين باشا
في أدرنة . (عن : ÖNGE) .



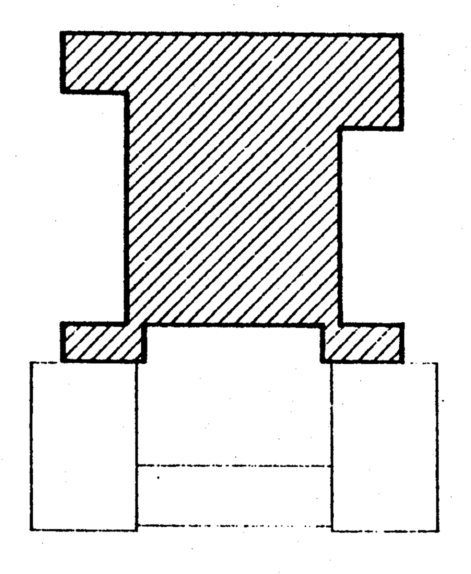
(شكل ١٧) مسقط أفقي لجشمة قرة مصطفى باشا
في أدرنة . (عن : ÖNGE) .

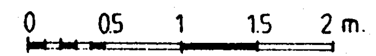


(شكل ١٨) مسقط أفقي لچشمة الميدان في قيصرية . (عن : Denktaş) .



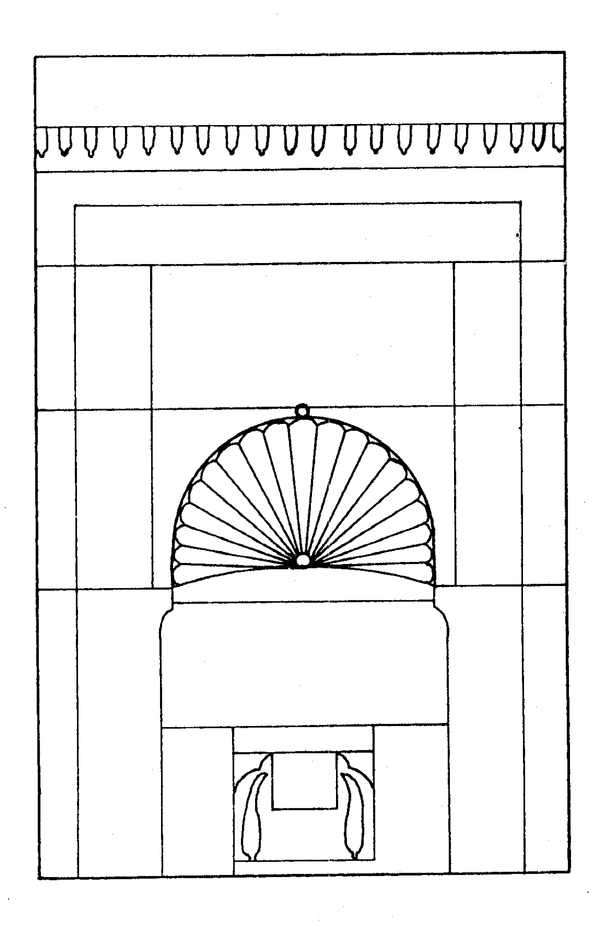
(شكل ١٩) مسقط أفقي وواجهة چشمة Yazici في قيصرية . (عن Denktaş) .

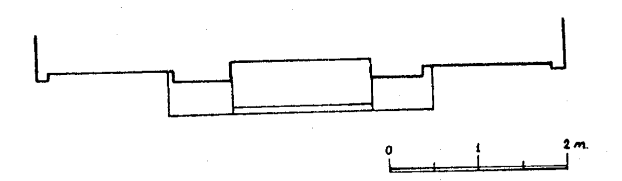




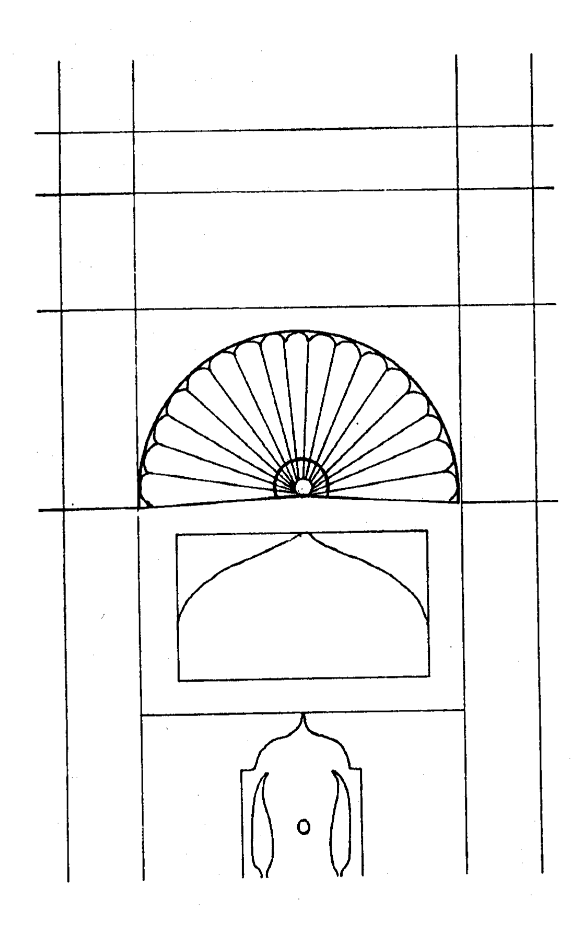


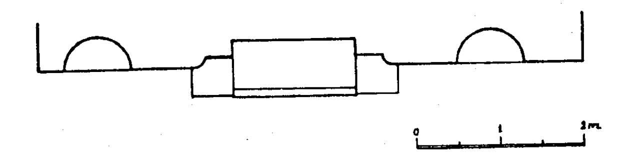
(شكل ٢٠) مسقط أفقي لچشمة Inayköyü (عن: BAŞ) .



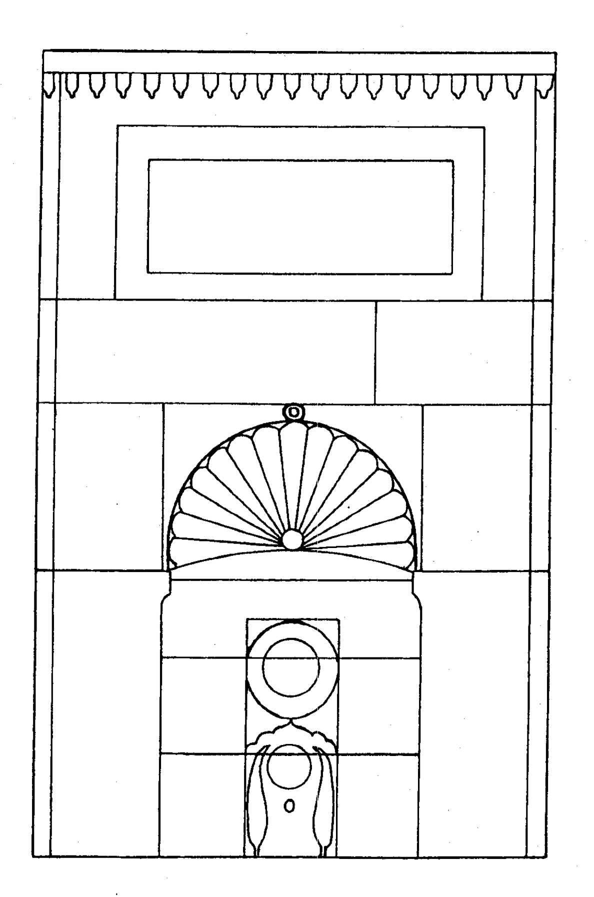


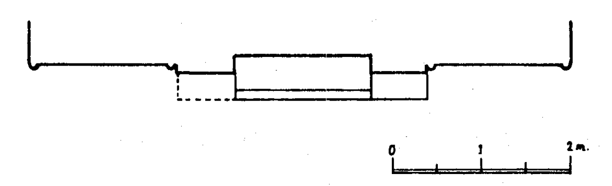
(شكل ٢١) مسقط أفقي وواجهة چشمة إسماعيل أغا في استانبول . (عن : Barişta) .



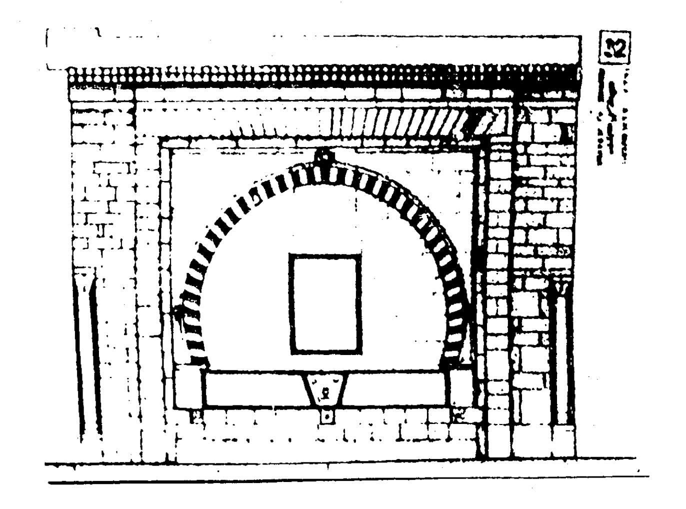


(شكل ٢٢) مسقط أفقي وواجهة چشمة Kemankaş في استانبول . (عن Barişta) .

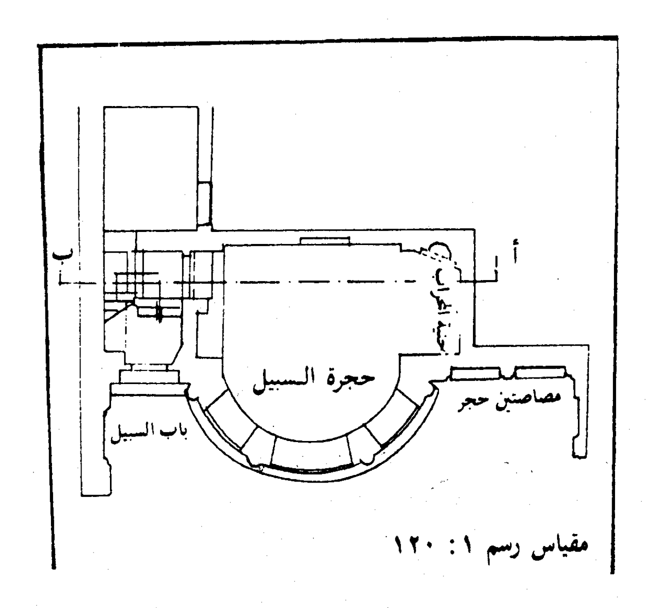




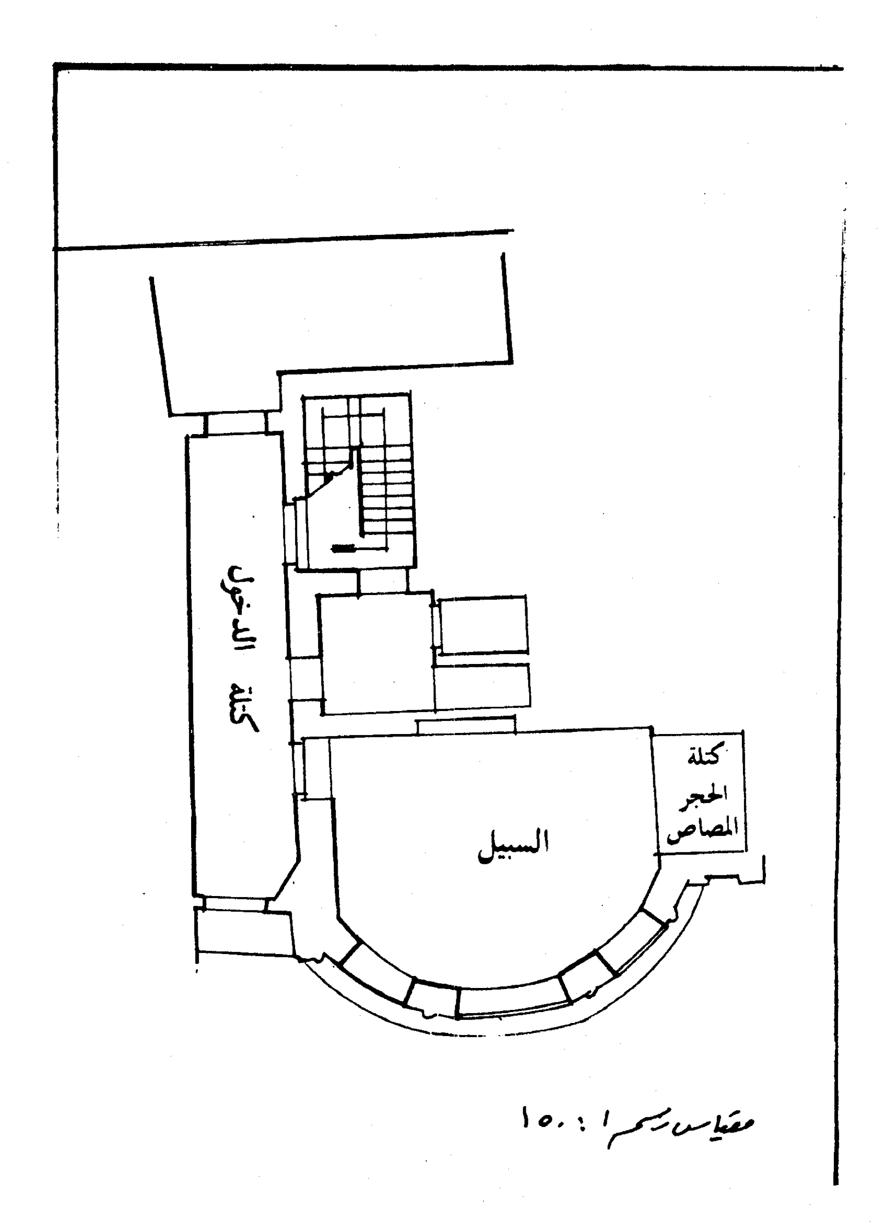
(شكل ٢٣) مسقط أفقي وواجهة چشمة قبطان حاجى حسين باشا في استانبول
(عن :Barişta) .



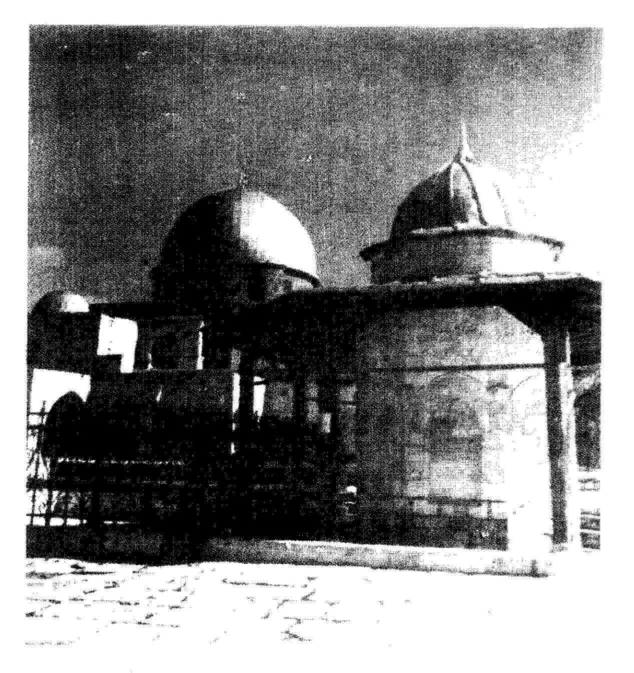
(شكل ٢٤) واجهة سبيل يوسف داى بمدينة بنزرت التونسية . (عن :القفصي) .



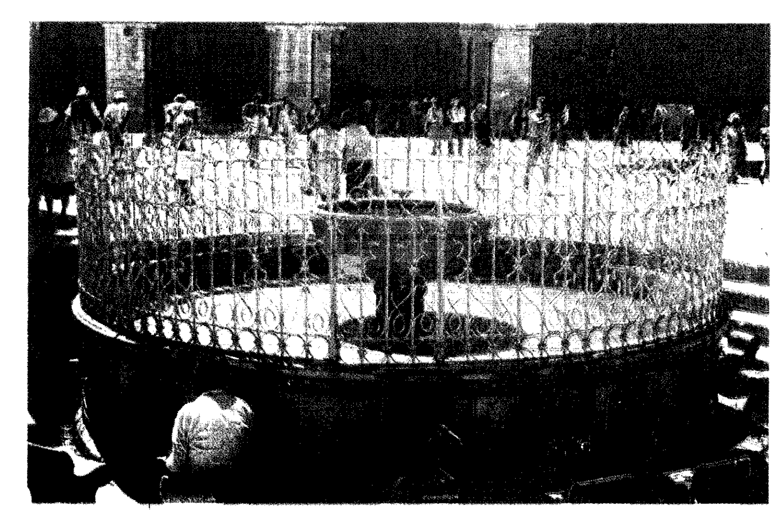
(شكل ٢٥) مسقط أفقي لسبيل رقية دودو بالقاهرة . (عن : الحسينى) .



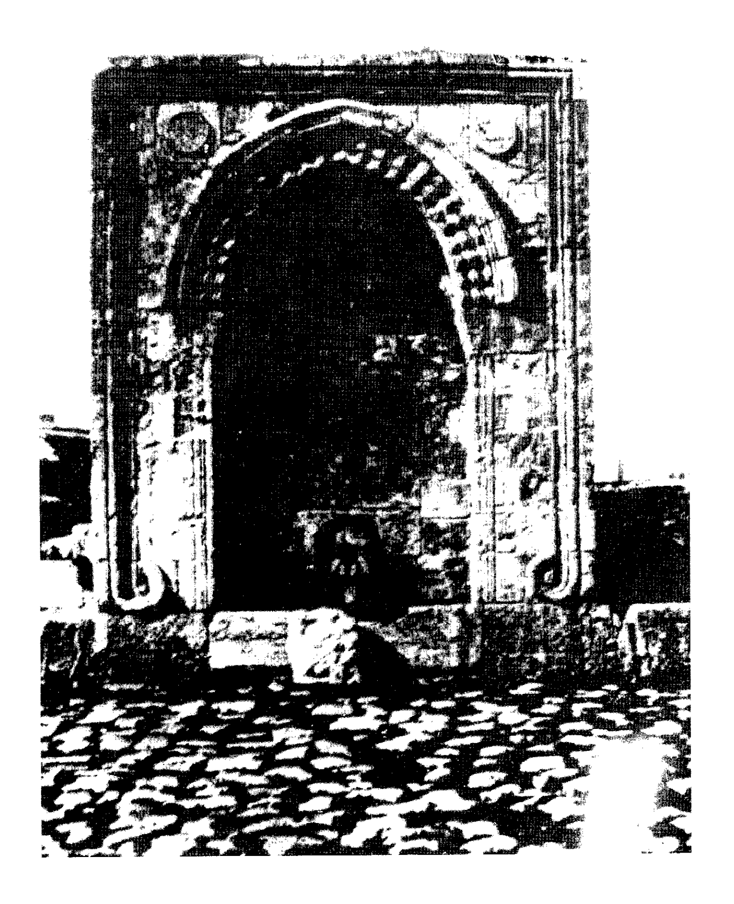
(شكل ٢٦) مسقط أفقي لسبيل جنبلاط بالقاهرة . (عن : الحسينى) .



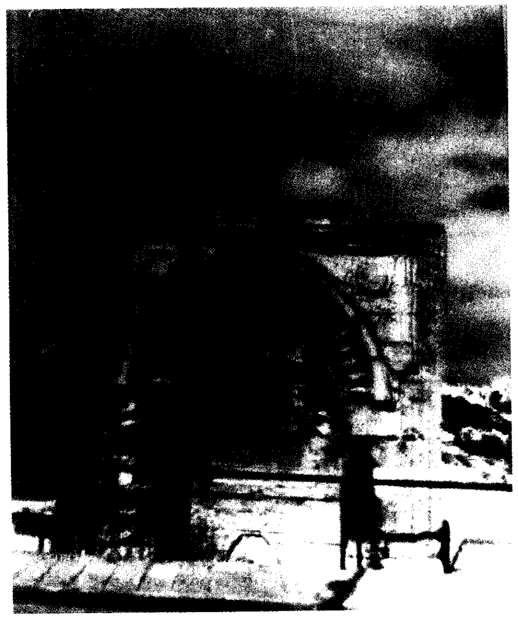
(**لوحة ١**) سبيل قاسم باشا بالقدس الشريف عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي) .



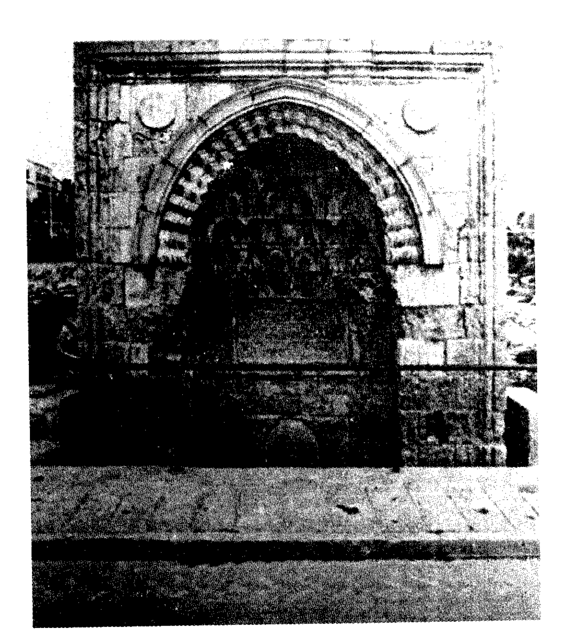
(**لوحة ٢**) السبيل المعروف بالكأس بالقدس الشريف عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .



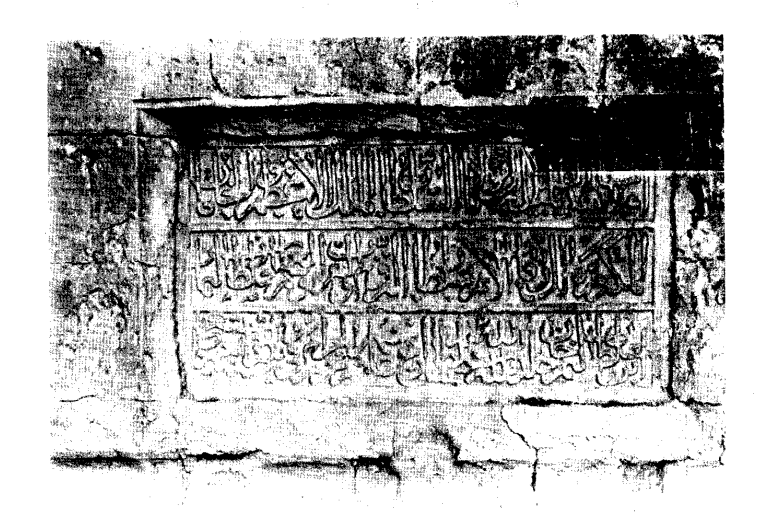
(**لوحة ٣**) سبيل بركة السلطان : واجهة السبيل عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .



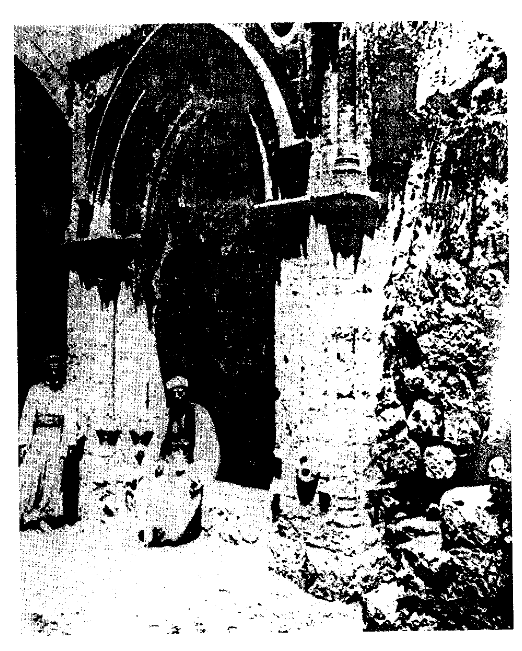
(لوحة ٤) سبيل بركة السلطان
عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي) .



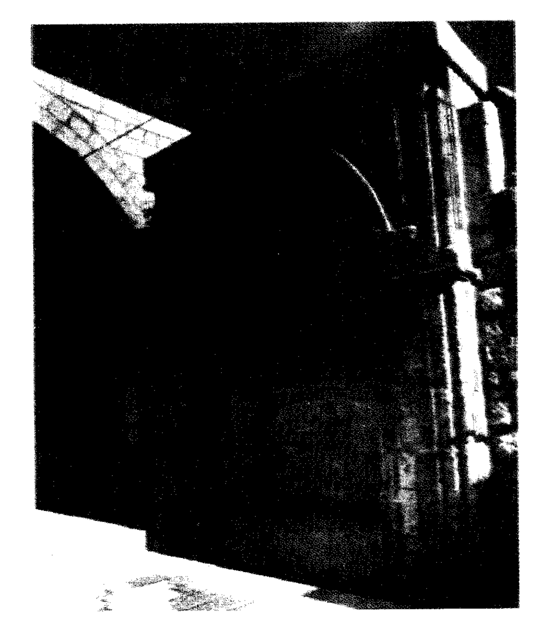
(لوحة ٥) سبيل بركة السلطان
واجهة السبيل عام ١٩٨٣م .
(عن : كنوز القدس) .



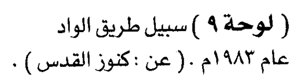
(**لوحة ٦**) سبيل بركة السلطان : النقش الإنشائي عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .



(**لوحة ٧**) سبيل طريق الواد عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .



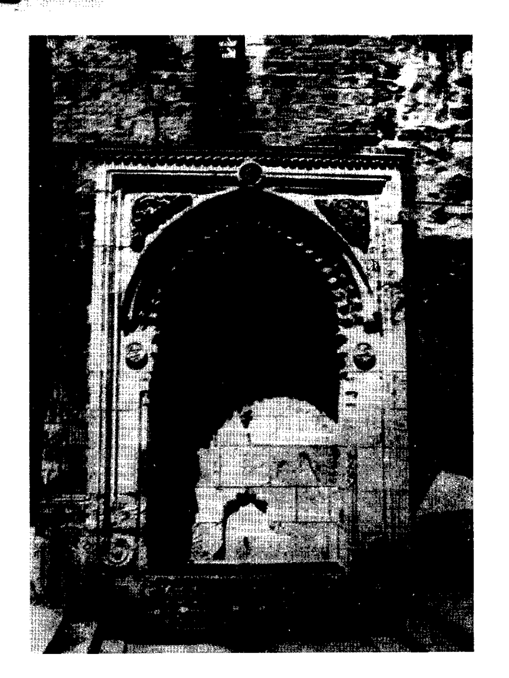
(**لوحة ٨**) سبيل طريق الواد
عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي) .

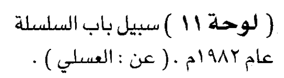




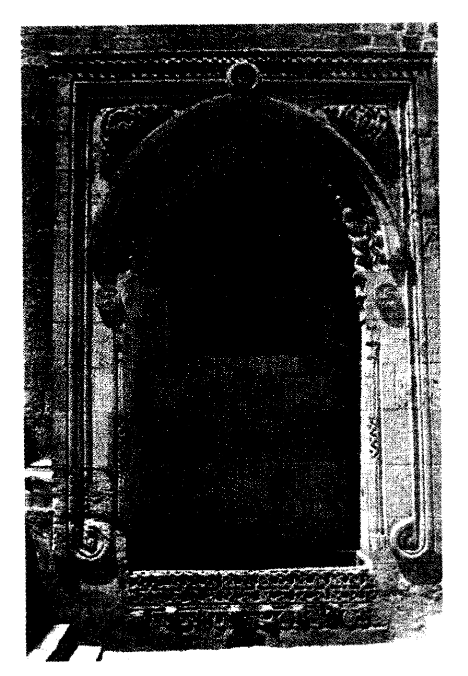
(**لوحة ٩**) سبيل طريق الواد
عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .

(**لوحة ١٠**) سبيل باب السلسلة
عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .

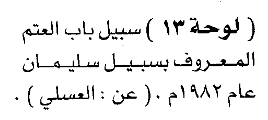




(**لوحة ١١**) سبيل باب السلسلة
عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي) .

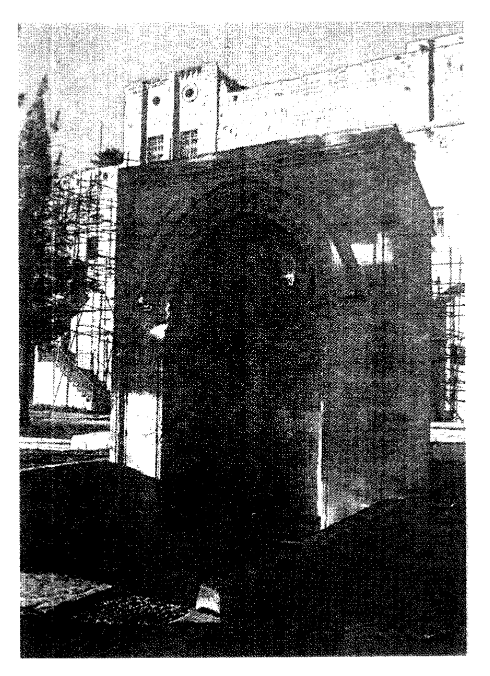


(**لوحة ١٢**) سبيل باب السلسلة عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .

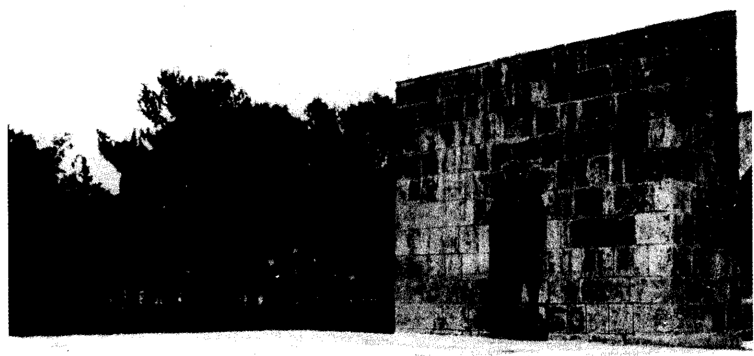


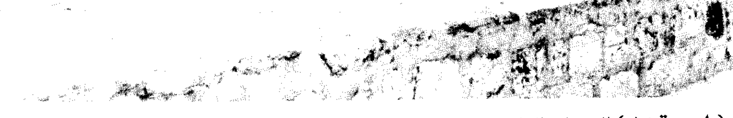
(**لوحة ١٣**) سبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي) .





(**لوحة ١٤**) سبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .





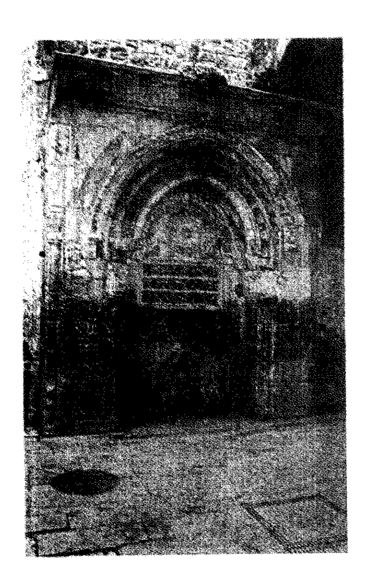
(**لوحة ١٥**) المصلى المكشوف خلف سبيل باب العتم المعروف بسبيل سليمان عام ١٩٨٣م .
(عن : كنوز القدس) .



(لوحة ١٦) سبيل باب الناظر عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .



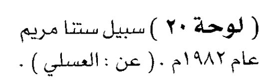
(**لوحة ١٧**) سبيل باب الناظر عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي) .



(**لوحة ١٨**) سبيل باب الناظر عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .



(**لوحة ١٩**) سبيل ستنا مريم
عام ١٨٦٥م . (عن : فان برشم) .

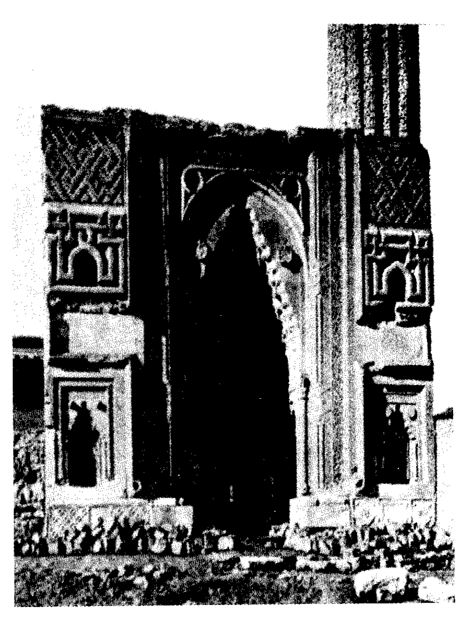


(**لوحة ٢٠**) سبيل ستنا مريم
عام ١٩٨٢م . (عن : العسلي) .





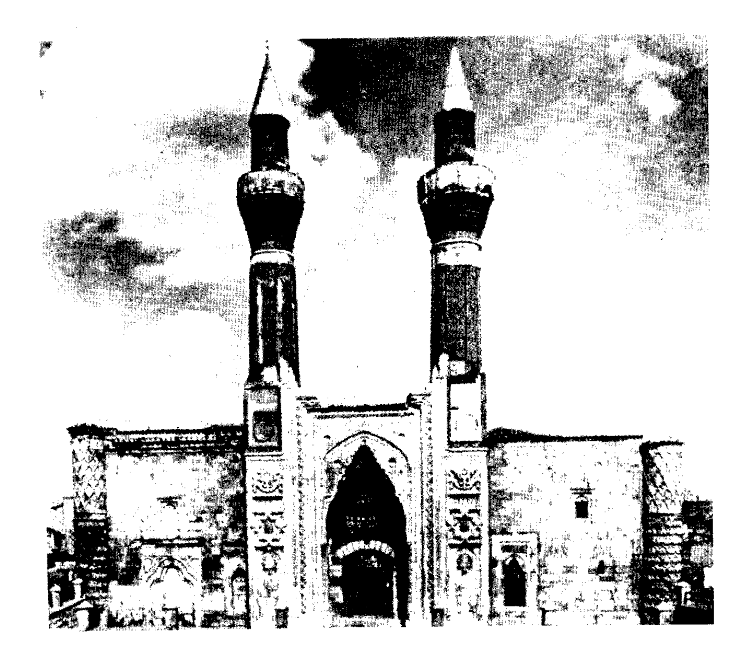
(**لوحة ٢١**) سبيل ستنا مريم
عام ١٩٨٣م . (عن : كنوز القدس) .



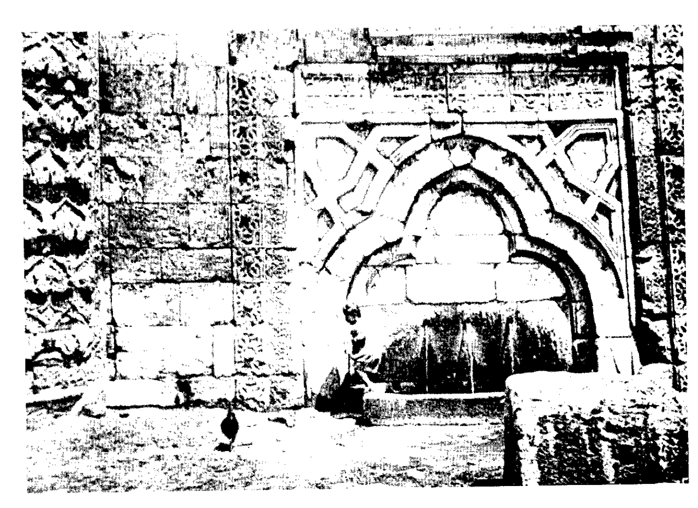
(**لوحة ٢٢**) مجمع (كلية) صاحب عطا
في قونية : الواجهة الرئيسية
(عن : آصلان آبا) .



(**لوحة ٢٣**) مجمع (كلية) صاحب عطا في
قونية : الچشمة اليسرى . (عن : أرسفان) .



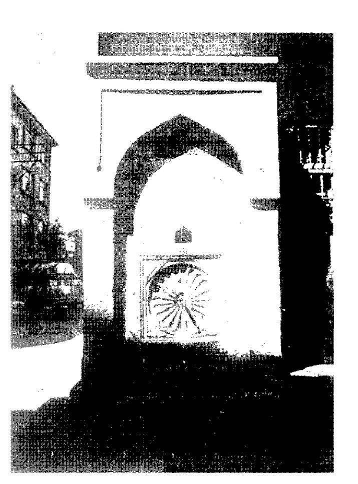
(**لوحة ٢٤**) مجمع (كلية) كوك مدرسة في سيواس : الواجهة الرئيسية . (عن : آصلان آبا) .

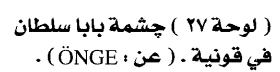


(**لوحة ٢٥**) مجمع (كلية) كوك مدرسة في سيواس : تفصيل للچشمة . (عن : جابربيل) .



(لوحة ٢٦) چشمة Şerefşirin
في قونية . (عن : ÖNGE) .

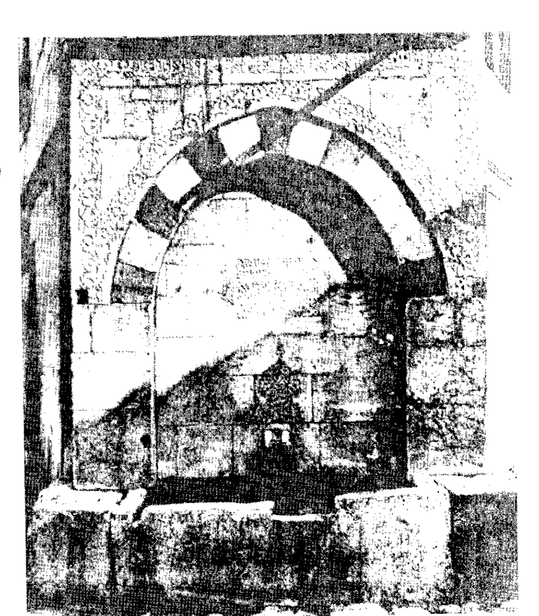




(لوحة ٢٧) چشمة بابا سلطان
في قونية . (عن : ÖNGE) .



(لوحة ٢٨) چشمة Horoz pinari
في مرزيفون (عن : جابر بيل) .



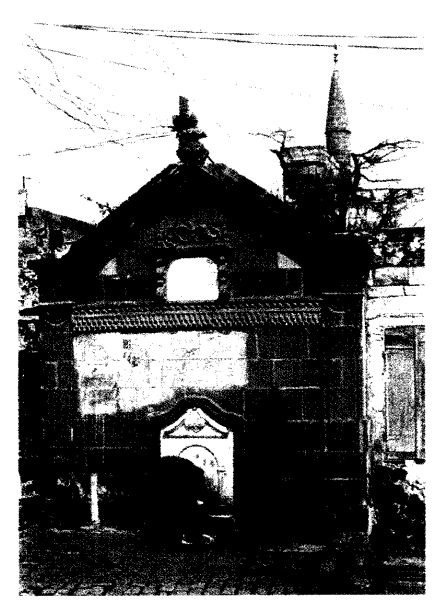
(لوحة ٢٩) چشمة Tokmak
في مرزيفون . (عن : جابر بيل) .



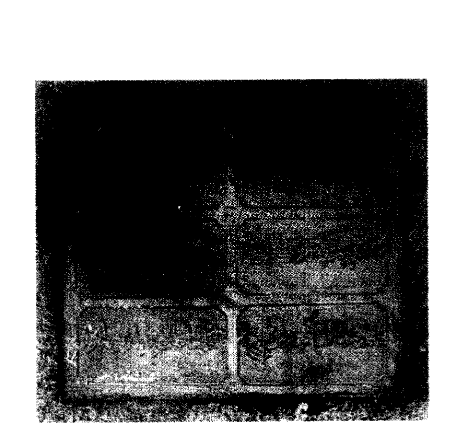
(لوحة ٣٠) چشمة تقليدية في مدينة ليماسول القبرصية
(عن : Yenişehiroğlu) .

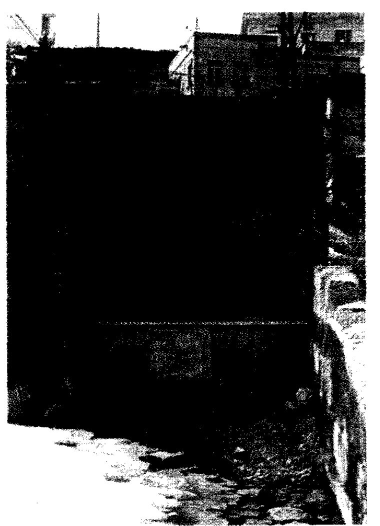


(لوحة ٣١) چشمة ملحقة بكوچك مدرسة في مدينة نيقوسيا القبرصية
(عن : Yenişehiroğlu) .

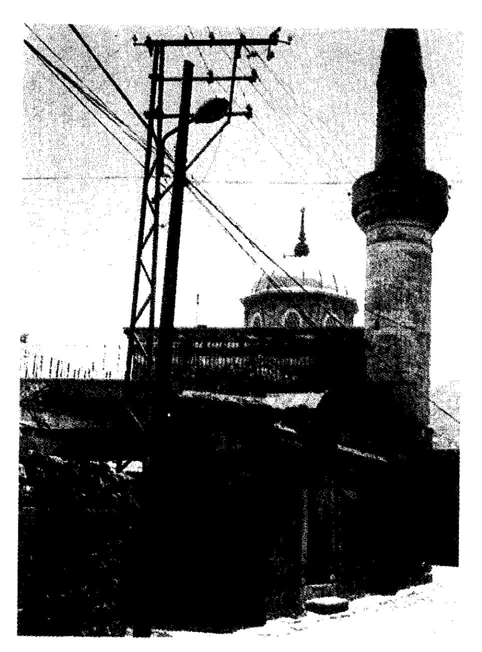


(لوحة ٣٢) چشمة الميدان في طلاس . (عن : Denktas) .



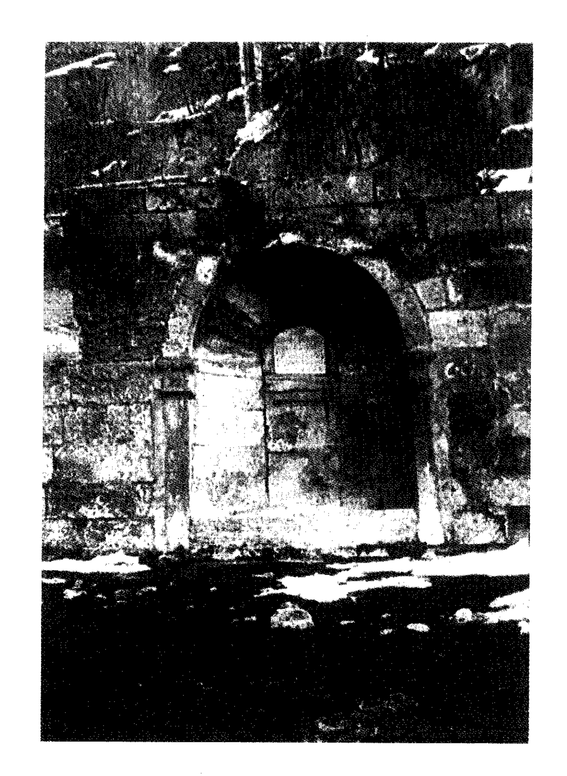


(لوحة ٣٣) چشمة أسما خانم في طلاس . (عن : Türkmen) .



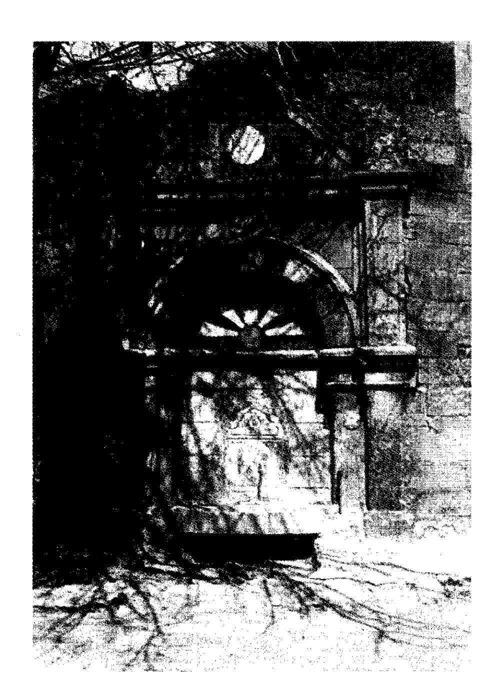


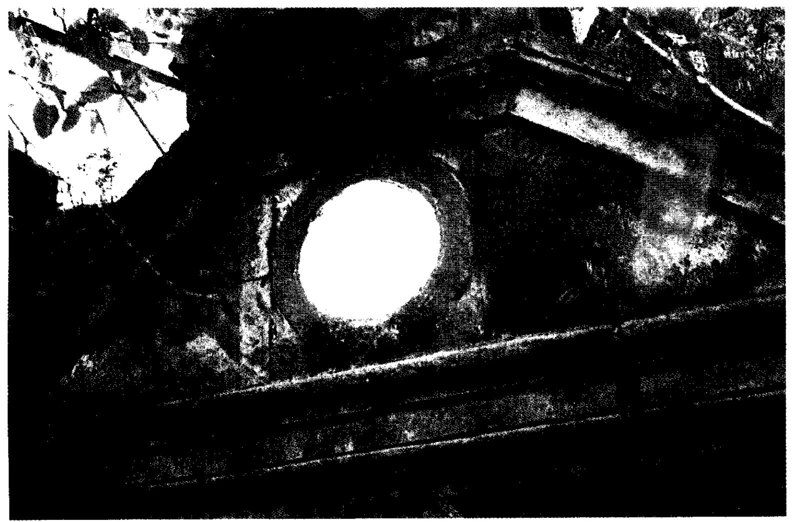
(لوحة ٣٤) چشمة علي صائب باشا في طلاس . (عن : Türkmen) .



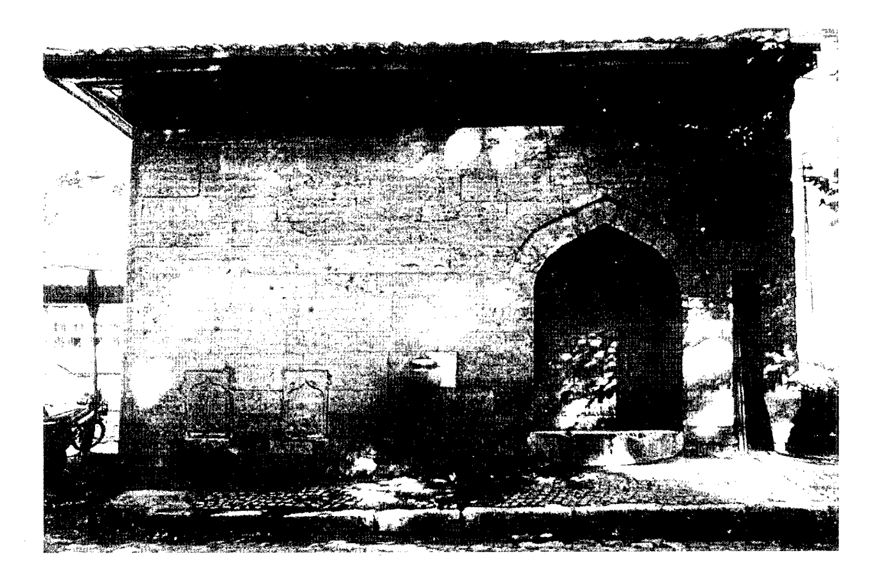


(لوحة ٣٥) چشمة حاجي أحمد أفندى في طلاس . (عن : Türkmen) .

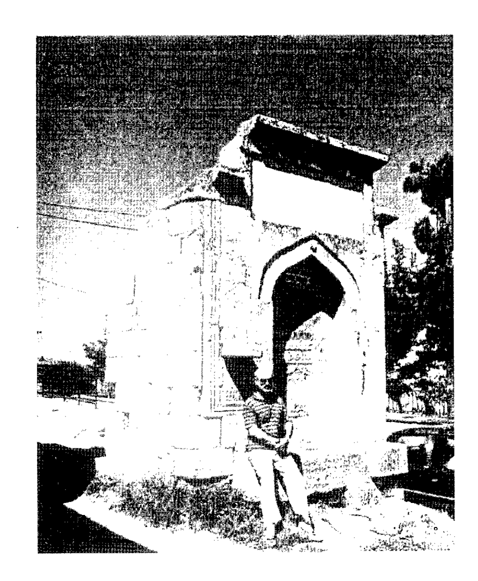




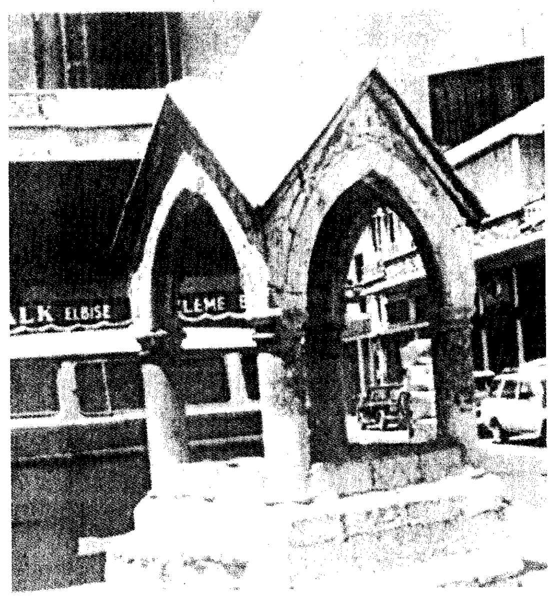
(لوحة ٣٦) چشمة صالح أغا في طلاس . (عن : Türkmen) .



(لوحة ٣٧) چشمة قره مصطفى باشا في أدرنه . (عن : ÖNGE) .



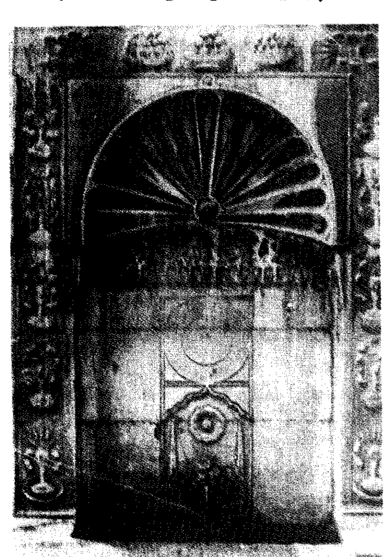
(لوحة ٣٨) چشمة حسين باشا في أدرنه . (عن : ÖNGE) .



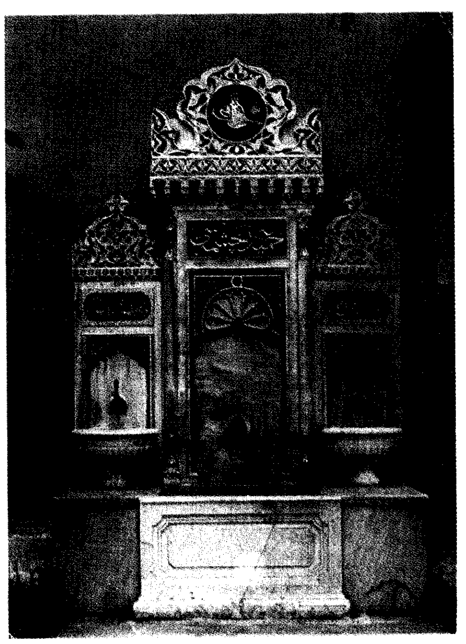
(لوحة ٣٩) چشمة غازي باشا في مدينة ليماسول القبرصية . (عن : Yenisehiroğlu) .



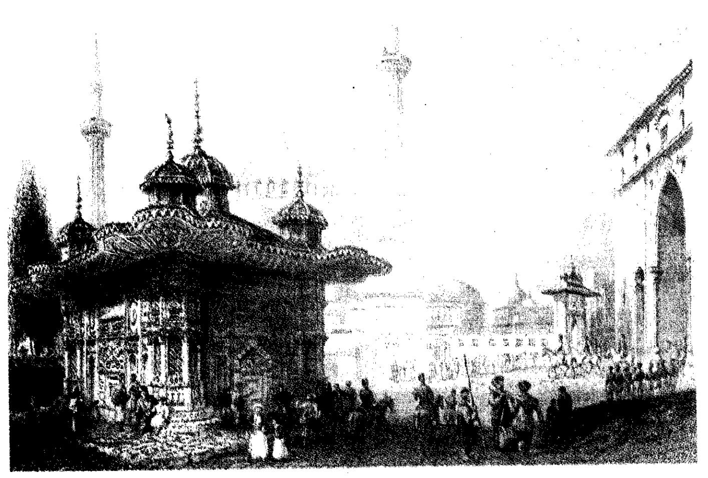
(لوحة ٤٠) چشمة إسماعيل أغا
في استانبول . (عن : Barista) .



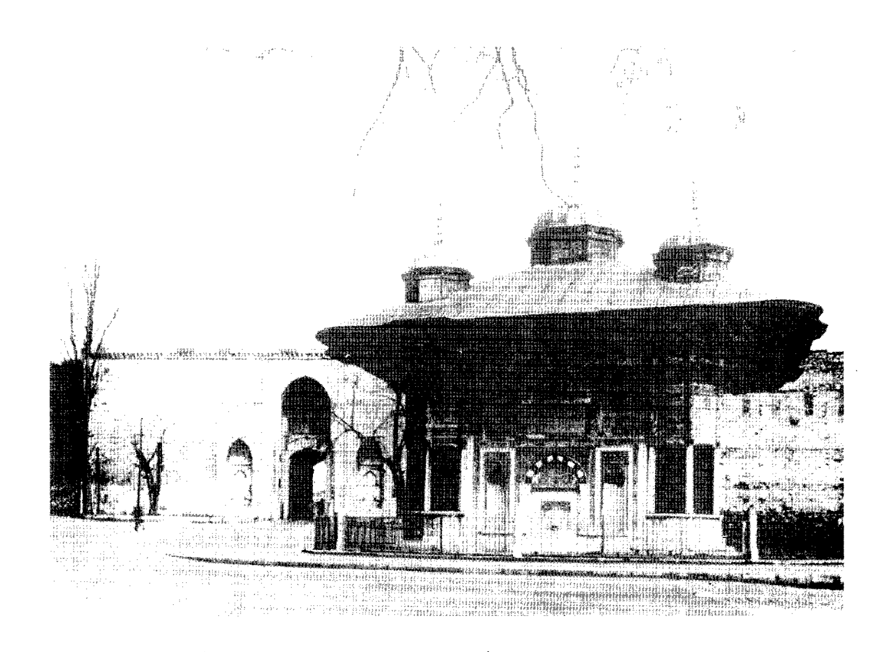
(لوحة ٤١) چشمة قبطان حسين باشا
في استانبول . (عن : Barista) .



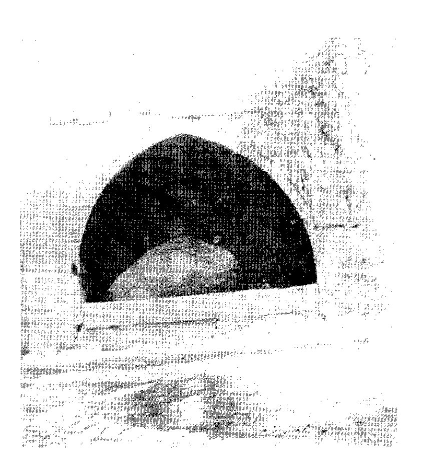
(لوحة ٤٢) چشمة السلطان عبد الحميد (حميدية چشمة سى) بيلديز سراى .
في استانبول(عن : Hellier) .



(لوحة ٤٣) سبيل وچشمة السلطان أحمد الثالث في استانبول
في أواخر القرن ١٩م . (عن : W.H. Bartlett) .



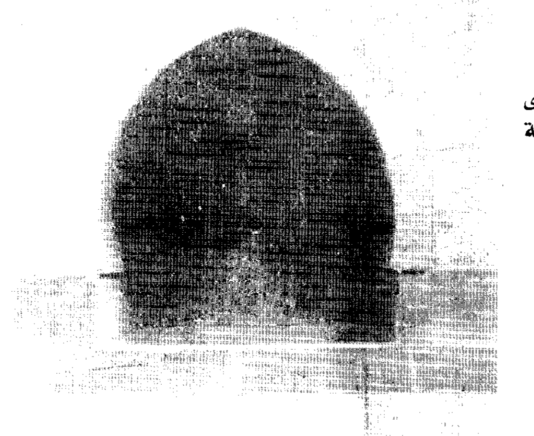
. (لوحة ٤٤) سبيل وچشمة السلطان أحمد الثالث في استانبول . (عن : أصلان آبا) .



(لوحة ٤٥) حـوض الشيـخ مسعـود بمدينة حماه السورية . (عن : شحاده) .

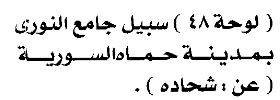


(لوحة ٤٦) حـوض سـوق الشـجـرة بمدينة حماه السورية . (عن : شحاده) .

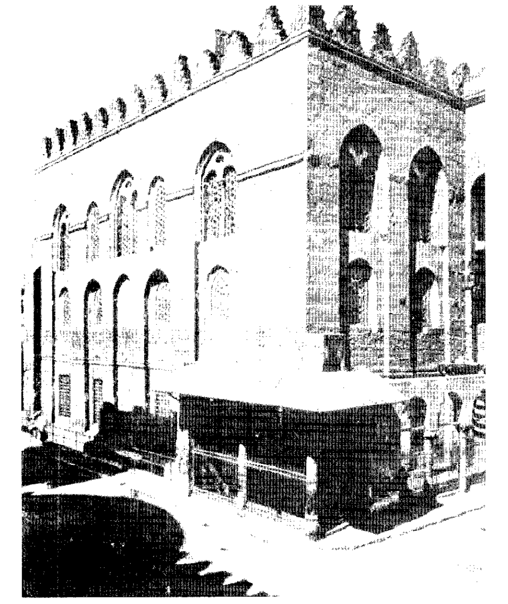


(لوحة ٤٧) سبيل العمرى
بمدينة حماه السورية
(عن : شحاده) .

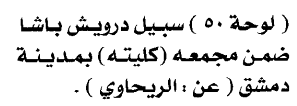




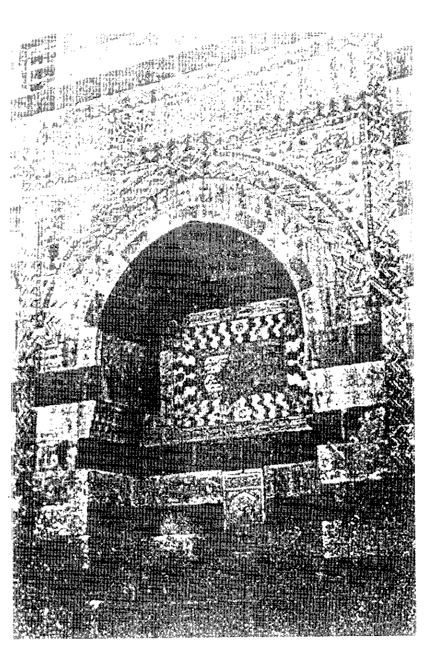
(لوحة ٤٨) سبيل جامع النورى
بمدينة حماه السورية
(عن : شحاده) .

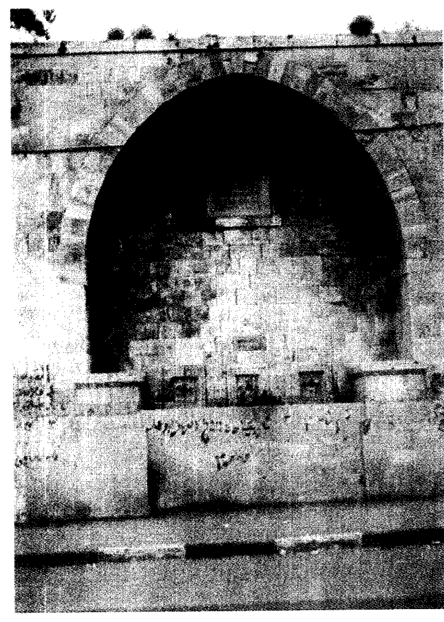


(لوحة ٤٩) سبيل الناصر محمد الملحق بواجهة مدرسة قلاوون بالقاهرة (عن : كريزول) .



(لوحة ٥٠) سبيل درويش باشا ضمن مجمعه (كليته) بمدينة دمشق (عن : الريحاوي) .





(لوحة ٥١) سبيـل الرفـاعيـة بمدينـة غزة . (عن : المبيض) .



(لوحة ٥٢) دخله السبيل المصاصة الملحـق بسبيـل جانبلاط بالقاهـرة . (عن : الحداد) .

AL-Suleimanya's Sabils in AL- Kuds Al- Sharif

Prof. Mohammad Hamza Ismail Al- Haddad

Abstract

The Subject of Our research is to deal with acomparative and analysis study of "AL suleimanya's Sabils" in AL- Kuds AL-sharif (Jerusalem) which were erected in varis parts of the city by the Sultan Suleiman the Magnificent (926-974 A.H/ 1520-1566 A.D.) within the tenth of Muharram and the second of Ramadan of the year 943 A.H. (29 June 1536- 13 Februray 1537 A.D.).

We shade light basically on the main elements related to the above mentioned topics, I.E.' the plans, architectural and decorative elements of those Sabils.

The research pinpoints to the architectural origins of the Sabils in Turkey, Syria, Palestine, Egypt and elswhere during the subsequent historical periods: mainly Seljouk, Mamluke and Ottoman.

Finally, We conclude our investigation with the fact that those Sabils exhibited a combination bettween the inheritance local traditions and the external Ottoan Style at the same place, which make those Sabils have specific Characteristic value in comparitive way with the others in the city at the relevant period of time.

الفصل الثانى

مصليات الجنائز فى العمارة المصرية الإسلامية (*)

دراسة آثارية (تحليلية مقارنة)
وثائقية تاريخية

(*) نشر هذا البحث في مجلة كلية الآثار ـ العدد الثامن ١٩٩٧م ـ مطبعة جامعة القاهرة ٢٠٠٠م ـ ص ص ١٤٥ ـ ٢٤٤ .

مقدمة :

لم تكن العمارة الإسلامية مجرد عمائر قائمة الأركان تشهد بهمة بنائيها وروعة بنيانها وعلو كعب مصمميها وإنما كانت ، علاوة على ذلك ، دوحة عظيمة متنوعة الطرز والأهداف والغايات .

ويعتبر المصلى الجنائزى [1] فرعًا من هذه الدوحة ، وقد نهض بدور جليل الشأن عظيم الأثر فى حياة المجتمعات الإسلامية إبان العصور الوسطى ، وينبغى قبل أن نبرز هذا الدور أن نشير ، بادئ ذى بدء ، إلى أنه تجوز الصلاة على الجنائز فى المسجد ، ولكن الأفضل والمستحب الصلاة عليها خارج المسجد فى مكان معد لذلك الغرض كما كان الأمر على عهد النبى ﷺ[2].

ومما يدل على جواز الصلاة على الجنائز فى المسجد ما ورد فى كتب السنة النبوية المطهرة عن بعض الرواة من أن السيدة عائشة رضى الله عنها « أمرت أن يمر بجنازة سعد بن أبى وقاص فى المسجد فتصلى عليه فأنكر الناس ذلك عليها فقالت ما أسرع ما نسى الناس ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن البيضاء إلا فى المسجد »[3] وفى رواية أخرى « إلا فى جوف المسجد »[4].

وفى رواية ثالثة عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت « والله لقد صلى رسول الله ﷺ على ابنى بيضاء فى المسجد سهيل وأخيه »[5].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من صلى على جنازة فى المسجد فليس له شىء » وفى رواية فلا شىء عليه[6]. وممن صلى عليه صلاة الجنازة فى المسجد النبوى الشريف كل من الخليفة أبا بكر الصديق والخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وروى أن ذلك كان عند المنبر وقيل وضعت الجنازة فى المسجد تجاه المنبر[7].

وعن الإمام مالك رضى الله عنه أنه بلغه أن عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وأبا هريرة (رضى الله عنهما) كانوا يصلون على الجنائز بالمدينة : الرجال والنساء فيجعلون الرجال مما يلى الإمام والنساء مما يلى القبلة[8].

وفى العصور التالية صار يصلى على الجنائز كلها فى المسجد إلا الأعيان فكان يصلى عليهم بالروضة الشريفة بين القبر والمنبر وكان يصلى على غيرهم أمام الروضة الشريفة بعد أن يوقف بالجنازة بين يدى النبى ﷺ أمام الوجه الشريف ، وظل الأمر على ذلك حتى أمر السلطان جقمق[٩]، فى عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م «بمنع جنائز الشيعة من المسجد فمنع المنسوبون للشيعة من إدخال جنائزهم إلى المسجد إلا للأشراف العلويين وجرى الأمر على ذلك إلى يومنا هذا (أى حتى زمن السمهودى المتوفى ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) لا يدخل المسجد إلا جنائز الأشراف وأهل السنة وحاول بعض أهل المدينة إدخال بعض الشيعة غير الأشراف فقام فى ذلك بعض أمراء الترك ومنع منه ... » [١٠].

هذا ولم تقتصر الصلاة على الجنائز فى المسجد على المسجد النبوى الشريف فحسب وإنما عرفت أيضًا فى العديد من المساجد الإسلامية الأخرى ومن أشهرها المسجد الحرام بمكة المكرمة حيث يذكر الفاكهى (من علماء القرن ٣هـ/ ٩م) ما نصه « وكان الناس فيما مضى من الزمان يصلون على الرجل المذكور (أى المشهور) فى المسجد الحرام ، وحدثنا سعيد بن عبد الرحمن قال : ثنا سفيان قال : سمعت من يذكر أنه صلى على أبى إهاب[١١] فى المسجد الحرام »[١٢].

كذلك كانت توجد بالمسجد الحرام ثلاثة أبواب يصلى فيها على الجنائز أو تخرج منها وهى « باب العباس بن عبد المطلب ويعرف بباب بنى هاشم فيه موضع قد هندم للجنائز لتوضع فيه ، ومنها باب بنى عبد شمس وهو باب بنى شيبة الكبير ومنها باب الصفا وفيه موضع قد هندم أيضًا فوضع فيه الجنائز...»[١٣].

وظلت بعض هذه الأبواب تستخدم للصلاة على الجنائز وجددت عمارتها[١٤] أكثر من مرة ومنها باب العباس الذى عرف أيضًا بباب الجنائز وكان يمثل الباب الرابع من أبواب الجانب الشرقى للمسجد الحرام ، كذلك استخدمت أبواب أخرى لنفس الغرض ومنها باب النبى ﷺ وهو الباب الثالث من أبواب الجانب الشرقى للمسجد الحرام ويذكر المؤرخ حسين باسلامة (ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م) أنه يقال له أيضًا « باب الجنائز والظاهر من تسميته بهذا الاسم أن الجنائز كانت تخرج منه فى ذلك العصر حيث أنها تخرج الآن ـ أى زمن باسلامة ـ من باب السلام غالبًا»[١٥] ومنها باب بازان وهو الباب الأول

من أبواب الجانب الجنوبى للمسجد ويذكر باسلامة أنه يسمى فى عصره « بباب النعوش والظاهر من تسميته بهذا الاسم أن النعوش كانت تخرج منه إلى شارع القشاشية ومنه إلى المعلى أى المعلاه»[١٦].

وفى مصر كان يصلى على الجنائز فى عدة جوامع ومن أهمها جامع عمرو بن العاص المعروف بالجامع العتيق[١٧] بمدينة الفسطاط (مصر القديمة الآن) والجامع الأزهر[١٨] وجامع الماس وجامع الماردانى وجامع شيخو بالقاهرة وغير ذلك[١٩].

أما بالنسبة للصلاة على الجنائز خارج المسجد فى مكان معد لذلك الغرض فقد رويت فى هذا الصدد عدة أحاديث منها عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن اليهود جاءوا النبى ﷺ برجل منهم وامراة زنيا فأمر بهما فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد » .

ومنها عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه فخرج إلى المصلى فصف بهم وكبر أربعا »[٢٠].

وعن ابن شهاب قال : كان رسول الله ﷺ إذا هلك الهالك شهده يصلى عليه حيث يدفن ، فلما ثقل رسول الله ﷺ وبدن (أى سمن) نقل إليه المؤمنون موتاهم فصلى عليهم رسول الله ﷺ على الجنائز عند بيته فى موضع الجنائز اليوم ، ولم يزل ذلك جاريا ـ أى حتى زمن السمهودى المتوفى ٩١١هـ/ ١٥٠٥م» [٢١].

وقيل أنه كان فى موضع الجنائز « نخلتان إذا أتى بالموتى وضعوا عندهما فصلى عليهم فأراد عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) حين بنى المسجد قطعهما فإقتتلت فيهما بنو النجار فإبتاعهما عمر فقطعهما » .

وقيل « إن مصلى الجنائز كان لاصقا بمسجد النبى ﷺ من ناحية ـ أى جهة ـ المشرق » وقيل أيضًا « والمصلى المكان الذى كان يصلى عنده العيد والجنائز وهو من ناحية بقيع الغرقد »[٢٢].

ومما يؤكد ذلك أيضًا ما ورد فى بعض المصادر التاريخية من أن « جدار الحجرة الشريفة التى تلى موضع الجنائز ـ يعنى جهة المشرق ـ سقط فى زمن عمر بن عبد العزيز وظهرت القبور المقدسة »[٢٣].

هذا وقد ظل ذلك الموضع يعرف بمصلى الجنائز حتى وقت قريب حيث يذكر عبد القادر شيبه الحمد ما نصه « ولازلنا نسمع إلى الآن أن الساحة الواقعة بجانب جدار المسجد النبوى من الناحية الشرقية الجنوبية والمحوطة من الشرق والشمال والجنوب بجدار قصير أنها كانت مصلى الجنائز »(٢٤).

كذلك انتشرت هذه المصليات فى العديد من المدن الإسلامية الأخرى وكانت تارة أخرى تعرف بالجوامع ، وحسبنا أن نشير على سبيل المثال وليس الحصر ، إلى بعضها ومنها جامع الجنائز ببغداد وقد بقيت منارته « بلصق تربة معروف الكرخى بالجانب الغربى »(٢٥).

وكان يوجد بدمشق مساجد للجنائز ومنها مسجد على الباب الشرقى على بابه بئر وليس له سقف بالإضافة إلى مسجد آخر على ضفة نهر المجدول(٢٦). كذلك ألحقت المصليات الجنائزية ببعض الجوامع بالمغرب الأقصى ومنها المصلى الملحق بكل من جامعى القرويين والأندلسيين بفاس وكل من مسجد تازا ومسجد قصبة الودايا(٢٧).

ومنها المصلى الملحق بالجامع الكبير بفاس الجديد والمصلى الملحق بالمدرسة البوعنانية بفاس ٧٥١ ـ ٧٥٦هـ/ ١٣٥٠ ـ ١٣٥٥م (٢٨)، ومنها المصلى الذى كان يوجد بجامع قصبة إشبيلية الموحدى(٢٩).

أما فى العمارة المصرية الإسلامية فالشىء الثابت والمؤكد أن صلاة الجنازة كانت تقام فى المساجد سواء بالقاهرة كما هو الحال فى العديد من المساجد ومنها بعض النماذج الشهيرة التى سبقت الإشارة إليها أو فى مساجد المدن المصرية الأخرى فى الوجهين القبلى والبحرى على حد سواء مثلما يحدث الآن

على أن ذلك لا يعنى أن العمارة المصرية الإسلامية لم تعرف المصليات الجنائزية مثل غيرها من بقية الأقطار العربية والإسلامية الأخرى ، إذ يستدل من خلال ما ورد فى الوثائق والمصادر التاريخية المختلفة أن تلك المصليات كانت كثيرة وأنها كانت تبنى إما ملحقة بالعمائر الدينية وخاصة المساجد أو تبنى مستقلة فضلاً عن وقف الأوقاف المغلة عليها .

ومن أمثلة المصليات الملحقة الباقية فى العمارة المصرية الإسلامية المصلى الملحق بمسجد الأمير على كاشف جمال الدين بمنفلوط ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م(٣٠).

أما الغالبية العظمى من تلك المصليات التى أقيمت فى مصر خلال العصور التاريخية المتعاقبة فقد استأثرت بها بطبيعة الحال مدينة القاهرة وكانت تبنى مستقلة وتلحق بها الملحقات المتعددة كالأسبلة وأحواض السبيل والمغاسل(٣١) للرجال والنساء فضلا عن المنافع والمرافق الأخرى حتى يمكن أن تنهض بوظيفتها على خير وجه وتقوم بها خير قيام وهو ما سوف نسلط عليه الضوء فيما يستقبلنا من صفحات هذا الفصل .

المبحث الأول : مصليات الجنائز بالقاهرة في ضوء ما ورد في المصادر التاريخية :

نهضت مصليات الجنائز بدور جليل الشأن عظيم الأثر كما سبق القول ، ذلك أن الموتى كانوا يحملون إليها ويغسلون فى المغاسل الملحقة بها حسب الشريعة الإسلامية ثم يجهزون للدفن ثم يصلى عليهم صلاة الجنازة وبعدها يتوجهون مباشرة إلى مثواهم الأخير .

ومن الطبيعى أن مثل تلك المصليات كانت تتضح أهميتها ويبرز دورها ويشتد الطلب على بنائها والإكثار منها من جهة أو تجديد وترميم وصيانة النماذج الباقية منها من جهة أخرى أثناء وبعد حدوث المجاعات والأوبئة وخاصة وباء الطاعون وما كان يصاحب ذلك من انتشار الأمراض وكثرة الوفيات بدرجة كبيرة(٣٢).

وتزخر المصادر التاريخية بأمثلة كثيرة تصور لنا ذلك تصويرا لا يكاد يخلو فى بعض الأحيان من المبالغات الواضحة ومنها أن الناس كانوا يتساقطون بالعشرات فى الطرقات وتصبح الأموات على الأرض ولا يوجد من يدفنها ، وأحيانا كانت تخلو الشوارع من المارة لكثرة من يموت منهم وأحيانا أخرى كان يعز وجود النعوش التى تحمل عليها الموتى ، ومن ثم تحمل أكثر من جثة فى نعش واحد أو يحمل الموتى على مصاريع الحوانيت وألواح الخشب

والأقفاص وغير ذلك وكانت تلك النعوش ترى فى الشوارع وكأنها قطارات الجمال لكثرتها .

كذلك كان الناس الذين يعجزون عن دفن موتاهم يبيتون بهم فى المقابر والحفارون يحفرون طول ليلتهم فيعملون حفائر كثيرة تلقى فى الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات[٣٣]، وكنتيجة لما سبق كان يشتد الطلب على قراء القرآن الكريم بصورة كبيرة ، لدرجة أن كثيراً من الناس أبطلوا صناعاتهم وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز[٣٤]، كما اشتغل أفراد آخرون ببناء القبور بالطين وإصلاح المتهدم منها، واحترف البعض الآخر تغسيل الموتى وتجهيزهم أو حملهم إلى المقابر ، وفضلاً عن ذلك كانت ترتفع أثمان الثياب التى يكفن بها الموتى لكثرة الطلب عليها[٣٥].

هذا وقد حرص كثير من السلاطين والأمراء ومن نهج نهجهم من أهل الخير على تخصيص الأوقاف المغلة من أجل تغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم أو بناء المصليات والمغاسل وتزخر المصادر التاريخية وحجج الوقف بأمثلة كثيرة توضح لنا ذلك أشد الوضوح ، وحسبنا أن نشير إلى البعض منها ومن ذلك وقف الطرحاء الذى وقفه السلطان الظاهر بيبرس[٣٦]، من أجل تغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم وهو من أكثر الأوقاف نفعًا على حد قول المقريزى[٣٧].

وتحدد لنا وثيقة السلطان حسام الدين لاجين[٣٨] الخاصة بعمارته للجامع الطولونى مقدار ما يصرفه ناظر الوقف برسم « تجهيز من يموت من الفقراء والمساكين فى خط الجامع المذكور فى كل شهر من الشهور مقدار ثلثمائة درهم نقرة يصرف من ذلك فى ثمن كفن للميت وما يحتاج إليه لتغسيله وتكفينه ... بالقبة المجاورة للفسقية التى فى زيادة الجامع البحرية ... »[٣٩].

وعندما اجتاح الوباء الأسود[٤٠] البلاد عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م قام بعض الأمراء ومنهم الأمير شيخو الناصرى[٤١] والأمير مغلطاى[٤٢] أمير آخور[٤٣] بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم[٤٤].

ويذكر السخاوى أن الأمير يحيى زين الدين [٤٥] قد « عمر المغاسل للموتى»[٤٦]. ويفصل الصيرفى ذلك فيذكر أنه « عمر المغاسل والأكفان والأموات فى الفصول فصاروا يغسلون ويكفنون ويدفنون من وقفه » ، ويذكر فى موضع آخر أنه « عمل معروفًا زائدًا فى الفضل من مغسل وأكفان وموارة الميت برمسه (بقبره) من الحمالين والحفارين وغير ذلك »[٤٧].

ومن أشهر المغاسل ذلك الذى أمر ببنائه الأمير يشبك من مهدى[٤٨] ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م « لأجل الأموات الفقراء والغرباء بل وغيرهم كافة فحملوا له الخلق الأموات من كل فج وأقام به كُتابًا يضبطون الأموات وصار يغسلهم ويكفنهم ويحملون من ماله ليدفنهم فى المقابر »[٤٩].

وقد إنتشرت المصليات بالقاهرة إنتشارًا كبيرًا سواء بالقرافة ، أو بالقرب منها فضلاً عن بعض ظواهر القاهرة وبخاصة كل من ظاهريها البحرى والقبلى[٥٠] .

وقد عدد المقريزى المصليات التى كانت بالقرافة [٥١]. إلا أنه لم يحدد لنا أنها كانت مصليات للأعياد أو للجنائز أو للغرضين معا أم أنها كانت مجرد مساجد للصلوات الخمس اليومية .

وعلى الرغم من ذلك فإنه (أى المقريزى) فى موضع آخر من خططه أشار إلى بعض مصليات القرافة التى كانت مصليات للجنائز ومنها مسجد الأندلس الذى ذكر أنه هو « مصلى المعافر على الجنائز »[٥٢] ثم يضيف فيذكر أن هذا المصلى « جدده ابن برك الأخشيدى ثم بنته جهة[٥٣] مكنون الآمرية »[٥٤] فى سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م .

والمصلى الآخر هو مصلى الشيخ الاطفيحى وقد أمر ببنائه الأفضل شاهنشاه[٥٥] بجوار مسجد الاطفيحى وفى ذلك يذكر المقريزى « وبنى له الأفضل المصلى ذات المحاريب الثلاثة شرقى المسجد إلى القبلى قليلا ويعرف بمصلى الاطفيحى كان يصلى فيه على جنائز موتى القرافة » [٥٦].

وعن بقية مصليات القرافة التى أشار إليها المقريزى [٥٧]، فمن المرجح أنها

كانت مصليات للأعياد وكانت تستخدم فى نفس الوقت كمصليات للجنائز ، ومن أشهر تلك المصليات التى قامت بالغرضين معا مصلى خولان [٥٨].

كذلك فإن مصلى العيد[٥٩] خارج باب النصر (قرافة باب النصر شمال سور القاهرة الشمالى الآن) والذى بقى جزء منه حتى زمن المقريزى (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) قد إتخذ فى « جانب منه موضع مصلى الأموات اليوم ـ أى زمن المقريزى » [٦٠].

أما غالبية مصليات الجنائز بالقاهرة فكانت تتركز ، كما يستدل من خلال المصادر التاريخية فضلاً عن بعض الوثائق ، بظاهرها القبلى ومنها مصلى تجاه باب جامع قوصون[٦١] ـ بشارع السروجية الآن ـ وقد بنى محله الأمير جانم البهلوان[٦٢] جامعاً ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م .

ومنها كل من : مصلى البياطرة[٦٣]، ومصلى تجاه المدرسة المهمندارية[٦٤] ومصلى باب الوزير[٦٥]، ومصلى الجوينى[٦٦] ومصلى وقف السادة الوفائية[٦٧] ومصلى المؤمنى[٦٨] وغير ذلك .

وقد ذكر المؤرخون أن عدة مصليات الجنائز بالقاهرة بلغت نحو سبعة عشر مصلى[٦٩] وفى قول آخر تسعة عشر مصلى[٧٠]، إلا أنه لسوء الحظ إندرست جميع تلك المصليات ولم يبق منها سوى بقايا مصلى المؤمنى المعروف بمسجد الغورى والذى كان يعد المصلى الرسمى للجنائز منذ إنشائه فى أواخر عصر المماليك البحرية وحتى العصر العثمانى كما سنشير فيما بعد[٧١].

ولما كان ذلك المصلى يعد المصلى الجنائزى الوحيد الباقى بالقاهرة ، ومن ثم فهو يمثل نمطاً فريداً يمكن أن ندرس فى ضوئه الطراز المعمارى لذلك النوع من العمائر الدينية ، ولذلك أثرنا أن نفرد له هذه الدراسة التفصيلية حتى يمكن أن نتتبع المراحل التاريخية المختلفة له والأوقاف التى أوقفت عليه فضلاً عن الدراسة الآثارية من حيث طرازه المعمارى وتخطيطه وعناصره المعمارية والزخرفية مع تأصيل ذلك سواء فى العمارة الإسلامية عامة أو العمارة المصرية الإسلامية خاصة .

المبحث الثاني: مصلى المؤمنى : دراسة أثارية ووثائقية تاريخية :

تعرض هذا المصلى للكثير من معالم التغيير والتجديد والإضافة مما أفقده طابعه المعمارى الأصلى الذى كان عليه وقت إنشائه أولا فى أواخر عصر المماليك البحرية من جهة وأيضا طابعه المعمارى المتكامل الذى كان عليه ثانيا عندما قام السلطان قانصوه الغورى[72] بإعادة بنائه وعمارته في سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣م وهى العمارة التى ترجع إليها البقايا الحالية من جهة أخرى .

وبالرغم من ذلك فإنه إعتمادا على تلك البقايا ، وعلى ماورد بحجة الوقف[73] من وصف تفصيلى لايتطرق إليه الشك نستطيع أن نرسم الصورة الحقيقية التى كان عليها هذا المصلى فى أواخر عصر المماليك الجراكسة وبالتالى يمكن إعادة التصميم المعمارى الأصلى له فى تلك الفترة ، ولما كان هذا المصلى يعد المصلى الرسمى للجنائز فى ذلك العصر وما تلاه ، ولذلك يمكن أن نتخذه إنموذجا صادقا نتعرف من خلاله على الطراز المعمارى الذى كانت تصمم على أساسه تلك المصليات وماكانت تحويه من ملاحق ومنافع ومرافق متعدده .

وفيما يلى نتناول ذلك المصلى من كافة الجوانب أثارية كانت أم وثائقية أم تاريخية .

ـ الموقع :ـ يقع هذا المصلى المعروف بمسجد الغورى الأن على يسار المار فى أول شارع السيدة عائشة (رضى الله عنها) بحى الخليفة بالقاهرة وهو ما يتفق مع ماحددته الوثيقة بأنه أنشئ «بظاهر القاهرة المحروسة سفل قلعة الجبل المحروسة بظاهر الميدان السلطانى بالرميلة[74] قريبا من باب السلسلة[75]...»[76] .

المنشى :ـ أمر بإنشاء هذا المصلى والسبيل الملحق به الأمير بكتمر المؤمنى [77] أمير أخور السلطان الأشرف شعبان[78] ولذلك إشتهر بإسم مصلى المؤمنى أو سبيل المؤمنى أو مصلى وسبيل المؤمنى (أو المؤمنين) وظلت هذه التسمية علما عليه طيلة العصرين المملوكى والعثمانى كما سنشير فيما بعد[79] .

وقد إختلفت الأراء حول تاريخ إنشاء هذا المصلى فيرى البعض أنه أنشئ قبل ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م[80]، بيما يرى البعض الأخر أنه أنشئ عام ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م[81].

ويمكن أن نحصر تاريخ الإنشاء فيما بين رمضان ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م ومحرم ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م على إعتبار أن الأمير بكتمر لم يحظ بالوظائف الكبرى إلا بعد قتل الأمير أسندمر الدوادار[٨٢] في رمضان ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م وفي ذلك يذكر ابن حجر العسقلاني «ثم أعطى طبلخاناه بعد قتل اسندمر واستقر أمير أخور ثم أعطى تقدمه ....»[٨٣] وظل على ذلك حتى وفاته في محرم ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م .

وعلى الرغم من أن يد التعمير والتجديد قد مست هذا المصلى أكثر من مرة خلال عصر المماليك الجراكسة ، إلا أنه ظل يعرف وينسب لمنشئه الأول فكان يقال له مصلى المؤمنى أو سبيل المؤمنى أو مصلى المؤمنين أو سبيل المؤمنين أو مصلى المؤمنين وذلك خلال العصر الجركسي بل إستمر ذلك أيضا خلال العصر العثماني .

أما على مبارك فقد ذكره بإسم جامع المؤمنين وأشار إلى أنه «يعرف أيضا بجامع المتولى وبجامع الغورى»[٨٤] وهذه التسمية الأخيرة هي التي لصقت بالمصلى وسجلت في فهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة (أثر رقم ١٤٨) ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن البقايا الحالية ترجع إلى عهد السلطان الغورى كما أسلفنا القول ، فضلا عن الأوقاف الكثيرة التي كان السلطان الغورى قد أوقفها عليه لينفق من ريعها في أوجه الصرف المختلفة كما سنشير فيما بعد[٨٥] .

.المراحل التاريخية للمصلي:

يستدل من خلال ما ورد في المصادر التاريخية أن هذا المصلى قد ظل المصلى الرسمي للجنائز منذ إنشائه وحتى نهاية عصر المماليك الجراكسة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، وكان يصلى فيه على الخلفاء العباسيين وقضاة القضاه والشيوخ والأمراء والشهيرات من النساء[٨٦] بل وعلى بعض الغرباء[٨٧] وغيرهم ، ثم يتجه موكب الجنازة بعد الصلاة إلى الترب المخصصة لدفن هؤلاء وأولئك سواء كانت بالقرافة (القرافة الجنوبية أو القرافة الشمالية) أو القباب

الجنائزية الملحقة بالعمائر الدينية داخل القاهرة نفسها والتى لا يزال باقيا منها ، حتى الآن ، نماذج كثيرة ، أما صلاة الجنازة على السلاطين فكانت تقام بالقلعة[٨٨] . وقد تعرض مصلى وسبيل المؤمنى عقب إنشائه لما تتعرض له المنشآت عادة من تخريب أو تدمير أو حريق أو هدم ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى قربة من القلعة ، مقر الحكم وكرسى السلطنة، ومن ثم كان يعاد تعميره أو تجديده ومن أمثلة ذلك ماحدث فى شهر رجب ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤م عندما قام الخليفة العباسى حمزه[٨٩] فى سلطنة الأشرف إينال[٩٠] «قياما عظيما وخلع الملك المنصور من السلطنة قبل أن ينكسر وأمر بحرق سبيل المؤمنى حتى أخذوا الميدان[٩١]».

وفى عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م قام الأمير يشبك من مهدى بتجديد المصلى[٩٢].

وفى عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م حدثت واقعة أقبردى الدوادار[٩٣] وفيها «توجهت طائفة من المماليك إلى سبيل المؤمنى فأحرقوه»[٩٤].

وفى عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م عندما كثر الموت فى الناس رسم السلطان الناصر محمد بن قايتباى[٩٥] «بعمارة سبيل المؤمنى وكان خرابا منذ حصار أقبردى للقلعة»[٩٦].

وفى صفر ٩٠٩هـ/١٥٠٣م أمر السلطان الأشرف قانصوه الغورى بعمارته عمارة حافلة «وعقد سقفه بالحجر النحيت وأنشأ إلى جانبه حوضا وساقية وصنع هناك مغسلاً برسم الأموات وميضه (ميضأه) وغير ذلك مما ينتفع به»[٩٧].

وقد زودتنا الوثيقة[٩٨] بمعلومات أكثر تفصيلاً عن هذه العمارة الغورية وهو ما سنشير إليه فى الدراسة الآثارية فيما بعد .

وفى العصر العثمانى ظل هذا المصلى هو المصلى الرسمى للجنائز أيضا فكان يصلى فيه على الباشوات والأمراء والصناجق والشيوخ والخطاطين وغيرهم[٩٩] .

كذلك كان للفتن والأحداث السياسية التى وقعت بين الباشوات والأمراء أثرها الكبير على عمارة هذا المصلى وبالتالى تعرضه للتخريب والهدم فضلا

عن بعض العمائر الأخرى القريبة منه والمطلة على ميدان الرميلة ، ومن أمثلة ذلك ما حدث عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م وعام ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م [١٠٠].

كذلك كان لهذا المصلى دوره فى بعض الأحداث السياسية الأخرى خلال ذلك العصر وأحيانا كانت تنفذ به بعض العقوبات مثل قطع الرؤوس [١٠١]. وفى أواخر القرن ١٣هـ / ١٩م كانت حالة المصلى سيئة للغاية وفى ذلك يذكر على مبارك وهو «متخرب غير مقام الشعائر» ويضيف فيذكر أن بجواره « محل معد لتغسيل القتلى ونحوهم وفيه حجر يغسل عليه الميت ويقصده المرضى يستشفون بتخطيه ، وهناك حوضان يملآن ماء يغتسل فيها المرضى أيضاً وذلك عادة مستمرة إلى الآن » [١٠٢].

وفى عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م قام أهالى وتجار السيدة عائشة بإكتتاب عام فيما بينهم جمعوا فيه مبلغًا من المال مكنهم من إحداث دورة مياه صحية بالجانب القبلى من خارج المسجد (أى إيوان القبلة) وتبليط فنائه إلى جانب إحداث منبر قصير وكرسى وصندوق كما تم إصلاح واجهة المدخل الرئيسى للمسجد وعين له إماما خطيبا وخادما وتم فرشه بالحصر وإنارته بالغاز وقامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميم عقود إيوان القبلة [١٠٣].

الدراسة الآثارية الوثائقية :

نركز فى هذه الدراسة على جانبين رئيسين :

أولهما : الدراسة الوصفية وفيها نتناول الوصف المعمارى للبقايا الحالية ومقارنته بما ورد فى حجة الوقف حتى يمكن معرفة التصميم الأصلى الذى كان عليه ذلك المصلى فى أواخر عهد الجراكسة بما فى ذلك ملحقاته ومنافعه المتعددة كما سنسلط الضوء أيضًا على الأوقاف التى أوقفت عليه وشروط الواقف وأوجه الصرف المختلفة وغير ذلك .

ثانيهما : الدراسة التحليلية وفيها نبرز أهمية التخطيط المعمارى للمصلى مع تتبع الأصول المعمارية والزخرفية له سواء فى العمارة الإسلامية عامة أو فى العمارة المصرية الإسلامية خاصة .

أولاً : الدراسة الوصفية :

الوصف المعماري للبقايا الحالية ومقارنته بما ورد بحجة الوقف :

لم يبق من المصلى سوى إيوان القبلة والساحة المكشوفة التى تتقدمه ثم المدخل الرئيسى الحالى .

وينبغى قبل أن نتناول الوصف المعمارى لهذه البقايا أن نشير إلى أن هذه المنشأة أو العمارة الشريفة على حد قول الوثيقة كانت تحتوى على واجهتين إحداهما رئيسية وهى الواجهة البحرية المطلة على الشارع الرئيسى (شارع السيدة عائشة الآن) والأخرى فرعية وهى الواجهة الشرقية . وإذا كانت معالم كل من هاتين الواجهتين قد تغيرت تماما إلا أنه إعتماداً على ما ورد بحجة الوقف يمكن أن نرسم الصورة الحقيقية التى كانت عليها كل واجهة منهما على حده وذلك على النحو التالى :

الواجهة البحرية (الشمالية الغربية) ، لوحة ١ ، (شكل ٣ مكرر) .

تعد الواجهة الرئيسة كما سبق القول وكانت مبنية « بالحجر الفص النحيت غالبها مشهر بالأحمر والأبيض »[١٠٤] وكانت هذه الواجهة تحوى كتلة المدخل الرئيسى وتمتد عن يمينه ويساره بقية الواجهة وهو ما سنوضحه فيما يلى :

المدخل الرئيس : تغيرت معالم هذا المدخل إلى حد كبير بحيث لم يبق منه سوى دخلة قليلة العمق مشطوفة من أعلى ، ويتوسط هذه الدخلة فتحة باب الدخول ويبلغ إتساعها ١٫٧١م وعمقها ٢٦ سم ويغلق عليها مصراعان من الخشب خاليان من الزخارف (لوحتا ٢ ـ ٣) ويعلو فتحة باب الدخول عتب مستقيم ثم نفيس فعقد عاتق ذو صنجات مزررة تزريراً مركباً ، ويحدد هيئة هذا التكوين (العتب وما يعلوه) جفت لاعب ذو ميمات مستديرة (لوحة ٣) . وربما يرجع هذا المدخل إلى أعمال الإصلاح التى تمت فى عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، أما عن كتلة المدخل الأصلية فإنه يستدل من خلال ما ورد بحجة

الوقف أنها كانت ذات هيئة معمارية محددة إذ كان يوجد « بروز به سلمان حجرا يتوصل من كل منهما إلى باب مربع ـ أى غير معقود ـ عليه زوجا باب يعلوه شرفات حجرا»[١٠٥].

وفى ضوء ذلك يمكن القول بأنه كان لهذا المدخل حجر عميق يصعد إليه من خلال قلبتى سلم من الحجر كما هو الحال فى العديد من العمائر المملوكية الأخرى الباقية ومنها ، على سبيل المثال ، المدخل الرئيس لمدرسة السلطان حسن الشهيرة ٧٥٧ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦ ـ ١٣٦٢م القريبة من هذا المصلى (لوحة ١٨) والمدخل الرئيس لجامع المؤيد شيخ ٨١٨ ـ ٨٢٣ هـ/ ١٤١٥ ـ ١٤٢٠م . (لوحة ١٩) وغير ذلك[١٠٦] .

كذلك كان يتوج هذا المدخل شرفات من الحجر أيضًا وربما كانت على غرار الشرفات المتوجة لمدخل وواجهة مجموعة السلطان الغورى الشهيرة بالغورية ٩٠٩ ـ ٩١٠هـ/ ١٥٠٣ ـ ١٥٠٤م (لوحات ٢٠ ـ ٢٣).

أما عن بقية الواجهة فيلاحظ أن الجزء الأكبر منها كان يمتد عن يمين كتلة المدخل الرئيس (أى عن يمين الواقف تجاه الواجهة) حيث كان يشغل هذا الجزء ثلاثة أبواب وحوضًا للسبيل (أى لسقى الدواب) ، وكان الباب الأول يلى المدخل الرئيس من الجهة الغربية (أى عن يمين الواقف) ويستدل من حجة الوقف أنه كان مقنطرا (أى معقودا) بالحجر المشهر ويغلق عليه فردة باب وكان يدخل منه إلى دهليز يتوصل منه إلى الميضأة كما سنشير فيما بعد[١٠٧].

وكان يلى هذا الباب حوضا للسبيل ثم الباب الثانى وكان مماثلاً للباب الأول السابق ذكره ، وكان يدخل منه إلى دهليز أيضا يتوصل منه إلى بعض الملحقات كما سنشير فيما بعد[١٠٨].

أما الباب الثالث والأخير فكان مربعا (أى غير معقود) ويغلق عليه فردة باب أيضًا ويتوصل منه إلى سلم يؤدى إلى بعض الأروقة كما سنشير فيما بعد[١٠٩] وقد حلت محل الأبواب وحوض السبيل بعض المحلات الحديثة (

لوحتا ١ ـ ٢) أما الجزء الأيسر من الواجهة ـ أى عن يسار المدخل الرئيس ـ فلم يكن يوجد به سوى أحد شباكى السبيل الملحق بالمصلى وهو الشباك البحرى وهو نفس الموضع الذى تشغله الآن شركة جامع لبيع الأقمشة والخردوات (لوحتا ١ ـ ٢).

الواجهة الشرقية (الشمالية الشرقية) (شكل ٣ مكرر) :

لم يتبق من معالم هذه الواجهة شيء يذكر إلا أنه يستدل من خلال ما ورد بحجة الوقف أنها كانت هى الأخرى مبنية بالحجر الفص النحيت المشهر بالأحمر والأبيض أيضًا وكانت تشتمل على الشباك الثانى للسبيل فضلا عن المدخل الثانى للمنشأة وهو الذى يتوصل منه إلى السبيل وبعض الملحقات والمنافع الأخرى ، كذلك كانت هذه الواجهة تحتوى أيضًا على الشباك المعد لدخول المقام الشريف (أى السلطان) وسوف نشير إليه عند الحديث عن إيوان القبلة من الداخل[١١٠].

أما عن المدخل الذى كان بهذه الواجهة فقد كان عبارة عن « باب مربع يصار إليه من سلم حجر مدور بجلستين يمنه ويسره يعلوهما عقد مدائنى[١١١] وهو بعتبتين سفلى حجرا أبيض وعليا حجرا أبيض وأحمر بكتف تداخل يغلق[١١٢] عليه فردة باب ... »[١١٣].

وفى ضوء ذلك يلاحظ أنه على الرغم من أن هذا المدخل لم يكن هو المدخل الرئيس للمنشأة إلا أنه كان أكثر ثراءًا وروعة من المدخل الرئيس بالواجهة البحرية السابق الإشارة إليه[١١٤].

الوصف من الداخل :

لم يقتصر التغيير والهدم على المنشأة من الخارج فحسب وإنما امتد إلى داخلها أيضًا حيث هدمت الملاحق والمنافع والمرافق التى بنيت بالفعل بحيث لم يبق سوى إيوان القبلة والساحة المكشوفة التى تتقدمه ، وهذه الساحة كانت

عبارة عن «بسطة كبرى كشف سماوية مفروشة الأرض بالحجر النحيت محوطة بالبناء»(١١٥).

أما الآن فهذه البسطة قسمت إلى جزئين الأول يلى المدخل الرئيس بالواجهة البحرية وهو عبارة عن رحبة صغيرة بها سلم من خمس درجات يؤدى إلى الجزء الثانى وهو عبارة عن ساحة صغيرة مكشوفة مفروشة بالبلاط تتقدم إيوان القبلة ويحيط بواجهتها جدار قصير وتوجد على يمين هذه الساحة دورة مياه مستحدثة منذ عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م وتشتمل على مرحاضين متجاورين وميضأة صغيرة (لوحتا ٤ ـ ٥).

أما المدخل الثانى بالواجهة الشرقية فإنه يستدل من خلال ما ورد بحجة الوقف أنه كان يؤدى إلى « دركاه بصدرها بسطة وبها على يمنه الداخل باب مربع يدخل منه إلى دهليز يتوصل منه إلى بابين متقابلين أحدهما على يمنه الداخل وهو مقنطر عليه فردة باب يدخل منه إلى السبيل ... والباب الثانى باب حاصل ستكمل عمارته ثم يتوصل من بقية الدهليز المذكور إلى حوش لطيف بجوار سور الميدان السلطانى ستكمل عمارته وبه معالم رواق ستكمل عمارته أيضا .... » (١١٦).

الإيوان:

يشغل الضلع القبلى للبسطة المكشوفة وفى ذلك تذكر الوثيقة « وتجاه البسطة المذكورة إيوان كبير بصدره محراب يشتمل على بايكتين بكل بايكة ثلاث عقود مقالى(١١٧) على دعائم كل ذلك بالحجر النحيت المشهر بالأبيض والأحمر مفروش أرض الإيوان المذكور بالبلاط الكدان »(١١٨) ويطل هذا الإيوان على البسطة المكشوفة من خلال بائكة ذات ثلاثة عقود لم يتبق منها سوى عقدين مدببين يحدد صنجهما إطار حجرى بارز قليلا يأخذ نفس الهيئة المدببة للعقدين (شكل ٢) ، (لوحات ٦ ـ ١١) .

أما عن تخطيط الإيوان فهو عبارة عن مساحة مستطيلة ١١٫٢٠م × ٨٫٩٠م تتجه من الضلع الجنوبى الغربى إلى الضلع الشمالى الشرقى ، وقد قسمت هذه المساحة بواسطة بائكة واحدة إلى رواقين ، وتتكون هذه البائكة من

ثلاثة عقود مدببة موازية لجدار القبلة ترتكز على دعامتين فى الوسط وعلى كتفين بارزين بوسط الجدارين الجانبيين ، كذلك تنطلق من قمم الدعامتين الوسطيين فضلا عن الأكتاف البارزة أيضاً أربعة عقود عمودية على جدار القبلة بواقع عقدين فوق كل دعامة وهو الأمر الذى نتج عنه وجود ثلاثة مربعات بكل رواق من رواقى الإيوان (شكلا ١ ، ٣ مكرر) ، (لوحات ١٢ ـ ١٤).

وقد إختلفت تغطية كل من هذين الرواقين إذ يغطى مربعات الرواق الأول، مما يلى جدار القبلة ، ثلاث قباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية بواقع قبة أعلى كل مربع أما مربعات الرواق الثانى فيغطى المربع الأوسط منه المواجه للمحراب قبة ضحلة أيضًا بينما (لوحتا ١٥ ـ ١٦) يغطى المربع الأيمن من نفس الرواق قبو مروحى تتوسطه دائرة شغلت بزخارف مشعة أما المربع الأيسر فيغطيه قبو مروحى أيضًا ولكن يتوسطه شكل مثمن شغل بزخارف مشعة[١١٩] (لوحة ١٧) .

وتوجد بالركن الشمالى من الضلع الشمالى الشرقى للإيوان دخلة معقودة بعقد مدبب (مسدودة حاليا) ، ويستدل من الوثيقة أنه كان يشغل موضع تلك الدخلة « شباك حديد يفتح ويغلق أمامه بسطة مبنية بالحجر برسم دخول المقام الشريف ـ أى السلطان ـ إلى المصلاة المذكورة ... »[١٢٠].

المحراب : يتوسط صدر الإيوان (لوحة ٥) ، (شكل ٣) وهو عبارة عن حنية نصف دائرية يبلغ اتساعها ٨٠ سم وعمقها ٥٠ سم ويتوج هذه الحنية طاقية مدببة العقد تتقدمها دخلة اتساعها ١٫١٥م وعمقها ١٥ سم وهى معقودة بعقد مدبب أيضًا كان يرتكز على عمودين مفقودين حيث لا يزال يوجد التجويف الخاص بهما ، كذلك توجد ميمة بأعلى قمة عقد الدخلة التى تتقدم عقد طاقية المحراب .

ويخلو المحراب من الزخارف إلا أنه توجد بأعلى المحراب عبارة « الله -حق » (لوحة ١٥) كذلك كانت توجد عبارة أخرى أشار إليها على مبارك إلا أنها غير موجودة وهى « الله ربى » ويضيف على مبارك فيذكر أن هذه العبارة الأخيرة كتبت بخط دقيق بينما كتبت العبارة الأولى (الله حق) بخط غليظ[١٢١].

ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان يشغل كل من كوشتى عقد المحراب رنكان كتابيان (١٢٢) باسم السلطان الغورى والدعاء له ومثلهما على واجهة الإيوان من الخارج .

هذا ولا يزال يوجد بكوشة العقد الأيسر (لوحتا ١٠ ـ ١١) من الجانب الشمالى لواجهة الإيوان بقايا رنك كتابى يقرأ منه فى الشطب (لمولانا السلطان) وفى الجزء الأسفل (عزنـ) ومن المعروف أن صيغة هذا الرنك كما نقشت على عمائر السلطان الغورى الأخرى الباقية على النحو التالى :

قانصوه الغوري

عز لمولانا السلطان الملك الأشرف

عز نصره

وقد وقف الواقف ـ أى السلطان الغورى ـ المنشأة لله سبحانه وتعالى وجعل إيوان القبلة « مسجداً لله تعالى وبيتا من بيوته تقام فيه الصلوات الخمس المفروضات ويعتكف فيه على لزوم الطاعات وينتفع به وبالبسطة التى أمامه فى الصلاة على أموات المسلمين[١٢٣].

الملحقات والمنافع الدارسة (شكل ٣ مكرر) :

كان من الضرورى لكى تؤدى هذه المنشأة مهمتها المنوطة بها وتقوم بها خير قيام أن تضاف إليها بعض الملحقات والمنافع اللازمة ، وعلى الرغم من اندثار هذه وتلك إلا أنه اعتماداً على ما ورد بحجة الوقف يمكن أن نحصرها ونسلط الضوء عليها سواء من حيث مواضعها أو من حيث طرزها فضلا عن وظيفتها وهو ما سنوضحه فيما يلى :

١. الميضأة :

كانت تشغل الضلع الجنوبى الغربى للبسطة المكشوفة بجوار إيوان القبلة ، وكان يتوصل إليها من الباب الأول الذى كان يلى المدخل الرئيس بالواجهة

البحرية ، وقد سبقت الإشارة إليه ، حيث كان يؤدى إلى « دهليز معقود بالحجر النحيت يتوصل منه إلى ميضأة بها فسقية مثمنة بمزاريب حنفية نحاسا علوها عقد حجر نحيت محمول على أربعة أعمدة صوانا وذات المراحيض الدايرة وعدتها ثلاثة عشر على كل منها فردة باب خشبا نقيا وذات المنافع والمرافق والحقوق »(١٢٤) وقد جعل الواقف هذه الميضأة « معدة للانتفاع بها فى إزالة الخبث والحدث وتحصل الطهارة الشرعية على العادة فى مثل ذلك »(١٢٥).

٢.حوض السبيل (حوض سقي الدواب) :

كان يلى باب الميضأة السابق الإشارة إليه وعنه تذكر الوثيقة « وعلى يمنه المصلى من الجهة الغربية بالواجهة المذكورة ـ أى الواجهة البحرية ـ حوض مسبل برسم سقى الدواب وانتفاع الناس مسقف عقدا »(١٢٦).

وقد جعل الواقف هذا الحوض « معدا لانتفاع الناس به فى سقى دوابهم والوضوء والاغتسال وغير ذلك مما جرت العادة به فى مثل ذلك »(١٢٧).

٣.المغاسل :

كان يتوصل إليها من الباب الثانى الذى كان يلى حوض السبيل من الجهة الغربية بالواجهة البحرية وكان هذا الباب يؤدى إلى « دهليز معقود بالحجر النحيت يتوصل منه إلى رحاب سماوى به إيوانان مسقف كل منها عقدا ربه ثلاثة أبواب أحدهما حاصل والاثنان الباقيان مغسلان أحدهما برسم الرجال والآخر برسم النساء مسقف كل من ذلك عقدا(١٢٨).

وقد جعل الواقف كل من هذين المغسلين « معدين لتغسيل الرجال والنساء من أموات المسلمين وجعل الحاصل الذى بجوارهما معدا لحفظ ما يحتاج إليه من الأكفان وآلة التجهيز على العادة فى مثل ذلك »(١٢٩).

٤.الأروقة :

كان يتوصل إليها من الباب الثالث والأخير بالواجهة البحرية ، وكان هذا

الباب يؤدى إلى « سلم يتوصل منه إلى أربعة أروقة مسقف كل منها عقدا مطلة على الرميلة وذات المنافع والمرافق والحقوق »[130].

كذلك كان يتوصل من الدهليز المتفرع من دركاة المدخل الثانى بالواجهة الشرقية إلى « حوش لطيف بجوار سور الميدان السلطانى ستكمل عمارته وبه معالم رواق ستكمل عمارته أيضاً »[131].

وقد جعل الواقف كل من « الأروقة الأربعة والحوش ومعالم الرواق الذى سيكمل عمارته وقفا على أن الناظر يفرد من ذلك سكنا للإمام ويستغل باقى ذلك مع الرزقة الخراجية[132]... بوجه الاستغلال الشرعى ويبدأ من ريع ذلك بعمارة الموقوف المذكور أعلاه وما تحتاج إليه الرزقة المذكورة من حفر الترع وجرف الجسور وتكريم الأرض وتنقيتها وغير ذلك مما فيه بقاء عين الموقوف ونمو غلته ودوام منفعته »[133].

٥.السبيل:

كان يشغل الطرف الشمالى للمنشأة ويشغل موضعه الآن شركة جامع لبيع الأقمشة والخردوات (لوحتا ١ ــ ٢) وكان يتوصل إليه من الدهليز المتفرع من دركاة المدخل الثانى بالواجهة الشرقية كما سبق القول ، ويستدل من خلال ما ورد بحجة الوقف أن هذا السبيل كان يتكون ، كما هو الحال فى غالبية الأسبلة المملوكية من طابقين : الأول هو الصهريج المبنى فى تخوم الأرض برسم جمع الماء فيه والثانى هو حجرة التسبيل والتى كانت تشتمل على شباكين بحرى وشرقى برسم تسبيل الماء ، وكانت توجد بوسط حجرة التسبيل خرزة رخاما فضلاً عن باب يدخل منه إلى حاصل لطيف وهو مسقف عقداً[134] (شكل ٣ مكرر) .

وقد جعل الواقف الصهريج « معدا لجمع الماء فيه فى زمن زيادة النيل المبارك لتنتفع الناس بتسبيله عليهم فى بقية أيام العام على العادة فى مثل ذلك» كما جعل السبيل معدا لنقل الماء إليه من الصهريج المذكور وتسبيله فى الشباكين المذكورين على العادة[135].

أما عن الأوقاف التى أوقفها السلطان الغورى على هذه المنشأة فقد حددتها حجة الوقف وهى « جميع الرزقة الخراجية التى جملة مساحتها ثلثمائة فدان من أراضى ناحية ذات الكوم بالجيزية ... »(١٣٦).

وهذه الرزقة كانت عبارة عن أربع قطع تعرف الأولى بحوض حراز ومساحتها مائة وثمانون فدانا ، وتعرف القطعة الثانية بحوض بايدوس ومساحتها ستون فدانا ، وتعرف القطعة الثالثة بحوض أبو زكريا ومساحتها خمسون فدانًا وتعرف القطعة الرابعة بحوض الجبان الفوقانى ومساحتها عشرة أفدنة (١٣٧) . هذا ويستدل من إحدى الوثائق الجديدة أن هذه الرزقة كانت ملكا لأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن مزاحم ، ومما يشهد له بذلك مكتوب تبايع مؤرخ فى ١٥ شوال ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م ، وبعد ذلك باع ابن مزاحم هذه الحصة لوكيل السلطان الغورى المسمى أبى الثناء محمود بن أجا نظير مبلغ ١٨٠٠ دينار بتاريخ ٢٨ ذى القعدة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م.

وما أن إمتلك السلطان هذه الرزقة حتى وقفها على « مصالح المكان المستجد الإنشاء بخط الرميلة بظاهر الميدان السلطانى المعروف قديما بسبيل المؤمنى يصرف فى مصارف المصلى والسبيل والميضأة والمغسل وحوض السبيل فى تاريخين أولهما سادس عشر المحرم الحرام وثانيهما ثالث عشرى شهر شعبان المكرم كلاهما سنة تسع وتسعمائة »(١٣٨).

شروط الواقف :

إشترط السلطان الغورى فى وقفه هذا شروطًا حث عليها ووجب العمل بها وهى :

١ ـ أن يكون هو ناظر الوقف مدة حياته وأن يكون الجناب العالى الشمسى ابن مزاحم نائبًا عنه فى وظيفة نيابة النظر وفى وظيفة المباشرة على أن يقرر فى الوظائف المختلفة بالمنشأة (ملحق ١) من يراه أهلا لذلك ، ثم من بعد السلطان الغورى يكون النظر على هذا الوقف لمن يكون سلطانًا بالديار

المصـرية وتكون نيـابة النظر بعـد ابن مـزاحم لكل من يكون ناظرًا على الإسطبلات السلطانية يتصرف فى ذلك بمراجعة من يكون سلطانا فيما يحتاج إلى المراجعة فيه .

٢ ـ أن من حق الواقف ، وهو السلطان الغورى ، أن يزيد فى مصارف وقفه ما يرى زيادته وينقص ما يرى تنقيصه ويدخل من شاء ويخرج منه من أراد ويغير فيها ما يرى تغييره ويبدل ما يرى تبديله ويشترط فيه ما يرى اشتراطه من الشروط المخالفة لما اشترطه فيه وليس لأحد فعل شيء من ذلك .

٣ ـ أن من حق الواقف ، وهو السلطان الغـورى ، أن يعيـد النظر على هذا الوقف ويفوضه ويوصى به لمن شاء فإن لم يفعل شيئًا من ذلك أو فعله وتعذر كان الأمر فى ذلك على ما شرح أعلاه(١٣٩).

أما عن أوجه الصرف المختلفة فقد خصص الواقف جزءًا منها لأرباب الوظائف بالمنشأة ويقدر بنحو ٨٤٠٠ درهما فى الشهر (ملحق ١) وبالإضافة إلى ذلك فقد خصص الواقف عدة مصارف أخرى منها :

- أن يصرف فى كل شهر من الشهور ثلثمائة درهم فى ثمن زيت طيب من زيت الزيتون يستصبح به بالمسجد والميضأة ومنافع ذلك على العادة فى مثل ذلك .
- أن يصرف فى كل سنة ما يحتاج إليه فى ملء الصهريج من ماء النيل المبارك فى زمن الزيادة وما يحتاج إليه من الحصر والقناديل والسلاسل وثمن الآلة للسبيل وزيت التوسعة فى شهر رمضان والأضحية فى عيد النحر لأرباب الوظائف بحسب ما تدعو الحاجة إليه .

وقد قرر الواقف أنه مهما تبقى بعد ذلك يصرف فى « شراء أكفان وحنوط وأجرة مغسلين وحمالين وحفارين برسم تجهيز أموات المسلمين الفقراء من الذكور والإناث والأرقاء والأحرار يجرى الحال فى ذلك كذلك أبد الأبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين»(١٤٠).

ثانياً : الدراسة التحليلية المقارنة :

يمكن القول ، بادى ذى بدء ، بأن هذه المنشأة كانت حال إنشائها تعكس لنا وتبرز الخصائص العامة والمميزات الرئيسة للعمارة المصرية خلال العصر المملوكى عامة وأواخر العصر الجركسى خاصة سواء من حيث إسلوب البناء ومادته أو من حيث التخطيط المعمارى العام للمصلى وملحقاته المختلفة كالسبيل وحوض السبيل والأروقة أو من حيث العناصر المعمارية والزخرفية كالواجهات والمداخل والعقود والقباب والأقبية والأعتاب والشرفات والرنوك الكتابية (الخراطيش أو الدروع) وغير ذلك .

ونضيف على ذلك فنذكر أن هذه المنشأة ، علاوة على ما سبق ، قد اتسمت ببعض الخصائص والتفاصيل التى لا نجدها مجتمعة فى غيرها من العمائر الدينية المملوكية الأخرى مما أضفى عليها شخصية مستقلة وطابعا متفرداً وهو الأمر الذى نسلط عليه الضوء فيما يلى :

.التخطيط :

يتكون التخطيط العام للمصلى من إيوان واحد يشغل الضلع القبلى (الجنوبى الشرقى) للبسطة المكشوفة كما سبق القول .

وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط نجد أنه لم يك شيئا مستحدثا فى تلك الفترة ـ أى أواخر العصر الجركسى ـ حيث أنه كان معروفاً فى العمارة المصرية الإسلامية خلال عصر المماليك البحرية ومن بين نماذجه الباقية كل من مدرسة قطلوبغا الذهبى(١٤١) ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م (شكل ٤) ، والمدارس الأربع الملحقة بمدرسة السلطان حسن ٧٥٧هـ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦ ـ ١٣٦٢م (شكلا ٥ ـ ٦)، والمدرسة البشيرية ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م .

واستمر أيضاً خلال عصر المماليك الجراكسة ومن بين نماذجه الباقية كل من مدرسة أيتمش البجاسى ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م ومسجد فرج بن برقوق

المعروف بزاوية الدهيشة (تجاه باب زويلة المعروف ببوابة المتولى) ٨١١هـ/ ١٤٠٨م[١٤٢] (شكلا ٧ ـ ٨).

وإذا كانت غالبية النماذج السابقة تتفق مع مصلى المؤمنى فى أنها تتكون من إيوان واحد يشغل الضلع القبلى للصحن أو الدرقاعة ، إلا أنه يلاحظ أن إيوان مدرسة قطلوبغا الذهبى يعد استثناء لتلك القاعدة حيث أنه يشغل الضلع البحرى (الشمالى الغربى) للدرقاعة .

كذلك يلاحظ أن الإيوان فى جميع النماذج السابقة يشرف على الصحن أو الدرقاعة من خلال فتحة معقودة بينما يشرف إيوان مصلى المؤمنى على البسطة المكشوفة من خلال بائكة ثلاثية العقد حيث كانت توجد ثلاث فتحات معقودة متساوية إذ يبلغ اتساع كل منها ١٫٨٠م وعمق كل منها ١٫٢٧ م إلا أنه لم يتبق سوى فتحتين معقودتين فقط كما سبق القول .

وعند تأصيل هذه البائكة الثلاثية التى تشرف وتطل على الساحة الوسطى (الصحن أو الدرقاعة) نجد أن أقدم أمثلتها الباقية فى مصر ترجع إلى العصر الفاطمى كما هو الحال فى مشهد الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م (شكل ٢٢) إلا أنه يلاحظ هنا أن العقد الأوسط أكثر ارتفاعًا واتساعًا من العقدين الجانبيين[١٤٣] أما غالبية النماذج الباقية فترجع إلى العصر المملوكى ومنها إيوان القبلة بكل من : مدرسة المنصور قلاوون ٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ/ ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م (شكلا ١٨ ، ٣١) ومسجد أحمد المهمندار ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م (شكل ٩)، وخانقاه شيخو ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م (شكل ١٠) ، وخانقاة الأشرف برسباى (بقرافة صحراء المماليك) ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م (شكل ١١)، وجامع سيدى مدين ٨٤٢هـ ـ ٨٤٣هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩م (شكل ١٢)، ومدرسة جانم البهلوان ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م (شكل ١٣) ، ومدرسة أبو بكر مزهر ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م (شكلا ١٤، ٣٢).

هذا ولم يقتصر ظهور البائكة الثلاثية على إيوان القبلة فحسب وإنما ظهرت أيضًا فى بعض الإيوانات البحرية (الشمالية الغربية) كما هو الحال فى بعض النماذج المشار إليها مثل كل من خانقاة برسباى وجامع سيدى مدين

ومدرسة جانم البهلوان ومدرسة أبو بكر مزهر ، فضلا عن مدرسة تتر الحجازية ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م[١٤٤] (شكلا ١٤ ـ ١٥).

كذلك ظهرت هذه البائكة الثلاثية فى بعض الإيوانات الجانبية (الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى) كما هو الحال فى جامع أصلم السلحدار ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م (شكل ١٦).

أما بائكة كل من الإيوانين الجانبيين بمسجد أحمد المهمندار ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م فيلاحظ أنها ثنائية العقد وليست ثلاثية (شكل ٩) .

هذا من حيث التخطيط العام وإشراف الإيوان على الساحة الوسطى للمنشأة (الصحن أو الدرقاعة) أما حيث التخطيط الداخلى للإيوان فيلاحظ أنه ينفرد أولا عن غيره من نماذج العمائر الدينية المملوكية ذات الإيوان المشار إليها سابقا إذ لا يوجد بينها نموذج واحد يشتمل على رواقين يسقف الرواق الأول منهما ، مما يلى جدار القبلة ، ثلاث قباب ضحلة بينما يسقف الرواق الثانى قبة فى الوسط وعلى جانبيها قبوان مروحيان .

ومن جهة ثانية فإننا لو استعرضنا العمائر الدينية المملوكية الأخرى التى صممت وفق التخطيط الإيوانى حول صحن أو درقاعة والتى تشتمل على أكثر من إيوان واحد لوجدنا أنه لا يوجد بينها سوى نموذجان فقط يشتمل إيوان القبلة فيهما على رواقين وهما إيوان القبلة بكل من جامع المؤيد شيخ ٨١٨ ـ ٨٢٣هـ/ ١٤١٥ ـ ١٤٢٠م[١٤٥] (شكل ١٧).

وإيوان القبلة بمدرسة جانم البهلوان ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م (شكل ١٣) ومع ذلك فإنه يبدو للوهلة الأولى مدى اختلاف التصميم بين كل من هذين النموذجين وبين إيوان مصلى المؤمنى ، فضلاً عن اختلاف طريقة التسقيف بينهما أيضاً .

ويمتد هذا الاختلاف أيضًا إلى بعض النماذج المملوكية الأخرى التى قسم إيوان القبلة فيها بواسطة بائكتين إلى ثلاثة أروقة سواء كانت موازية لجدار القبلة مثل خانقاة شيخو ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م (شكل ١٠) أو عمودية على ذلك

الجدار مثل كل من مدرسة المنصور قلاوون ٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ/ ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م ومدرسة الظاهر برقوق ٧٨٦ ـ ٧٨٨هـ/ ١٣٨٤ ـ ١٣٨٦م ومدرسة عبد الغنى الفخرى المعروفة بجامع البنات ٨٢١هـ/ ١٤١٨م (أشكال ١٨ ـ ٢٠).

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن إيوان مصلى المؤمنى يمثل نمطًا فريدًا لتخطيط الإيوانات فى العمارة المصرية الإسلامية خلال العصر المملوكى بدولتيه البحرية والچركسية .

وإذا كانت نماذج الإيوانات المملوكية المشار إليها لا تتفق مع إيوان مصلى المؤمنى كما سبق القول إلا أن بعض العمائر الدينية التى صممت وفق تخطيطات أخرى غير التخطيط الإيوانى والتى تشتمل أيضًا على رواقين تشبه للوهلة الأولى تخطيط إيوان مصلى المؤمنى ولكن مع الاختلاف أيضاً فى بعض العناصر والتفاصيل فضلا عن طريقة التسقيف وغير ذلك .

وترجع أقدم النماذج الباقية المعروفة فى العمارة المصرية الإسلامية إلى العصر الفاطمى كما هو الحال فى كل من الجامع الفاطمى بدير سانت كاترين[١٤٦] (شكل ٢١) ومشهد الجيوشى (شكل ٢٢) ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ، والمشهد القبلى بأسوان (مندرس حاليًا) ويؤرخ بالنصف الثانى من القرن ٥ هـ / ١١م[١٤٧] (شكل ٢٣).

ورغم أن النماذج الثلاثة السابقة تتفق مع مصلى المؤمنى فى أنها تشتمل على رواقين بواسطة بائكة واحدة تنطلق من فوقها العقود ويبلغ عددها سبعة منها ثلاثة عقود موازية لجدار القبلة وأربعة عقود عمودية على ذلك الجدار ، وهو الأمر الذى نتج عنه وجود ثلاث مساحات مربعة غالبًا ومستطيلة أحيانًا بكل رواق ، إلا أنها تختلف عنه فى بعض التفاصيل ومن بينها شكل الدعامات وطريقة التسقيف ، وهذه الأخيرة عبارة عن سقف خشبى فى جامع دير سانت كاترين ، وست قباب متساوية فى المشهد القبلى بأسوان بواقع ثلاث قباب بكل رواق ، أو تجمع بين القباب والأقبية كما هو الحال فى مشهد الجيوشى إذ يسقف الرواق الأول ، مما يلى جدار القبلة ، قبة فى الوسط تعلو المربع الذى

يتقدم المحراب وقبوان متقاطعان فى كل من الجانبين بينما يسقف الرواق الثانى ثلاثة أقبية متقاطعة(١٤٨).

وفى ضوء ذلك فإنه يحق لنا أن نعتبر هذه النماذج الثلاثة بمثابة إرهاصات لهذا النوع من التخطيط فى العمارة المصرية الإسلامية ، وعلى الرغم من عدم وجود نماذج تالية باقية ترجع إلى العصر المملوكى ، إلا أنه يستدل من خلال ما ورد فى بعض المصادر التاريخية على أن هذا النمط كان موجودا ، على الأقل فى أواخر العصر الجركسى ومن أمثلة ذلك جامع الجنبلاطية بباب النصر (مندرس حاليا) إذ يذكر (الجبرتى) ضمن حوادث ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م « ومما هدمه الفرنسيون جامع الجنبلاطية بباب النصر وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر النحيت ... »(١٤٩).

كذلك توجد نماذج لهذا النوع من التخطيط فى العمارة الإسلامية فى العديد من الأقطار العربية والإسلامية ومنها ، على سبيل المثال وليس الحصر ، كل من مسجد شاله العتيق بالمغرب الأقصى ٢١٣ ـ ٢٢٠هـ/ ٨٢٨ ـ ٨٣٥(١٥٠) (شكل ٢٤).

ومسجد السيدة بالمنستير فى تونس ٤١٢هـ/ ١٠٢١م(١٥١) (شكل ٢٥)، وجامع بابا أدم فى رامبال بالبنغال ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م (١٥٢) (شكل ٢٦) ، وجامع الشيخ خراسان فى ازربيجان(١٥٣) (شكل ٢٧)، ومسجد بلبل خاتون فى أماسيا(١٥٤) أواخر القرن ٩هـ / ١٥م أو أوائل القرن ١٠هـ / ١٦م (شكل ٢٨) ومسجد عتيق على باشا فى ذنجرلى قويو باستانبول(١٥٥) ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م (شكل ٢٩) ورغم أن النماذج الأربعة الأخيرة تتفق مع مصلى المؤمنى فى أنها تشتمل على رواقين بواسطة بائكة واحدة تنطلق من فوقها العقود ويبلغ عددها سبعة منها ثلاثة عقود موازية لجدار القبلة وأربعة عقود عمودية على ذلك الجدار ، وهو الأمر الذى نتج عنه وجود ثلاث مساحات مربعة غالبا ومستطيلة أحيانا بكل رواق ، إلا أنها تختلف عنه فى بعض العناصر والتفاصيل ومن بينها شكل الدعامات وطريقة التسقيف ، وهذه الأخيرة عبارة عن ست قباب متساوية بواقع ثلاث قباب بكل

رواق كما هو الحال فى كل من جامع بابا أدم وجامع الشيخ خراسان ومسجد عتيق على باشا (أشكال ٢٦ ـ ٢٧ ، ٢٩) أو تجمع بين القباب والأقبية كما هو الحال فى مسجد بلبل خاتون فى أماسيا إذ يسقف كل رواق قبة فى الوسط وعلى جانبيها قبوان متقاطعان (شكل ٢٨) .

وتتميز بعض النماذج السابقة بأنه يتقدمها من الخارج رواق خارجى (سقيفة) مغطى بالقباب المتساوية أيضاً كما هو الحال فى كل من مسجد بلبل خاتون ومسجد عتيق على باشا (شكلا ٢٨ ـ ٢٩) وهو ما لا نجده سواء فى النماذج السابقة المشار إليها أو فى مصلى المؤمنى نفسه .

كذلك تجدر الإشارة إلى أن تخطيط مصلى المؤمنى كان له أثره المباشر فى تصميم بعض العمائر الدينية التى شيدت فى مصر فى أوائل العصر العثمانى ومنها زاوية حسن الرومى [١٥٦] (شارع المحجر أسفل القلعة) ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م (شكل ٣٠).

وفى ضوء ما تقدم يتضح مدى أهمية تخطيط إيوان مصلى المؤمنى سواء فى العمارة الإسلامية عامة أو العمارة المصرية الإسلامية خاصة .

العناصر المعمارية والزخرفية:

.العقود:

يستدل من خلال البقايا الحالية فضلاً عن ما ورد بحجة الوقف أنه قد استخدمت فى هذه المنشأة عدة أنواع من العقود ، من أهمها العقد المدبب الذى لا يزال باقيًا حتى الآن ، والعقد المدائنى الذى كان يتوج المدخل الثانى بالواجهة الشرقية والذى اندرس حاليًا .

وعن العقد المدبب يمكن القول أن استخدامه هنا يعد استمراراً لما كان متبعًا فى العديد من العمائر المملوكية حيث نشاهد هذا العقد يتوج غالبية طواقى المحاريب والدخلات التى تتقدمها ، وأيضًا غالبية الدخلات التى تحوى الشبابيك سواء كانت بإيوان القبلة أو الإيوانات الأخرى ، كذلك نشاهد هذا

العقد يتوج أيضًا بعض فتحات الإيوانات التى تطل على الصحن أو الدرقاعة ومنها ، على سبيل المثال ، العقود التى تتوج فتحات الإيوانات الأربعة بكل من زاوية زين الدين يوسف ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م ومدرسة صرغتمش ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م ومدرسة السلطان حسن ٧٥٧ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦ـ ١٣٦٢م ومنها عقدى الدخلتين الجانبيتين (وهما الدخلة الجنوبية الغربية والدخلة الشمالية الشرقية المقابلة لها) بمسجد كافور الزمام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م وأيضًا عقود غالبية السدلات الجانبية بالمدارس الچركسية وغير ذلك .

أما عن العقد المدائنى فإنه من الصعب أن نحدد طرازه نظرًا لاندثاره ، ولكن كل ما يمكن قوله هو أن هذا النوع من العقود قد شاع بكثرة خلال العصر المملوكى وبخاصة الچركسى حتى أضحى علمًا على حجور مداخل العمائر فى ذلك العصر ، وتوجد له أنماط متعددة بعضها بسيط وبعضها الآخر مركب ومتطور(١٥٧) (لوحات ٢٠ ـ ٢٢، ٢٦ ـ ٢٩) ، فضلاً عن استخدامه كنوع من أنواع مناطق انتقال القباب خلال ذلك العصر أيضًا(١٥٨)

ومهما يكن من أمر فإنه من المرجّح أن هذا العقد كان على غرار أحد العقود المدائنية المتوجه لمداخل عمائر السلطان الغورى نفسه ولا سيما (لوحات ٢٠ ـ ٢٢) المدخل المؤدى إلى السبيل والمكتب فوقه الملحق بقبته وخانقاته بالغورية (لوحة ٢١) على اعتبار أن مدخل مصلى المؤمنى كان هو الآخر يؤدى إلى السبيل الملحق بالمصلى .

.القباب الضحلة:

عرف هذا النوع من القباب قبل العصر الإسلامى ، وظل مستخدمًا فى العمارة الإسلامية فى العديد من الأقطار العربية والإسلامية ، ومن المعروف أن منطقة انتقال هذه القباب عبارة عن أربعة مثلثات كروية بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان .

وترجع أقدم النماذج الباقية لهذه القباب فى العمارة الإسلامية عامة إلى العصر الأموى(١٥٩) أما فى مصر فترجع أقدم الأمثلة المؤكدة إلى العصر

الفاطمي وبالتحديد خلال الربع الأخير من القرن ٥ هـ/ ١١م[١٦٠]، ومنذ ذلك الوقت وحتى أواخر العصر المملوكي استخدمت هذه القباب في تغطية العديد من الوحدات والعناصر في العمائر المختلفة مثل الأروقة والإيوانات كما هو الحال في كل من مسجد الأقمر ٥١٩هـ/ ١١٢٥م وجامع سودون من زاده ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م وخانقاة الناصر فرج بن برقوق ٨٠١ـ ٨١٣هـ/ ١٣٩٨ ـ ١٤٠١م وإيوان القبلة بمدرسة قاني باى الرماح أمير اخور (بالقلعة) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م (شكل ٢٤) وغير ذلك أو الدركاوات ومنها على سبيل المثال ، دركاة المدخل الرئيسي لجامع الظاهر بيبرس ٦٦٥ ـ ٦٦٧هـ/ ١٢٦٦ ـ ١٢٦٨م ودركاه مدخل قصر منجك السلحدار ٧٤٧ ـ ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧م ودركاة مدخل مدرسة إينال اليوسفى ٧٩٤ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢م وغير ذلك .

أو الأسبلة ومنها السبيل الملحق بالقبة المعروفة بقبة عصفور (بقرافة الغفير) حوالى ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م.

أو المدافن ومنها قبة المدفن الصغير الملحق بمدرسة خاير بك (بباب الوزير) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م وقباب مقصورة الدفن أسفل القصر الملحق بمدرسة قرقماس أمير كبير (بقرافة الغفير) ٩١١ـ ٩١٣هـ/ ١٥٠٥ ـ ١٥٠٧م.

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن استخدام القباب الضحلة المقامة على مثلثات كروية في مصلى المؤمنى يعد استمراراً لما كان متبعا فى العديد من العمائر المملوكية .

،الأقبية المروحية[١٦١]:

يعد استخدام هذه الأقبية فى مصلى المؤمنى هو الآخر استمراراً لما كان متبعاً فى العديد من العمائر المملوكية الأخرى ، وترجع أقدم الأمثلة الباقية لهذا النوع من الأقبية فى العمارة المصرية الإسلامية إلى عصر المماليك البحرية ومن بينها دركاة كل من المدخل الرئيس لقصر الأمير طاز ٧٥٣ هـ/ ١٣٥٢م

ومدرسة أم السلطان شعبان (خوند بركة) ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م ومدرسة الجاى اليوسفى ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م.

واستمرت هذه الأقبية خلال عصر المماليك الجراكسة حيث نشاهدها فى العديد من الدركاوات ومنها الدركاة الثانية بنهاية الدهليز بمدرسة الظاهر برقوق (بالنحاسين) ٧٨٦ ـ ٧٨٨ هـ/ ١٣٨٤ـ ١٣٨٦م ودركاة المدخل الرئيس لخانقاة الناصر فرج بن برقوق ٨٠١ ـ ٨١٣هـ/ ١٣٩٨ـ ١٤١٠م ودركاة المدخل الرئيس لجامع المؤيد شيخ ٨١٨ ـ ٨٢٣هـ/ ١٤١٥ ـ ١٤٢٠م ودركاة المدخل الرئيس لجامع الوناتى (بالسيدة عائشة) أواخر القرن ٩ هـ/ ١٥م ودركاة وكالة قايتباى بالأزهر ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م ودركاة طابية قايتباى بالإسكندرية ٨٨٢ ـ ٨٨٤هـ/ ١٤٧٧ ـ ١٤٧٩م ودركاة وكالة الغورى (بالتبليطة) ٩٠٩ـ ٩١٠هـ/ ١٥٠٣ ـ ١٥٠٤م وغير ذلك .

وبالإضافة إلى الدركاوات استخدمت الأقبية المروحية فى تسقيف أجزاء أخرى من العمائر كما هو الحال فى مجمع السلطان قايتباى (بقرافة صحراء المماليك) ٨٧٧ ـ ٨٧٩هـ/ ١٤٧٢ ـ ١٤٧٤م، حيث نشاهده فى الممر المتفرع من دركاة المدخل الرئيس فضلاً عن الشباك الأوسط بالإيوان البحرى (الشمالى الغربى) المقابل لإيوان القبلة ، وفى مدرسة أبو بكر مزهر (بحارة برجوان) ٨٨٤هـ/ ١٨٧٩م حيث نشاهده فى الشباك الجنوبى بالإيوان القبلى ، وفى مدرسة قانبياى أمير أخور (بالقلعة) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م حيث نشاهده فى الحجرة التى تتقدم القبة الملحقة بالمدرسة .

كذلك استخدمت هذه الأقبية فى تسقيف الدرقاعات ومن الأمثلة الباقية الدالة على ذلك كل من درقاعة مسجد طابية قايتباى بالإسكندرية ٨٨٢ ـ ٨٨٤هـ/ ١٤٧٧ ـ ١٤٧٩م ودرقاعة مدرسة خاير بك بباب الوزير[١٦٢] ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م (لوحة ٢٥).

واستخدمت هذه الأقبية أيضًا فى تسقيف بعض الأسبلة ومنها سبيل ازدمر من على باى (قرب السيدة عائشة) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م وسبيل طراباى الشريفى[١٦٣] (بباب الوزير) (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م).

ومن المرجّح أيضاً أن جميع الملحقات والمنافع الدارسة التى كانت بالمنشأة كالسبيل وحوض السبيل والأروقة والمغاسل كانت مسقوفة هى الأخرى بقبو مروحى على غرار ما هو موجود بإيوان المصلى(١٦٤). وهو الأمر الذى يدل على أن هذه المنشأة ربما كانت أكبر منشأة استخدمت فيها مثل هذه الأقبية فى أواخر العصر المملوكى .

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن إيوان مصلى المؤمنى يعد الإيوان الوحيد بين الإيوانات الأخرى الباقية فى العمارة المصرية الإسلامية الذى جمع فى تسقيفه بين القباب والأقبية المروحية وهو الأمر الذى أضفى عليه طابعا متفردا وشخصية مستقلة .

الرنوك الكتابية:

عند تأصيل هذا النوع من الرنوك نجد أن أقدم نماذجها الباقية حتى الآن ترجع إلى أواخر القرن ٧هـ/ ١٣م وأوائل القرن ٨ هـ / ١٤م. وقد ظهرت هذه الرنوك أولاً على التحف الفنية المختلفة كالمشكاوات والأوانى والسلطانيات وما شابه ذلك ، ثم لم تلبث أن ظهرت على العمائر بعد ذلك ولعل أقدم النماذج الباقية الدالة على ذلك هو رنك السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) الذى وجد على واجهة القصر المعروف بحوش بردق(١٦٥) بجوار مدرسة السلطان حسن.

وقد استمر ظهور هذه الرنوك الكتابية طيلة العصر المملوكى (لوحات ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٧) ، إلا أنه يلاحظ أنها قد شاعت بصفة خاصة فى أواخر العصر المملوكى ولا سيما خلال عهدى كل من السلطان قايتباى (٨٧٢ ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ ـ ١٤٩٥م) والسلطان الأشرف قانصوه الغورى سواء كان ذلك على العمائر المختلفة(١٦٦). أو على التحف الفنية المتنوعة(١٦٧).

الخاتمة

وبعد فإنه يتضح فى ضوء ما تقدم مدى أهمية دراسة موضوع « مصليات الجنائز فى العمارة المصرية الإسلامية » دراسة أثارية وثائقية تاريخية .

وقد خرجت الدراسة بعدة حقائق ونتائج جديدة يمكن استخلاص أبرزها فى النقاط التالية :

- أوضحت الدراسة أنه على الرغم من أنه تجوز الصلاة على الجنازة فى المساجد إلا أنه من الأفضل والمستحب الصلاة عليها خارج المسجد فى مكان أو مصلى معد لذلك الغرض كما كان الأمر على عهد النبى ﷺ وبالتالى يمكن القول بأن أقدم مصلى جنائزى فى العمارة الإسلامية عامة كان هو المصلى الملاصق للمسجد النبوى الشريف من جهة الشرق ، وقد ظل موضعه معروفاً حتى وقت قريب وكان يحيط به من ثلاث جهات جدار قصير .
- أكدت الدراسة على أن مصليات الجنائز قد نهضت بدور جليل الشأن عظيم الأثر إبان العصور الوسطى وكانت تتضح أهميتها ويبرز دورها ويشتد الطلب على بنائها أثناء وبعد حدوث المجاعات والأوبئة وما كان يصاحب ذلك من انتشار الأمراض وكثرة الوفيات بدرجة كبيرة مما كان له أثره الكبير فى الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة .
- أبرزت الدراسة مدى حرص كثير من السلاطين والأمراء على تخصيص الأوقاف المغلة من أجل تغسيل الفقراء وتكفينهم أو بناء المصليات والمغاسل
- أثبتت الدراسة أن مصليات الجنائز قد انتشرت فى القاهرة انتشاراً كبيراً سواء بالقرافة أو بالقرب منها فضلاً عن بعض ظواهرها وبخاصة ظاهريها البحرى والقبلى، وقد أثبتنا أن تلك المصليات قد بلغت قرب منتصف القرن ٩هـ/ ١٥م نحواً من عشرين مصلى .
- أثبتت الدراسة أنه كانت توجد فى الزيادة البحرية للجامع الطولونى عقب تجديدات السلطان لاجين ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م فسقية بجوارها قبة مخصصة

لتغسيل وتكفين من يموت من الفقراء والمساكين بخط الجامع الطولونى وهو الأمر الذى يضيف وظيفة جديدة للقباب لم تكن معروفة من قبل .

- أوضحت الدراسة أن مصليات الجنائز كانت تشتمل على بعض الملحقات والمنافع منها ما كان يوجد فى العمائر الدينية الأخرى كالمساجد والمدارس والخوانق والزوايا مثل الأسبلة وأحواض السبيل والأروقة السكنية وأماكن الوضوء وغير ذلك ، ومنها ما كانت تتميز به عن غيرها من العمائر الدينية ، بحكم الوظيفة التى كانت تقوم بها ، مثل المغاسل .

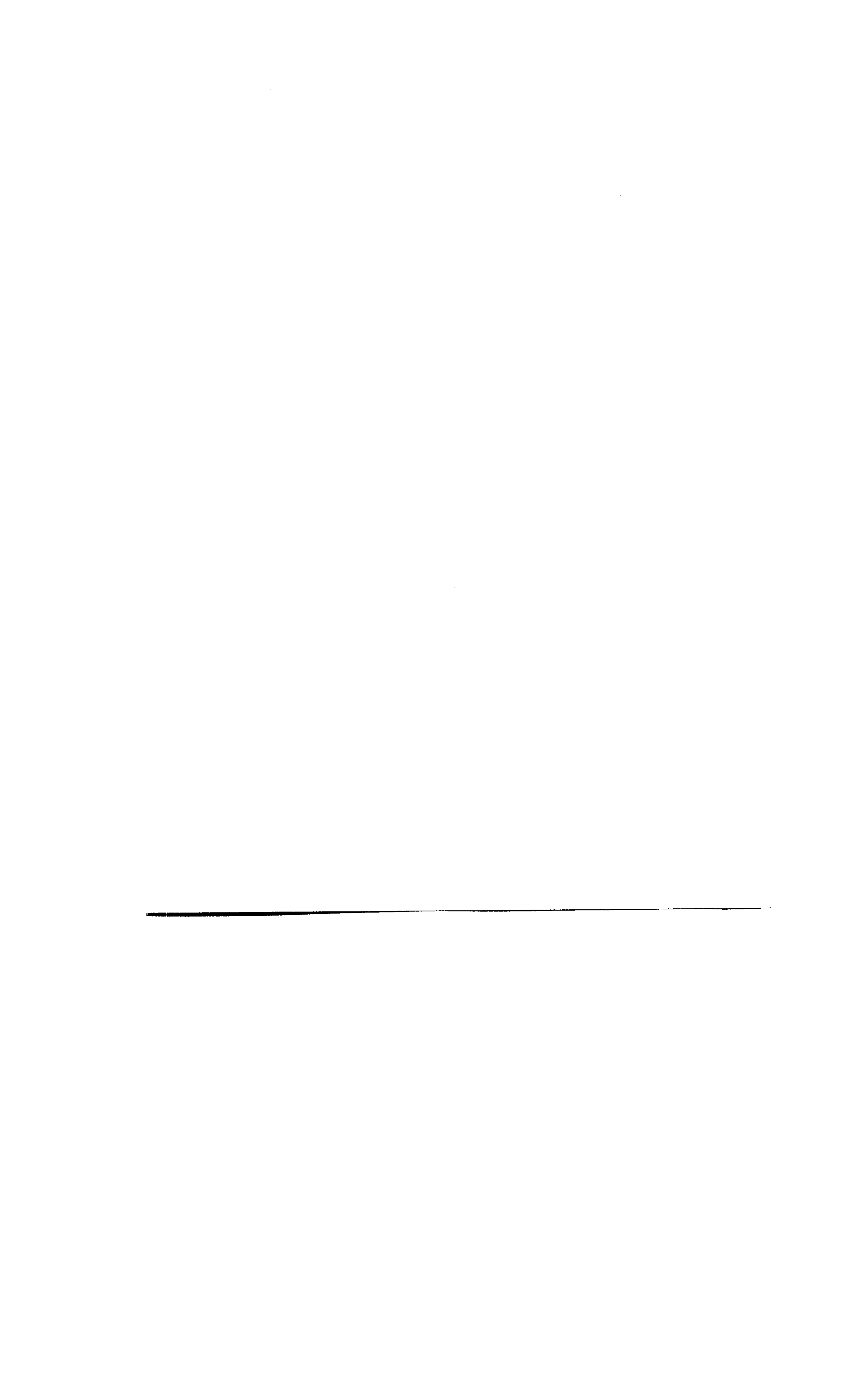
- أثبتت الدراسة أن مصلى المؤمنى المعروف بجامع الغورى هو المصلى الجنائزى الوحيد الباقى بالقاهرة ، وأنه كان يعد المصلى الرسمى للجنائز منذ إنشائه فى أواخر عصر المماليك البحرية وحتى أواخر العصر العثمانى .

- أثبتت الدراسة أنه كان لمصلى المؤمنى ، نظراً لقربه من القلعة مقر الحكم وكرسى السلطنة ، دوره الكبير فى بعض الأحداث السياسية التى بين السلاطين والأمراء فى العصر المملوكى من جهة وبين الباشوات والأمراء فى العصر العثمانى من جهة ثانية ، وهو الأمر الذى كان له أثره الكبير على عمارة هذا المصلى وبالتالى تعرضه للتخريب والهدم أكثر من مرة ، كما كانت تنفذ به بعض العقوبات .

- أثبتت الدراسة أن مصلى المؤمنى كان يشتمل على العديد من الوحدات والعناصر والمفردات كالإيوان والسبيل فضلاً عن المغسلين والأروقة والميضأة وغير ذلك من المنافع والمرافق وهو الأمر الذى يمكن من خلاله التعرف على وحدات وعناصر ومفردات التصميم المعمارى لمصليات الجنائز فى العمارة المصرية الإسلامية ابان العصر المملوكى بصفة عامة .

- أثبتت الدراسة أن إيوان مصلى المؤمنى يعد الإيوان الوحيد بين الإيوانات الأخرى الباقية فى العمارة الإسلامية عامة - فيما أعلم - والعمارة المصرية الإسلامية خاصة الذى جمع فى تسقيفه بين القباب والأقبية المروحية وهو الأمر الذى أضفى عليه طابعاً متفرداً وشخصية مستقلة .

وختامًا فإنه على الرغم من أنه من الصعوبة بمكان أن يعاد بناء الملحقات والمنافع والمرافق الدارسة التى كانت تشتمل عليها هذه المنشأة المهمة والسابق الإشارة إليها اعتمادًا على ما ورد بحجة الوقف ، إلا أنه يجب على الأقل الاهتمام بالأجزاء الباقية والمحافظة عليها وترميمها حتى لا نفقد إلى الأبد النموذج الوحيد الباقى لمصليات الجنائز المملوكية فى القاهرة .



(١) المصلى ، بالضم وتشديد اللام ، هو موضع الصلاة وقيل أيضاً الدعاء ، كما فى قوله عز وجل ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ سورة البقرة آية ١٢٥ المطرزى ، أبو الفتح ناصر الدين ، ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣، المغرب فى ترتيب المعرب ، جـ١ ، تحقيق محمود فاخورى ، عبد الحميد مختار ، حلب (١٩٧٩م) ، ص ٤٨٠ الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت ، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ، معجم البلدان ، مج ٨، القاهرة (١٩٠٦م)، ص ٧٩ .

أما عن المصلى كمصطلح فى العمارة الإسلامية فإنه يقصد به تحديداً تلك الأبنية التى كانت تخصص للصلاة فى المناسبات المختلفة مثل صلاة العيدين (الفطر والأضحى) ومن ثم عرفت واشتهرت باسم مصلى العيد (نماذكاه فى المشرق الإسلامى ، الشريعة فى المغرب والأندلس) الحداد ، محمد حمزة ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، القاهرة ، (١٩٩٦م) ، ص ٣٧ .

أو صلاة الجنازة على الموتى ومن ثم عرفت واشتهرت باسم مصلى الجنائز . وتجدر الإشارة إلى أنه فى بعض الأحيان كان مصلى الجنائز يبنى مجاوراً لمصلى العيد وفى أحيان أخرى كان يستخدم المصلى الواحد للغرضين معا أى صلاة العيد وصلاة الجنازة ، فضلاً عن إقامة صلاة الاستسقاء ، ولا سيما فى مصلى العيد كما يستدل من المصادر التاريخية المختلفة .

(٢) الألبانى ، محمد ناصر الدين ، أحكام الجنائز ، دمشق (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، ص١٠٦ .

(٣) مسلم ، الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ٢٦١هـ/ ٨٧٤م، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، بيروت ، د.ت ، جـ٣ ، ص ٦٢ ، مالك ، الإمام مالك بن أنس بن مالك ، ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م ، الموطأ ، بيروت (١٩٨٤)، ص ١١٢ ، ابن ماجة ، الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م سنن ابن ماجة ، مج١ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ،، بيروت (١٩٨٦م) ، ص ٢٥٣، السجستانى الآزدى ، الإمام الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث ، ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م ، سنن أبى داود ، جـ٣ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، إستانبول ، د.ت ، ص ٢٠٧، النسائى ، أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر ، ت ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م صحيح سنن النسائى ، جـ٢ ،

تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت (١٩٨٨م)، ص ٤٢٤، العسقلاني ، الإمام الحافظ ابن حجر ، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م، كتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام في علم الحديث، مصر . (١٣٣٠هـ/١٩١١م) ص ٩٢، السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد المصري ، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، جـ٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٣ ، (١٩٨١م) ، ص ٥٣٢ .

(٤) مسلم ، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، جـ٣ ، ص ٦٣، النسائي ، صحيح سنن النسائي ، جـ٢ ، ص ٤٢٤.

(٥) السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود ، جـ٣ ، ص ٢٠٧ .

ابن النجار ، الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد البغدادي ، ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، القاهرة (١٩٩٥م) ، ص ١٦٣.

(٦) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، مج١ ، ص ٢٥٣ : السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود ، جـ٣، ص ٢٠٧، ابن النجار . الدرة الثمينة ، ص ١٦٣ .

(٧) الإمام مالك ، الموطأ ، ص ١١٢، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص ٥٣٢ .

(٨) الإمام مالك ، الموطأ ، ص ص ١١٢ ـ ١١٣ .

(٩) هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلائي الظاهري أحد سلاطين المماليك الجراكسة تولى عرش السلطنة فيما بين ٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ـ ١٤٥٣م.

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، جـ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ، (١٩٨٦م)، ص ص ٢٧٥ ـ ٣١٢ ترجمة رقم ٨٤٩.

(١٠) السمهودي ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٣٣ .

(١١) هو « أبو إهاب بن عزيز بن قيس بن سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي حليف بني نوفل بن عبد مناف .. وهو أول من صلى عليه في المسجد الحرام لما مات » .

العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ٤ ، بيروت ، (١٩٧٨م) ، ص ص ١١ ـ ١٢ .

(١٢) الفاكهى ، الإمام أبى عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكى ، (من علماء القرن ٣ هـ/ ٩م) أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه ، جـ٢ ، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكة المكرمة ، (١٩٨٧)، ص ٢٠٢ .
العسقلانى ، الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ٤ ، ص ص ١١ ـ ١٢ .
(١٣) الأزرقى ، أبى الوليد محمد بن عبد الله بن محمد ، ت حوالى منتصف القرن ٣هـ/ ٩م ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، جـ٢ ، تحقيق رشدى الصالح ، ط ٣ ، بيروت، (١٩٨٣م)، ص ٩٧، الفاكهى ، أخبار مكة ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، رفعت، إبراهيم ، مرآة الحرمين ، جـ١ ، القاهرة (١٩٢٥م) ، ص ٢٣ ، مطر ، فوزية حسين ، تاريخ عمارة الحرم المكى الشريف إلى نهاية العصر العباسى الأول ، جدة ، (١٩٨٢م) ، ص ١٥٦ ؛ عمارة ، طه عبد القادر ، نشأة وتطور عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام منذ فجر الإسلام حتى نهاية العصر العباسى ، مجلة كلية الآثار ، العدد التاسع ١٩٩٨م، مطبعة جامعة القاهرة (٢٠٠١م)، ص ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٦
(١٤) الفاسى ، تقى الدين محمد بن أحمد ، ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، جـ١ ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ط ٢ ، بيروت (١٩٨٦م) ، ص ص ٨٤ ـ ٨٥ .
(١٥) باسلامة ، حسين عبد الله ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ط ٣ ، جدة (١٩٨٠م)، ص ص ١١٦ ـ ١١٨ ؛ ابن ظهيرة ، محمد بن محمد بن أبى بكر القرشى المخزومى ، ت٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، تحقيق على عمر ، القاهرة (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص١٩٢ ـ ١٩٣ .
(١٦) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١٢٠ .
(١٧) كان يصلى على الجنائز فى هذا الجامع ثم لم تلبث أن تخرج بعد الصلاة من باب فى جداره الشرقى يعرف بباب الجنائز .
ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ، ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، جـ٤ ، ط٢ ، بيروت ، د.ت ، ص ٦٠ .
(١٨) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ١٦ ، تحقيق الشيال ، شلتوت ، القاهرة (١٩٧٢م) ، ص ص ١٤٤ ـ ١٤٦ .
(١٩) البكرى ، محمد بن أبى السرور ، ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م ، الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة ، تحقيق وتعليق عبد الرازق عيسى ، القاهرة (١٩٩٧م) ، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٧ .

(٢٠) العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ٥ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد (وآخرون) ، القاهرة (١٩٧٨م) ، ص ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٢١) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٣٢ .

(٢٢) العسقلانى ، فتح البارى ، جـ٥ ، ص ٢٤٣ ، الألبانى ، أحكام الجنائز ، ص ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢٣) السمهودى ، الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ، ضمن رسائل فى تاريخ المدينة ، قدم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر ، الرياض ، ١٩٧٢، ص ١١١ .

(٢٤) الحمد ، عبد القادر شيبه ، فقه الإسلام ، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العسقلانى ، جـ٣، ط ٢ ، مطابع المدينة ، الرياض ، د.ت ، ص ٤١ .

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن هذا الوصف إنما هو وصف عبد القادر شيبه الحمد مؤلف كتاب فقه الإسلام شرح بلوغ المرام المشار إليه وليس وصف ابن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى كما ذكر الزميل محمد الكحلاوى .

الكحلاوى ، محمد ، عمائر الموحدين الدينية فى المغرب ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة (١٩٨٦م) ، ص ٤١٠ .

أثر العقيدة الإسلامية على عمارة المساجد ، المنهل ، العدد ٥١٩ ، المجلد ٥٦ ، جمادى الأولى والآخرة ١٤١٥هـ/ أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٩٤م ، العدد السنوى الخاص الموسوم بـ« العمارة ... والمدينة الإسلامية » ، ص ١٤٥ .

(هذا وقد نشر هذا البحث بعنوان « القيم الدينية وأثرها فى تخطيط عمارة المساجد، دراسات فى علم الآثار والتراث . الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، جامعة الملك سعود، كلية الآداب ، العدد الأول ، الرياض ، ١٩٩٥م ، ص ص ١٨٠ ـ ١٨٢).

أما النص الوارد فى كتاب فتح البارى فهو مختلف تماماً حيث أنه اقتصر فقط على تحديد موضع المصلى بالنسبة للمسجد النبوى الشريف وصيغة هذا النص على النحو التالى « وحكى ابن بطال عن ابن حبيب أن مصلى الجنائز بالمدينة كان لاصقًا بمسجد النبى ﷺ من ناحية ـ أى جهة ـ المشرق » . العسقلانى ، فتح البارى ، ص ٢٤٣ ، وقد تكرر نفس النص فى كتاب فقه الإسلام شرح بلوغ المرام مع إضافة الوصف المشار إليه فى متن البحث وقد ذكر المؤلف فى نهاية النص قوله « وهو ينطبق على ما ذكر ابن بطال عن ابن حبيب . أى من حيث موضعه » .

الحمد ، فقه الإسلام ، جـ٣ ، ص ٤١ .

(٢٥) جواد ، مصطفى ، سوسه ، أحمد ، دليل خارطة بغداد المفصل فى خطط بغداد قديما وحديثا ، مطبوعات المجمع العراقى ، بغداد (١٩٥٨م) ، ص ٢٩٨ .

(٢٦) النعيمى ، عبد القادر محمد ، ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م ، الدارس فى تاريخ المدارس ، جـ٢ ، نشر وتحقيق جعفر الحسنى ، دمشق (١٩٥١م) ، ص ٣٤٢ .

(٢٧) الكحلاوى ، عمائر الموحدين الدينية ، ص ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، أثر العقيدة الإسلامية على عمارة المساجد ، ص ١٤٤ ؛ مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، مطبعة جامعة القاهرة ـ د. ت، ص١٠٢ ، ٢٨٥ ، ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(٢٨) إسماعيل ، عثمان عثمان ، حفائر شاله الإسلامية ، بيروت (١٩٧٨م)، ص ص ٣٦٢ ـ ٣٦٧ ، شكل ١٨٩ ؛ أبو رحاب ، محمد السيد ، مدارس المغرب الأقصى فى عصر بنى مرين ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ـ كلية الآداب بسوهاج ـ جامعة جنوب الوادى (١٩٩٩م)، ص٢٧٨ .

(٢٩) الكحلاوى ، عمائر الموحدين ، ص ٤٠٧ .

(٣٠) بدر ، حمزة عبد العزيز ، الآثار الإسلامية بمنفلوط من الفتح العربى حتى العصر العثمانى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة أسيوط ، (١٩٨٤م) ، ص ١٥٨ .

(٣١) تجدر الإشارة إلى أن المغاسل قد تكون ذات تكوين معمارى محدد على هيئة إيوان مقبى مزود بالمنافع والمرافق اللازمة لعملية الغسل كما يستدل من خلال ما ورد فى وثائق الوقف المختلفة ، وقد تكون مجرد بئر وفى ذلك يذكر القطبى أن الخليفة المهدى العباسى قد أمر بحفر « بئر خارج حزوره يغسلون عندها الموتى من الفقراء إلى الآن ـ أى حتى زمن القطبى المتوفى ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م » القطبى ، عبد الكريم ، ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م ، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، تحقيق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعى ، عبد الله الجبورى ، الرياض ، (١٩٨٣)، ص ٨٠ ؛ ويضيف السنجارى فيذكر أن هذه البئر ظلت «باقية إلى الآن ـ أى حتى زمنه وكانت وفاته ١١٢٥هـ ، ينتفع بها فى غسل الطرحاء بمكة ولهانفع كبير » .
السخاوى ، على بن تاج الدين ، ت١١٢٥هـ ، منائح الكرم فى أخبار مكة وولاة الحرم، جـ٢ ، دراسة وتحقيق جميل عبد الله المصرى ، مركز إحياء التراث الإسلامى، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص١١٢ ـ ١١٣ ؛ وانظر أيضاً ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٩٤ .

(٣٢) تعرضت مصر خلال العصر الإسلامى لعدد من الأزمات الاقتصادية صاحبها حدوث كثير من المجاعات والأوبئة مما كان له أثره الكبير فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية . عن أسباب هذه الأزمات ونتائجها انظر ، على سبيل المثال ، غانم ، حامد زيان ، الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر ، عصر سلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٧٦م)؛ البيلى ، محمد بركات ، الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر الإسلامية ، القاهرة (١٩٨٦م)؛ الصاوى ، أحمد ، مجاعات مصر الفاطمية ، أسباب ونتائج ، بيروت ١٩٨٨ .

(٣٣) تحوى المصادر التاريخية المتعددة تفاصيل كثيرة حول هذا الموضوع ، وحسبنا أن نشير إلى مؤلفات كل من المقريزى وابن تغرى بردى وابن داود الصيرفى وابن إياس وابن أبى السرور البكرى وابن عبد الغنى وابن الوكيل وعبد الرحمن الجبرتى وغيرهم ونظرًا لظروف الطبع والنشر وحرصًا على عدم زيادة حجم البحث اكتفينا بالإشارة إلى خلاصة ما ورد فى تلك المصادر ولا سيما عند حدوث الأوبئة والمجاعات كما حدث فى أعوام ٧٤٩هـ، ٨٣٣هـ، ٨٤١هـ، ٨٦٤هـ، ٨٧٣هـ، ١٠١٠ ـ ١٠١٢هـ، ١٠٢٨هـ، ١٠٣٥هـ، ١٠٥٢هـ، ١١٧١هـ، وغير ذلك .

(٣٤) المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ٢ ق ٣ ، ص ص ٧٨٢ ـ ٧٨٣، جـ٤ ق ٢ ، ص ص ٨٢١ ـ ٨٢٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٤ ، تحقيق محرز ، شلتوت ، القاهرة (١٩٧١م)، ص ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ابن داود الصيرفى ، الخطيب الجوهرى على ، ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان ، جـ ٣ تحقيق حسن حبشى ، القاهرة (١٩٧٣م)، ص ص ١٨٦ ـ ١٩٠ ، ابن الوكيل ، يوسف أفندى الملوانى ، ت ١١٣١هـ/ ١٧١٩م تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، مخطوطة ، دار الكتب المصرية ، رقم (٥٦٢٣ تاريخ) ، ص ١٨٠ ، البكرى ، الروضة المأنوسة ص١٥٥ .

(٣٥) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ق ٣ ، ص ص ٧٨٢ ـ ٧٨٣، جـ٤ ق ٢ ، ص ص ٨٢١ ـ ٨٢٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٤ ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

(٣٦) هو السلطان الملك الظاهر بيبرس بن عبد الله ركن الدين أبو الفتح البندقدارى ، يعد المؤسس الحقيقى لدولة المماليك البحرية ، وقد تولى عرش السلطنة فيما بين ٦٥٨ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م.

ابن دقماق ، الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين جـ٢ ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، (١٩٨٥م)، ص ص ٦٦ ـ ٨٤ ، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، تحقيق نبيل عبد العزيز ، القاهرة ، (١٩٨٥م)، ص ص ٤٤٧ ـ ٤٦٧ ترجمة رقم ٧١٧.

(٣٧) المقريزى ، السلوك ، جـ١ ق ٢ ، ص ٦٣٨ صبرة ، آدم ، الفقر والإحسان فى مصر، عصر سلاطين المماليك ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة (٢٠٠٣م) ، ص ١٥٦ .

(٣٨) هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى أحد سلاطين المماليك البحرية وقد تولى عرش السلطنة فيما بين ٦٩٦ ـ ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٦ ـ ١٢٩٨م.

ابن حبيب ، الحسن بن عمر ، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م.

تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، جـ١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة وتقديم سعيد عاشور ، القاهرة (١٩٧٦م)، ص ص ١٩٤ ـ ٢١٢ ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين جـ٢ ، ص ص ١٢٢ ـ ١٢٨ ، ابن شاهين الملطى ، عبد الباسط بن خليل ، ت٩٢٠/ ١٥١٤م ، نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، القاهرة (١٩٨٧م) ، ص ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٣٩) وثيقة السلطان حسام الدين لاجين نقلا عن (إبراهيم ، عبد اللطيف ، الوثائق فى خدمة الآثار ، ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، القاهرة (١٩٧٩م) ، ص ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

(٤٠) يعد هذا الوباء من أخطر الأوبئة التى اجتاحت العالم من أقصاه إلى أقصاه وقد عرف المسلمون هذا الوباء الشامل باسم الفناء الكبير على حين عرفه الغرب الأوربى باسم « الموت الأسود » وقد بدأ هذا الوباء المروع ينشب أنيابه فى مصر فى خريف عام ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ثم اشتدت وطأته مع بداية العالم التالى (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) وكان فتاكا لدرجة أن الأدوية لم تكن تجدى نفعا ومن ثم تزايدت أعداد الموتى بدرجة كبيرة ، كذلك شمل هذا الوباء كل شىء حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر وغير ذلك. ومن أهم المصادر التى تحدثت عن ذلك الوباء السلوك للمقريزى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى وغير ذلك وللمزيد انظر :

قاسم ، قاسم عبده ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٧٩م) ، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

عبد الدايم ، عبد العزيز ، مصر فى عصرى المماليك والعثمانيين ، مكتبة نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، (١٩٩٦م) ، ص ١٠٧ .

(٤١) هو أحد الأمراء الكبار فى دولة المماليك البحرية ، وأصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ثم تنقل فى عدة وظائف فى أيام المظفر حاجى والصالح صالح والسلطان حسن وصار زمام الملك بيده وهو صاحب الجامع والخانقاه بالصليبة وكانت وفاته ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م . العسقلانى ، الدرر الكامنة لأعيان المئة الثامنة ، بيروت ، د. ت، جـ٢ ، ص ص ١٩٦م ، ١٩٧ ، ترجمة رقم ١٩٥٠، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٦ ، تحقيق محمد أمين ، القاهرة (١٩٩٠م)، ص ص ٢٥٧ ـ ٢٦٢ ، ترجمة رقم ١١٩٢.

(٤٢) هو الأمير مغلطاى الناصرى أمير شكار ثم صار أمير أخور ، كان غلب على الناصر حسن فى سلطنته الأولى إلى أن خلع وأمسك وسجن بالإسكندرية ثم أفرج عنه وقدم دمشق بطالا ليسير إلى طرابلس فتعلل بدمشق ومات فى رمضان ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م وكان حاد الخلق قوى النفس . العسقلانى ، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص ٣٥٥ ، ترجمة رقم ٩٧٠ .

(٤٣) من الوظائف المتفرعة من لفظة أمير وهو اسم مركب من لفظة أمير العربية ولفظة آخور الفارسية ومعناها المعلف وكان هذا الاسم يطلق على القائم على أمر الدواب من خيل وبغال وإبل وغيرها ، وفى العصر المملوكى شغلت هذه الوظيفة المرتبة السادسة بين الوظائف العسكرية الكبرى بقصر السلطان المملوكى وصارت تسند عادة إلى أمير مائة مقدم ألف .

الباشا ، حسن ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ١ ، القاهرة ـ (١٩٦٥م) ، ص ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٤٤) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ق ٣ ، ص ٧٨٣ .

(٤٥) هو الأمير يحيى بن عبد الرازق الزين القاهرى الاستادار ولى عدة وظائف سنية فى عصر المماليك الجراكسة ، وكان مغرمًا بالإنشاء والتعمير فأمر بإنشاء الكثير من العمائر لا يزال باقيا بعضها فى كل من شارع الأزهر والحبانية وبولاق . وكانت وفاته ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م.

السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع جـ١٠ ، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، ترجمة رقم ٩٨٣ .

(٤٦) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ١٠ ، ص ٢٣٤ .

(٤٧) ابن داود الصيرفى ، إنباء الهصر بابناء العصر ، تحقيق وتقديم حسن حبشى ، القاهرة (١٩٧٠م) ، ص ص ١٤٤ ، ١٧٣ .

(٤٨) هو الأمير يشبك من مهدى الظاهرى جقمق ويعرف بالصغير ، من الأمراء الكبار فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، وقد تقلد عدة وظائف سنية ولا سيما فى عهد السلطان قايتباى وكان أمير جليلاً معظما ذا شهامة زائدة وحرمه وافرة وكانت وفاته ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م.

السخاوى ، الضوء ، جـ١٠ ، ص ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ ، ترجمة رقم ١٠٧٧ .

ابن أجا ، شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبى ، ت ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ، تحقيق عبد القادر طليمات ، القاهرة (١٩٧٣م)، مقدمة التحقيق ، ص ص ١٠ ـ ٢٩ .

(٤٩) ابن داود الصيرفى ، إنباء الهصر ، ص ٥٩ ، ابن إياس ، محمد بن أحمد ، ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ٣ ، تحقيق محمد مصطفى، ط ٢ ، القاهرة (١٩٨٤م) ، ص ٣٠ .

وللمزيد من التفاصيل فضلاً عن تحديد موضع المغسل انظر :

إمام ، سامى عبد الحليم ، الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٦٩م) ، ص ص ١٧٢ ـ ١٨٦، الملحق رقم (٤) ص ٢١٦ .

(٥٠) عن القرافة من حيث مسمياتها ونشأتها وتطورها العمرانى من الفتح العربى إلى نهاية العصر المملوكى انظر : الحداد ، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٧م).

(٥١) المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية ، جـ٢ ، ط ٢ ، القاهرة ، (١٩٨٧م)، ص ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥ .

(٥٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٥٣) الجهة فى اللغة اسم للناحية وكان يكنى باللفظ عن المرأة الجليلة كما كان يكنى عن الرجل العظيم بالجناب ، واستعمل مع أداة التعريف كلقب أصل لمؤنث حقيقى ، وفى العصر الفاطمى أطلق على بعض زوجات الخلفاء والوزراء أما فى عصر المماليك فكان يطلق على أميرات البيوت المالكة ، الباشا ، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، ط٢ ، القاهرة (١٩٧٨م) ، ص ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .

(٥٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٥٤ .

(٥٥) هو أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، كان حسن التدبير فحل الرأى وهو الذى أقام الخليفة الآمر ابن الخليفة المستعلى فى موضع أبيه بعد وفاته ، وخلف من الأموال ما لم يسمع بمثله وكانت وفاته سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م . ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، جـ٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت (١٩٦٩م) ، ص ص ٤٤٨ ـ ٤٥١ ترجمة رقم ٢٨٦ .

(٥٦) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٥١ .

(٥٧) ومنها كل من مصلى الشريفة ومصلى عقبة القرافة المعروف بمصلى الأندلس ومصلى القرافة ومصلى الفتح ومصلى جهة العادل أبى الحسن بن السلار وزير مصر ومصلى الوزير على بن أحمد الجرجانى ومصلى خولان. المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥ ، وعن ترجمة كل من الوزيرين أبى الحسن بن السلار (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) وعلى بن أحمد الجرجانى (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت (١٩٧٠م) ، ص ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ، ترجمة رقم ٤٨٢ ، ص ص ٤١٦ ـ ٤١٩ ترجمة رقم ٤٨٥ .

(٥٨) عرف هذا المصلى بذلك الاسم نسبة إلى قبيلة خولان اليمنية التى شهدت فتح مصر وكان هذا المصلى فى الأصل مصلى للعيد حيث يذكر المقريزى وفيه « مشهد الأعياد ويؤم الناس ويخطب لهم بها فى يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص » وبعد ذلك تحدث المقريزى عن المصلى القديم والمصلى الجديد ومراحل الزيادة فيه . المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٠٥ ، جـ٢ ، ص ٤٥٤ ، وانظر أيضًا الكندى ، أبو عمر محمد بن يوسف الكندى ، ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م ، الولاة والقضاة ، نشر رفن كست ـ بيروت (١٩٠٨م) ص ص ١٣ ، ٢٠٢ ، ويستدل من خلال ما ورد فى بعض المصادر التاريخية أن هذا المصلى كان يستخدم أيضًا كمصلى للجنائز ، ابن الزيات ، شمس الدين محمد ت٨١٤هـ/ ١٤١١م ، الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، (١٩٠٧م)، ص ٣١٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ١٠، ص ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٥٩) كان هذا المصلى يقع خارج باب النصر وقد بناه جوهر الصقلى لأجل صلاة العيد في شهر رمضان ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م ثم جدده الخليفة العزيز بالله ، المقريزى ، الخطط، جـ١ ، ص ٤٥١ .

(٦٠) المقريزى ، الخطط جـ١ ، ص ٤٥١ . هذا وينبغى أن نذكر أنه كان يشار إلى هذا المصلى طيلة العصرين المملوكى والعثمانى باسم مصلى باب النصر .
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٤، ص ٣٤١، جـ١٥، ص ١٠٤، جـ١٦، ص ص ١٤٤ ـ ١٤٦ ، ابن داود الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص ص ٤١٧ ـ ٤١٨ ، انباء الهصر ، ص ص ٥٥ ، ٥٧ ، ابن أبى السرور البكرى ، الروضة المأنوسة ، ص ص ١٥٥ ، ١٥٧ .

(٦١) السخاوى ، أبو الحسن نور الدين ، تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، تحقيق محمود ربيع ، حسن قاسم ـ القاهرة ، (١٩٣٧م)، ص ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .
ويستفاد من خلال ما أورده المقريزى أن المصلى الواقع تجاه باب جامع قوصون هو مصلى قتال السباع ، المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ق ٣ ، ص ٧٨٢ .

(٦٢) هو الأمير جانم ابن خالة يشبك الدوادار تولى عدة وظائف منها أمير عشرة وكشف الصعيد والدوادارية ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٣ ، ص ٦٥، ترجمة رقم ٢٦٢

(٦٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٦، ص ١٤٤ ـ ١٤٦ ، ابن داود الصيرفى ، إنباء الهصر ، ص ص ٥٧ ـ ٥٨ . وكان هذا المصلى يقع بخط الدرب الأحمر بجوار جامع قجماس الإسحاقى (جامع أبو حريبه) كما يستدل من حجة وقف الأمير قجماس ، ومن المرجح أن موضع خط البياطرة الآن هو سكة بير المش وحارة سعد الله ، إسماعيل ، محمد حسام الدين ، منطقة الدرب الأحمر ، دراسة للقسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة أسيوط ، (١٩٨٦م)، ص ٣٢ .

(٦٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٩٩، العسقلانى ، إنباء الغمر بابناء العمر ، جـ١ ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة (١٩٦٩م) ، ص ٤٨٠ .

(٦٥) ابن داود الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص ١٥ ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣، ص ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤، ٤٠٣ .

(٦٦) ابن داود الصيرفى ، إنباء الهصر ، ص ١٦.

(٦٧) حددت حجة وقف الأمير أحمد جاويش (أوقاف رقم ٣١٢٢) المؤرخة بسنة ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م . موقعها بأنها « بدرب الصباغ » . إسماعيل ، منطقة الدرب الأحمر ، ص ٨٠ .

(٦٨) انظر ص ص ١٤٩ ـ ١٦٢ من هذا الفصل .

(٦٩) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٦ ، ص ١٤٢ ، ابن داود الصيرفى ، إنباء الهصر، ص ٥٤ . ولعل هذا التحديد يقرب من التحديد الذى ذكره عبد الباسط بن خليل فى الروض الباسم من أنه كان يوجد بالقاهرة فى عصر السلطان قايتباى ما ينيف عن خمسة عشر مصلى عن : إمام ، الأمير يشبك ، ص ١٧٠ .

(٧٠) ابن داود الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص ص ٤١٧ ـ ٤١٨ .

ويلاحظ أن الصيرفى يذكر ضمن حوادث ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م أن « عدة من صلى عليهم من الأموات فى المصلاة بباب النصر بلغت أربعمائة ميت سوى بقية المصليات التى بالقاهرة وعدتها تسع عشرة مصلاة » ابن داود الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص ص ٤١٧ ـ ٤١٨ .

وهذا يدل على أن عدد مصليات القاهرة وصل إلى عشرين مصلى قرب منتصف القرن ٩هـ/ ١٥م.

(٧١) انظر ص ص ١٥٠ ـ ١٥١ من هذا الفصل .

(٧٢) هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى الأشرفى ، أحد سلاطين المماليك الجراكسة وقد تولى عرش السلطنة فيما بين ٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ ـ ١٥١٦م وقد خص المؤرخ ابن إياس الجزء الرابع من كتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور (ط ٢ ـ القاهرة ١٩٨٤م) للحديث عن عصر ذلك السلطان ، وانظر أيضًا: ابن شاهين الملطى ، نزهة الأساطين ، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٧ ، سليم ، محمود رزق، الأشرف قانصوه الغورى أعلام العرب ، العدد ٥٢ ، عبد الدايم ، مصرفى عصرى المماليك والعثمانيين ، ص ص ١٦٣ ـ ١٧٨ .

(٧٣) تجدر الإشارة إلى أن أ.د. عبد اللطيف إبراهيم (يرحمه الله عز وجل) ، يعد أول من لفت الانتباه إلى أهمية حجة وقف هذه المنشأة وذلك ضمن رسالته للدكتوراه الموسومة بـ « دراسات تاريخية وآثرية فى وثائق من عصر الغورى » جامعة القاهرة ،

(١٩٥٦م) حيث قام بنشر الوثيقة (رقم ٨٨٤ أوقاف) فى الملحق الأول من المجلد الثانى للرسالة ، ثم لم يلبث أن أعاد نشر جزءاً منها وهو الخاص بالوصف المعمارى للمصلى وملحقاته ضمن بحثه الموسوم بـ « الوثائق فى خدمة الآثار » الذى أعادت نشره المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ضمن كتاب « دراسات فى الآثار الإسلامية » القاهرة (١٩٧٩م)، ص ص ٤٦٣ ـ ٤٦٥ .

كذلك توجد وثيقة أخرى للسلطان الغورى تحت رقم (٨٨٢ أوقاف) وهى تعد صورة طبق الأصل من الوثيقة الأولى والفرق الوحيد هو أن هذه الوثيقة الأولى (٨٨٤ أوقاف) عبارة عن رول بينما الوثيقة الثانية (٨٨٢ أوقاف) عبارة عن عدة صفحات (من ص ٤٥٨ إلى ص ٤٧٢) ومن ثم يكثر الاعتماد عليها وما ذلك إلا لسهولة الإشارة إلى أرقام الصفحات بدلا من أسطر الرول .

الإمام ، عوض ، الأصول الوثائقية للوثيقة الجامعة لأوقاف السلطان الغورى والمحفوظة فى وزارة الأوقاف ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة أسيوط ، (١٩٨٨م)، ص ص ٣٦٣ ـ ٣٦٧ .

(٧٤) يقع هذا الميدان أسفل القلعة ومن ثم اعتبر ضمن حقوقها وكان يحده سور لا تزال بعض آثاره باقية ، (أثر رقم ٦١٧) ، ويستدل من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية المختلفة أنه مر بالعديد من المراحل سواء من حيث عمرانه (بدءاً من العصر الطولونى وانتهاءاً بعصر الخديوى إسماعيل) أو من حيث المسميات المختلفة التى أطلقت عليه وعرف بها ومن بينها الميدان بالقلعة ، المنشية ، قراميدان ، ميدان محمد على وغير ذلك أو من حيث دوره الحضارى ولا سيما خلال العصرين المملوكى والعثمانى ؛ فضلاً عن بعض الأحداث السياسية والاجتماعية التى ارتبطت به خلال تلك الفترة ، ويعرف الآن بميدان صلاح الدين بحى الخليفة جنوب القاهرة .

الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٢١٥ ، المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ص ٣١٣ ـ ٣١٥ ، جـ٢ ، ص ص ٢٠٥ ، ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص ص ١١١ ، ١٧٩ ، ابن الوكيل ، تحفة الأحباب ، ص ص ١٧٣ ، ٢٢٥ ، مبارك (على باشا) ت ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م ،

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، جـ٢ ، ط ٢ ، القاهرة (١٩٨٦م) ، ص ٢٩٦ .

وللمزيد من التفاصيل انظر ، محمود ، إيناس حسن ، ميدان صلاح الدين أسفل

قلعة الجبل ، دراسة أثرية حضارية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة حلوان (١٩٩٤م)، ص ص ١٢ ـ ٨٦ ؛ الششتاوى ، محمد ، ميادين القاهرة فى العصر المملوكى ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص٧ ـ ٥٩ .

(٧٥) يعد أحد أبواب القلعة من جهة ميدان الرميلة (ميدان صلاح الدين الآن) ومن ثم عرف أحيانًا باسم باب القلعة بالرميلة ، ومن المسميات الأخرى كل من باب الميدان وباب الإصطبل وأخيراً باب العزب وهى التسمية التى يعرف بها منذ بداية العصر العثمانى وحتى الآن وترجع عمارته الحالية إلى الأمير رضوان كتخدا الجلفى قبل عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م وهو يطل ببدنتيه الضخمتين على ميدان صلاح الدين المشار إليه .

إبراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، ص ٤٦٤ تحقيق رقم ١ ، محمود ، ميدان صلاح الدين ، ص ٢١٩ .

(٧٦) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٤) سطرا (١ ـ ٢) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦١ .

(٧٧) هو الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى ، كان من جملة الأمراء بالديار المصرية وقد تقلد المناصب السنية ومنها نيابة الإسكندرية ونيابة حلب وأمير أخور وكان « أميراً شديد البأس ذا أخلاق شرسة يميل إلى الظلم إلا أنه كان قديم الهجرة ذا مهابة ومعرفة وتدبير ودهاء » ، وقد وصف فى قول آخر « بصعوبة الأخلاق والمهابة فى المباشرة » ، وكانت وفاته فى شهر محرم عام ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م.

العسقلانى ، الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٤٨٨ ترجمة رقم ١٣١٠ ، ابن تغرى بردى، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ، ترجمة رقم ٦٧٩ .

ابن تغرى بردى ، الدليل الشافى على المنهل الصافى ، جـ١ ، تحقيق وتقديم فهيم شلتوت ، مكة المكرمة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص ١٩٤ ، ترجمة رقم ٦٧٨ .

(٧٨) هو السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون أحد سلاطين المماليك البحرية ، وقد تولى عرش السلطنة فيما بين ٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ ـ ١٣٧٦م وكان مغرما بالإنشاء والتعمير فضلا عن وقف الأوقاف الكثيرة المغلة فى مصر والشام والحجاز . ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، جـ٢ ، ص ص ٢٢٠ ـ ٢٢٤ . ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٦ ، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٤٨ ترجمة رقم ١١٨٦ ، ابن شاهين الملطى ، نزهة الأساطين ، ص ص ١٠٨ ـ ١٠٩ . راشد القحطانى ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ، الرياض ، (١٩٩٤م) .

(٧٩) انظر ص ١٥٠ من هذا الفصل .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد غلب على هذا المصلى تسميته بسبيل المؤمنين أو سبيل المؤمنى فى المصادر التاريخية المملوكية والعثمانية فضلاً عن وثيقة الوقف ، ولا يرجع السبب فى ذلك إلى وجود سبيل ملحق بالمنشأة كما قد يتبادر إلى الذهن وإنما يرجع ذلك أساسا إلى أن هذه المنشأة قد وقفت فى سبيل الله وعلى ذلك فهى تندرج تحت ما يمكن أن نطلق عليه إصطلاحًا اسم العمائر أو المنشآت الخيرية التى أنشئت رغبة فى التقرب إلى الله تعالى وأملاً فى ثواب الآخرة .

(٨٠) الإمام ، الأصول الوثائقية ، ص ٣٦٤ حاشية ٤ .

(٨١) رمزى ، محمد ، ضمن تعليقاته بكتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، جـ١١ ، ص ٥٠ حاشية ١ .

(٨٢) هو الأمير الكبير أسندمر الدوادار فى عهد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين وكانت وفاته بالإسكندرية فى شهر رمضان عام ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م.

العسقلانى ، الدرر الكامنة ، جـ١ ، ص ٣٨٦ ، ترجمة رقم ٩٨٢ .

(٨٣) العسقلانى ، الدرر ، جـ١ ، ص ٤٨٨ ، ترجمة رقم ١٣١٠.

(٨٤) مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ط ٢ ، القاهرة ، (١٩٨٦م) ، ص ٢٨٢ .

(٨٥) انظر ص ص ١٨ ـ ١٩ من هذا البحث فضلا عن الملحق رقم ١ .

(٨٦) تزخر المصادر التاريخية وبخاصة كتب الحوليات وكتب التراجم بإشارات كثيرة حول هذا الموضوع ويمكن من خلالها عمل ثبت ضخم بأسماء كل من الخلفاء العباسيين والقضاة والشيوخ والأمراء فضلاً عن النساء الذين أقيمت لهم صلاة الجنازة فى مصلى المؤمنى طيلة العصر المملوكى وبخاصة الچركسى وحسبنا أن نشير إلى كل من السلوك للمقريزى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ونزهة النفوس للصيرفى وبدائع الزهور لابن إياس فضلاً عن المنهل الصافى والدليل الشافى لابن تغرى بردى ، والضوء اللامع للسخاوى وغير ذلك .

(٨٧) ومن بين هؤلاء حسبنا أن نشير إلى الأمير أبو القاسم بن عجلان بن رميثه الحسنى المكى وهو « أخو على وبركات تآمر بمكة وقتا وقدم القاهرة صحبة الحاج فى سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م للسعى فى العود إليها فلم يلبث أن طعن ومات فى ٢٠ صفر

ونزل السلطان الغد فصلى عليه بمصلى المؤمنى ودفن على والده بحوش الأشرف برسباى » . وكان والده الأمير بدر الدين الحسن بن عجلان الشريف أمير مكة قد قدم إلى القاهرة وتوفى بها عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م ودفن بحوش تربة الأشرف برسباى بالصحراء (قرافة صحراء المماليك شرق صلاح سالم بالقاهرة ولا تزال هذه التربة وملحقاتها بما فيها الحوش باقية وإن كانت بحالة سيئة) .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٤ ، ص ٥٤٢ ، الدليل الشافى ، جـ١ ، ص ٢٦٤ ، ترجمة رقم ٩٠٥ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٣ ، ص ص ١٠٣ـ ١٠٥ ، ترجمة رقم ٤١٧ ، جـ١١ ، ص ١٣٤ ، ترجمة رقم ٤٣٤ .

(٨٨) كانت صلاة الجنازة على سلاطين المماليك تتم فى القلعة أو عند باب القلة بها ثم ينزلون من سلم باب المدرج وتتوجه الجنازة بعد ذلك إلى التربة المعدة لدفن كل سلطان سواء بالقرافة أو بالقاهرة نفسها .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٢ ، ص ١٠٥ ، جـ١٥ ، ص ٤٥٣ ، جـ١٦ ، ص ص ١٥٧ ، ٢٢٢ ، ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٣ ص ص ١٧٥ـ ١٧٦ ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص ص ١٨٨ ، ١٩١ـ ١٩٢ ، ٣٠٠ ـ ٣٠٣ ، ٣٦٧ ، ٤٥٥ ، جـ٣ ، ص ٣٣٤ .

مصطفى ، محمد ، صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، دار المعارف بمصر ، (١٩٥١م) ، ص ص ٨٤ ، ٨٨ ، ١٨٢ .

(٨٩) هو الخليفة القائم بأمر الله حمزة أبو الفضل بن المتوكل على الله العباسى ، تولى الخلافة فى شهر المحرم ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١م وخلع فى شهر رجب ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م وحبس بالإسكندرية حتى توفى فى شهر شوال ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م.

ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٥ ، ص ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ، ترجمة رقم ٩٦٧ ، السخاوى ، الضوء اللامع جـ٣ ، ص ١٦٦ ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٩٠) هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال العلائى الظاهرى أحد سلاطين المماليك الجراكسة وقد تولى عرش السلطنة فيما بين ٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ـ ١٤٦٠م وكان مغرما بالإنشاء والتعمير فضلا عن وقف الأوقاف الكثيرة المغلة ولا تزال بعض عمائره باقية حتى الآن فى قرافة الغفير شرق القاهرة .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٦، ص ص ٥٧ ـ ١٦١ .

(٩١) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص ٣٢٧، مصطفى ، صفحات لم تنشر ، ص ٣٠.

(٩٢) إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية ، ص ٨٨ .

(٩٣) هو الأمير أقبردى الأشرفى قايتباى ويقال أنه ابن عمه وقريبه كان خاصكيا لعدة سنين ثم ترقى فى الوظائف الكبرى حتى صار إليه الحل والربط ومنها الدوادارية الكبرى والوزارة والاستادارية كما تولى إمرة السرحة بالوجه القبلى أكثر من مرة .
السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٢ ، ص ٣١٥ ، ترجمة رقم ١٠٠٢ .

(٩٤) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص ٣٧١ .

(٩٥) هو السلطان الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى المحمودى الظاهرى أحد سلاطين المماليك الجراكسة ويعرف بصاحب اللقبين حيث تلقب أولا بالناصر ثم تلقب بالأشرف وقد تولى عرش السلطنة فيما بين ٩٠١ ـ ٩٠٤هـ/ ١٤٩٥ ـ ١٤٩٨م ، ابن إياس ، بدائع الزهور جـ٣ ، ص ص ٣٣٢ ـ ٤٠٣ ، ابن شاهين الملطى ، نزهة الأساطين ، ص ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .
وللمزيد من التفاصيل انظر .
ابن الشحنة ، الدر الزاهر فى نصرة الملك الناصر « محمد بن قايتباى » ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، (١٩٨٣م) .

(٩٦) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص ٣٩١ .

(٩٧) ابن إياس ، بدائع ، جـ٤ ، ص ٥٦ .

(٩٨) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٤) ، وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢).

(٩٩) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص ص ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٤١، ١٦٩ ، ٢٨٤ ، ٣٨٤ ـ ٣٨٥ .

(١٠٠) الشاذلى الفرا (الشيخ على بن محمد) .ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة (١١٢٣هـ/ ١٧١١م) ، تحقيق عبد القادر طليمات ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٤ ، القاهرة (١٩٦٨م) ، ص ٣٦٢ .

ابن عبد الغنى (أحمد شلبى) أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء

والباشات الملقب بالتاريخ العينى ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة (١٩٧٨م) ، ص ٢٣٣ ، الجبرتى، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص ص ٤٠ ، ٦١، ٦٢ .

(١٠١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص ص ١٣٢ ــ ١٣٣ ، ١٥٣ .

(١٠٢) مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص ٢٨٢ .

(١٠٣) قاسم ، حسن ، المزارات الإسلامية والآثار العربية فى مصر والقاهرة المعزية ، جـ٥ ، القاهرة (١٩٤٢م) ، ص ٢٧٧ .

(١٠٤) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤١٦ . والحجر الفص النحيت هو نوع من الحجر المهذب المصقول ، غالبًا ما يكون على هيئة كتل ذات حجم صغير (فصوص) مربعة أو مستطيلة الشكل من الحجر الجيرى المصقول ، وكانت المداميك تتألف غالبًا من لونين أبيض وأحمر وأحيانًا الأصفر فى صفوف متبادلة ومتعاقبة وغالبًا ما كان يتراوح ارتفاع هذه المداميك ما بين ١٣ ، ١٤ بوصة (٣٣سم ، ٥و٣٥سم) ويمكن معرفة ارتفاع أى مبنى بحساب عدد المداميك الحجرية .

وقد أطلقت وثائق الوقف المختلفة ومنها وثيقة المؤمنى المشار إليها على الحجر الفص النحيت الذى تتألف مداميكه من اللونين المذكورين اسم الحجر المشهر ، ويعتبر مصطلح المشهر أعم وأشمل من مصطلح الأبلق إذ أن هذا المصطلح الأخير يقصد به تحديدًا اللونين الأبيض والأسود بينما المصطلح الأول يطلق على الألوان المختلفة بما فيها الأبيض والأسود سواء فى الحجر أو الرخام ، وقد لعب الحجر المشهر دورًا هامًا فى عمارة المنشآت المملوكية حيث بنيت به غالبية العمائر ذات الشأن والتى لا يزال باقيا منها عدد كبير .

إمام ، الحجر المشهر ، حلية معمارية بمنشآت المماليك فى القاهرة ، الوفاء للطباعة والنشر ، (١٩٨٤م) ، ص ص ١٥ ــ ٢٠ لوحات (٢ ــ ١٤ ، ١٨ ــ ٢٦).

(١٠٥) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦١ .

(١٠٦) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦١ .

وعن حجور المداخل المملوكية وكتلة الدرج المزدوجة وأثر مراعاتها لحق الطريق انظر، الكحلاوى ، أثر مراعاة اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة ، مجلة كلية الآثار ــ العدد ٧ ، مركز

جامعة القاهرة للطباعة والنشر (١٩٩٧م) . ص ص ١٣١ـ ١٣٤ ، لوحتا ١٧ ـ ١٨ .

(١٠٧) انظر ص ١٥٨ ـ ١٥٩ من هذا الفصل .

(١٠٨) انظر ص ١٥٩ من هذا الفصل .

(١٠٩) انظر ص ١٥٩ ـ ١٦٠ من هذا الفصل .

(١١٠) انظر ص ١٥٧ من هذا الفصل .

(١١١) يعد هذا العقد من أشهر أنواع العقود التي شاع استخدامها في تتويج حجور مداخل العمائر المصرية الإسلامية لاسيما خلال العصر المملوكي الجركسي والعصر العثماني ويتكون هذا العقد من ثلاثة فصوص يمثل الفص العلوى منها رأس العقد وتاجه وهو عبارة عن طاقية معقودة بعقد مدبب غالبًا ، أما الفصين السفليين فهما عبارة عن قوسين جانبيين ترتكز عليها رجلى عقد الطاقية .وقد ورد هذا المصطلح في كثير من وثائق العصرين المملوكي والعثماني ، إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية ، معجم المصطلحات الفنية ، ص (أ) .

نجيب ، محمد مصطفى ، مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٧٤م)، الملحق الوثائقى ، ص ١٩٩ .

(١١٢) ورد هذا المصطلح في كثير من الوثائق باسم (عتب مكتف متداخل) سواء من الحجر أو الرخام ، ويقصد به أن هذا العتب مكون من صنجات مزررة معشقة كما هو الحال في العديد من أعتاب المداخل والشبابيك بالعمائر المملوكية المختلفة .
إبراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ، ص ٤٠٨ تحقيق رقم ٢ .

(١١٣) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٢ .

(١١٤) انظر ص ١٥٣ ـ ١٥٤ من هذا الفصل .

(١١٥) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦١ .

(١١٦) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

(١١٧) يرى بعض العلماء أن هذا المصطلح يقصد به فحسب القباب الحجرية غير العميقة ـ أى القباب الضحلة المقامة على مثلثات كروية ـ وقد ورد ذلك المصطلح في وثائق كثيرة وخاصة عند وصف الصهاريج والسقوف ذات القباب الحجرية .
إبراهيم ، الوثائق في خدمة الآثار ، ص ٤٦١ تحقيق رقم ٤ ، ص ٤٦٤ ، تحقيق

رقم ٣.
والحق إن ورود هذا المصطلح فى وثيقة وقف سبيل المؤمنين يدل على أنه لم يكن يقصد به فحسب القباب الضحلة كما سبق القول وانما يقصد به أيضًا الأقبية حيث أن إيوان القبلة الذى لا يزال باقيا مغطى بكل من القباب الضحلة والأقبية المروحية كما هو مدون فى متن البحث .
(١١٨) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦١ .
(١١٩) ولعل هذا الوصف الدقيق لتغطية إيوان القبلة ينفى ما أشار إليه الإمام من أنه سقف « بست قباب ضحلة ترتكز على مثلثات كروية » . الإمام ، الأصول الوثائقية ، ص٣٦٧.
(١٢٠) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢)، ص ٤٦١ .
(١٢١) مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص ٢٨٢ .
(١٢٢) قاسم ، المزارات ، جـ٥ ، ص ٢٧٦ .

Creswell (K. A. C.) :, A brief chronology of the Muhammadan Monuments of Egypt to A. D 1517. (B. I. F. A. O., Tome, XVI) le Caire, (1919) P. 156 .

أما على مبارك فقد أشار فقط إلى أنه يوجد « على قبلته اسم الملك أبى النصر قانصوره الغورى عز نصره » ، مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص ٢٨٢ .
وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الرنوك قد استعمل للسلاطين وحدهم وهو يعرف فى المصطلح باسم الدروع أو الخراطيش ويتألف غالبًا من درع مستدير أو كمثرى أو مفصص الشكل وينقسم غالبًا إلى ثلاثة مناطق ولا توجد به علامات أو أية رموز كما هو الحال فى رنوك الأمراء وانما تمثله كتابات نسخية فى المنطقة العليا اسم السلطان وفى الوسطى (الشطب) التعظيم له وفى السفلى الدعاء له أى على النحو التالى :

(اسم السلطان)
(عز لمولانا السلطان الملك)
(عز نصره).

عبد الرازق ، أحمد ، الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢١ ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٨٩ ؛ وعن الأنماط المختلفة لطراز الرنوك الكتابية عامة والصيغ المختلفة لرنوك السلطان الغورى خاصة . انظر ، عبد الرازق ،

الرنوك الكتابية عامة والصيغ المختلفة لرنوك السلطان الغورى خاصة . انظر ، عبد الرازق ، الرنوك الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة ٢٠٠١م ، ص ص ١٨٧ ـ ٢٠٧ .

(١٢٣) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٥ .

(١٢٤) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ص ٤٦١ ـ ٢٦٢ .

(١٢٥) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٥ .

(١٢٦) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦١ ، أما عن مدلول مصطلح مسقف عقداً ، فقد ورد هذا المصطلح فى كثير من وثائق الوقف المملوكية وبخاصة تلك التى ترجع إلى أواخر العصر الجركسى وكان يقصد به الأسقف الحجرية وخاصة ما كان منها على هيئة أقبية غالبًا ومن ثم كان يشار إليها أحيانًا بصيغ محددة فيقال مثلا « معقود سقفه قبوا حجرا » أو مسقف عقداً مصلبًا ، وأحيانًا كان يقصد بهذا المصطلح الإشارة إلى القباب الضحلة وفى هذه الحالة كان يشار إليها بصيغة « مسقف عقداً مقلاة » .

انظر : على سبيل المثال ، وثيقة وقف ازدمر من على باى المحفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة (رقم ٢٤٠)؛ وثيقة وقف خاير بك المحفوظة بدار الوثائق القومية أيضًا (رقم ٢٩٢/ ٤٤) . وثيقة وقف السلطان الغورى (أوقاف رقم ٨٨٣)، وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢).

وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن الملحقات والمنافع الدارسة بمصلى المؤمنى كالسبيل والأروقة والمغاسل كانت مسقوفة بقبو مروحى على غرار ما هو موجود فى إيوان القبلة .

أما عن طراز هذا الحوض فإنه يستدل من خلال ما ورد فى هذه النص الوثائقى على أنه كان على هيئة إيوان صغير مسقوف بقبو مروحى ، وهو فى هذه الحالة كان يعد أنموذجا فريداً للأحواض المسقوفة بهذا القبو حيث أن غالبية الأحواض الباقية المعروفة مسقوفة بالأسقف الخشبية غالبا وبالقباب الضحلة أحيانًا ، كما أن هذا الحوض كان لا يعلوه أى بناء مثل حوض السلطان قايتباى بالأزهر وقرافة صحراء المماليك ، ومن المعروف أن بعض الأحواض كانت تعلوها كتاتيب (مكاتب للسبيل) كما هو الحال فى أم السلطان شعبان وأسنبغا وقجماس الإسحاقى وبعضها الآخر كانت تعلوه قاعات سكنية كما هو الحال فى أزبك اليوسفى ومحمد أبو الدهب .

(١٢٧) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٥ .

وتجدر الإشارة إلى أن الماء كان يرد إلى الحوض من ساقية الميدان السلطانى وكذلك بالنسبة إلى كل من الميضأة والمغسلين ومن ثم خصص الواقف مبلغ ٣٠٠ درهم لمن يكون سواقا بهذه الساقية وذلك زيادة على جامكيته المقررة له فى الديوان الشريف.

وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢)، ص ٤٦٨ .

(١٢٨) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٢ .

(١٢٩) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢)، ص ٤٦٥ .

(١٣٠) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٢ .

(١٣١) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٣ .

(١٣٢) الرزقة الخراجية : - يقصد بها الأطيان التى يعطيها الخلفاء والسلاطين إلى بعض الناس على سبيل الإحسان والإنعام رزقة بلا مال وذلك بمقتضى حجج شرعية ، ومن تلك الأراضى ما هو موقوف ويصرف ريعه على جهات بر كالمساجد والخوانق والمدارس وغيرها ، ومثل هذا النوع من الرزقة ينحل وقفه بموت صاحبه ويتصرف السلطان فيه من جديد حيث يمنحه لمن يريد ، ومن الرزق ما لا يتم وقفه بل تمنح من قبل السلطان للأمراء الطاعنين فى السن . الإمام ، الأصول الوثائقية ، ص ٣٦٧ حاشية ١٢ .

(١٣٣) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٦ .

(١٣٤) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٢ .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا السبيل كان لا يحتوى على شاذروان وهو فى ذلك يشبه سبيل السلطان قايتباى الملحق بجمعه (بقرافة صحراء المماليك) ٨٧٧ - ٨٧٩ / ١٤٧٢ - ١٤٧٤م.

(١٣٥) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٥ .

(١٣٦) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ٤٦٣ .

(١٣٧) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(١٣٨) الإمام ، الأصول الوثائقية ، ص ٣٦٨ .

(١٣٩) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

(١٤٠) وثيقة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢) ، ص ص ٤٦٨ - ٤٧٠ .

(١٤١) العمرى ، آمال ، مدرسة قطلوبغا الذهبى بشارع سوق السلاح بالقاهرة ، دراسات آثارية إسلامية ، المجلد ٣ ، هيئة الآثار المصرية ، القاهرة (١٩٨٨م) ، ص ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(١٤٢) الحداد ، بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية (الكتاب الأول) ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة (١٩٩٦م) ، ص ٢٢٠ .

(١٤٣) عبد الرازق ، أحمد ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص ٢٤٧ ، لوحة ٢١ .

(١٤٤) ABD AR-RAZIQ (A), Un COLLEGE FEMININD DANS L,EGYPTE MAMLUKE, Special issue from the Journal of the Facult of Archacology , Part III, Cairo, (1978) P. 17, (PL.ix/ B).

ويلاحظ هنا أيضًا أن العقد الأوسط أكبر وأوسع من العقدين الجانبيين .

(١٤٥) وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ (أوقاف رقم ٩٣٨).

(١٤٦) اختلف العلماء حول تاريخ إنشاء هذا الجامع فيرى البعض أنه أنشئ فيما بين عامى (٤٢٩ ـ ٤٣٣هـ/ ١٠٣٧ ـ ١٠٤١م) أى فى خلافة المستنصر بالله بينما يرى البعض الآخر أن أنشئ فى خلافة الأمر بأحكام الله فيما بين عامى (٤٩٥ ـ ٥٠٠ هـ/ ١١٠١ ـ ١١٠٦م) ، غير أن الذى يعنينا فى هذا المقام هو تخطيط الجامع فهو عبارة عن مساحة مستطيلة ١٠ × ٧ م قسمت بواسطة بائكة واحدة إلى رواقين متقاطعين وتتكون هذه البائكة من دعامتين صليبتى الشكل تتوسطا الجامع وتنطلق من فوقهما العقود ويبلغ عددها سبعة عقود منها أربعة عمودية على جدار القبلة بواقع عقدين بكل جانب وثلاثة عقود موازية لذلك الجدار ، ويتوسط صدر الجامع ثلاثة محاريب ، ومن التحف الفنية الهامة بهذا الجامع أيضًا المنبر وكرسى المصحف .

رابينو ، جامع دير القديسة كاترين بطور سيناء ـ ترجمة محمد وهبى ، المقتطف ، مج ٨٩ ، جـ٤ ، ١١ شعبان ١٣٥٥هـ/ الموافق ١ نوفمبر ١٩٣٦م ، ص ص ٤٠٥ ـ ٤٠٨ . فكرى ، أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها . جـ١ ، العصر الفاطمى ، القاهرة (١٩٦٥م) ، ص ١٤٥ .

سالم ، السيد عبد العزيز ، الآثار الإسلامية فى دير سانت كاترين ، ضمن كتاب بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار ، القسم الثانى ، بيروت (١٩٩٢م) ، ص ص ٣٦٧ ـ ٣٧٦ .

Siliotlo (A), Guide To Exploatoon of the sinai, It aly, (1994) PP. 126, 129.

(١٤٧) Devillard (U. m), LA Necrpoli Musulmana di Aswan. le Cairo. (1930) pp. 4, 44.

Creswell (K. A. C), The Muslim Architeture of Egypt, Vol, I, Oxford, 1952, pp. 144 - 145, 148 - 152.

(١٤٨) عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ٢٤٨ ، العمرى ، الطايش ، على، العمارة فى مصر الإسلامية (العصرين الفاطمى والأيوبى) . القاهرة (١٩٩٦م) ، ص١٤٨ .

(١٤٩) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص ٤٣٢ ، ومن المرجح أن هذا الجامع كان يشتمل على رواقين يسقف كل منهما ست قباب متساوية بواقع ثلاث قباب بكل رواق، وقد ذكر (الجبرتى) أن هذه القباب كانت مربعة الأركان شبيهة بالأهرام ، ومن مميزات هذا الجامع أيضًا التى أشار إليها (الجبرتي) المنارة العظيمة ذات الهلالين.

هذا وقد نشر كتاب وصف مصر لوحة لهذا الجامع تمثل إحدى واجهاته (قبل هدمه) وهى الواجهة الملاصقة لباب النصر ، وكانت هذه الواجهة مبنية بالحجر الفص النحيت المشهر ، زهير الشايب ، وصف مصر ، لوحات الدولة الحديثة ، ط ٢ ، القاهرة (١٩٩١م) ، المجلد الأول لوحة ٤٦ .

(١٥٠) يتكون تخطيط هذا المسجد من مساحة مستطيلة قسمت بواسطة بائكة واحدة إلى رواقين وتتكون هذه البائكة من خمسة عقود موازية لجدار القبلة وترتكز هذه العقود على أربع دعامات فى الوسط وعلى كتفين بارزين بكل من الجدارين الجانبيين كذلك توجد أربعة عقود أخرى عمودية على جدار القبلة ويسقف هذا الجامع سقف خشبى ، إسماعيل ، دراسات جديدة فى الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، بيروت (١٩٧٧م)، ص ص ٣٧ ـ ٤٠ ، شكل ٩٠ .

ـ ، حفائر شاله الإسلامية ، بيروت (١٩٧٨م)، ص ص ٣٠٧ ـ ٣١٠، شكل ١٥٨ .

هذا وينحصر الاختلاف بين هذا المسجد وبين إيوان مصلى المؤمنى فى بعض العناصر والتفاصيل ومن بينها شكل الدعامات وطريقة التسقيف فضلاً عن أن بائكته ذات خمس عقود وليس ثلاثة عقود كما هو الحال فى مصلى المؤمنى وهو الأمر الذى

ساعد على زيادة واتساع المحور العرضى للمسجد وغير ذلك ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فإنه يمكن القول بأن الفكرة واحدة ولكنها طبقت بشكل مختلف لا سيما وأن الفارق الزمنى بينهما كبير جدا .

(١٥١) هذا المسجد أرخه العالم الشهير چورچ مارسيه بالقرن ٣هـ/ ٩م ، أما الأستاذ زبيس فيذكر أن تأسيس هذا المسجد يقترن بحادث مضبوط التاريخ وهو موت السيدة أم ملال عمة الأمير المعز بن باديس التى توفيت عام ٤١٢هـ/ ١٠٢١م ودفنها المعز فى المنستير وجعل لها ضريحا يعرف إلى اليوم بمسجد السيدة وهو قريب من الجامع الكبير . زبيس، سليمان مصطفى ، المنستير ، معالمها الأثرية ، الدار التونسية للنشر ، د.ت ، ص٨.

Marcais (6)., Manuel d' art Musulman L' architecture en tunisie , Maroc. Espagne, vol. I. paris (1926) pp. 110 - 112. Fig., 56 .

هذا وينحصر الاختلاف بين هذا المسجد وبين إيوان مصلى المؤمنى فى بعض العناصر والتفاصيل ومن بينهما شكل الدعامات وطريقة التسقيف إذ سقف المسجد كله بالأقبية المتقاطعة ، كذلك فقد استغل جزء من الرواق الأول كمدفن للسيدة أم ملال المشار إليها .

(١٥٢) Michell (G.) The Islamic Hertage of Bengal, Unesco. (1984), pp. 69 - 71 .

(١٥٣) Bretanizki (L) Die Kunst Aserbaidshan , Leipzig, (1988), pp. 63 - 64 .

(١٥٤) Kuran (A.), The Moaque in Early ottoman Architecture, The University of Chicago Press, Chicago and London (1968), p. 170 .

(١٥٥) Kuran, op. cit., p. 159, Gabriel (A.), Les Mosquees de Constantinople, Syria, Tome , vll. Paris, (1926), pp. 384 - 386 .

(١٥٦) كان يعتقد قبل ذلك أن تخطيط هذه الزاوية يعد أحد الأنماط المعمارية الجديدة التى أدخلها العثمانيون فى العمارة المصرية وقد أطلق على هذا التخطيط اسم النمط الأناضولى .

Hautecoeur (L) et wiet (G). Les Mosquees du Caire, Tome, I. Paris, (1932) p. 342 .

المليجى ، على ، الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة أسيوط (١٩٨٠م)، ص ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧ ، وواقع الأمر أن تخطيط زاوية حسن الرومى متأثر بشكل مباشر بتخطيط مصلى المؤمنى القريب منه على الرغم من الاختلاف فى بعض التفاصيل ومن أهمها طريقة التسقيف التى تجمع بين القباب الضحلة والأقبية المروحية فى مصلى المؤمنى بينما تجمع بين القباب الضحلة والأقبية الطولية فى زاوية حسن الرومى . انظر ، الحداد ، عمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى ، المجلة التاريخية المصرية المجلد ٣٧ ، القاهرة (١٩٩٠م)، ص ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(١٥٧) Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Vol, 2, pp. 146 - 147, 230 - 231 .

Hautecoeur et Wiet, Op. Cit., Tome, I, PP. 281 - 286 .

نجيب ، مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها ، الملحق الوثائقى ، ص ص ١٩٩ ـ ٢٠٦ .

(١٥٨) الحداد ، القباب فى العمارة المصرية الإسلامية ، القاهرة ، (١٩٩٣م)، ص ص ١٢١، ١٢٤ .

(١٥٩) ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة الحجرة الساخنة (بيت الحرارة) بكل من حمامى قصير عمره وحمام الصرح .

سامح ، كمال الدين ، تطور القبة فى العمارة الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٢ ، جـ١ ، مايو ١٩٥٠م ، ص ٥٠ .

(١٦٠) ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال كل من قبتى الحجرتين أعلى برجى باب النصر ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ثم قبة دركاة (أو رحبة) كل من باب الفتوح وباب زويلة (بوابة المتولى) ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م.

عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ص ٢١٥، ٢١٧ ، شيحة ، مصطفى عبد الله ، الآثار الإسلامية فى مصر ، من الفتح العربى حتى نهاية العصر الإيوبى ، القاهرة (١٩٩٢م)، ص ص ٩٧، ٩٩ ـ ١٠٠ ، العمرى ، العمارة فى مصر الإسلامية، ص ص ١٥ ، ٢٢ .

(١٦١) تجدر الإشارة إلى أنه حتى الآن لا يزال هناك اختلاف بين العلماء والباحثين حول معرفة الموطن الأصلى للقبو المروحى بصفة عامة وكيفية انتقاله إلى العمارة المصرية الإسلامية بصفة خاصة ، فيرى البعض أنه يرجع إلى أصول سورية ، فى حين يرى فريق آخر أنه يرجع إلى أصول أندلسية مغربية ، بينما يرى فريق ثالث أنه تركى عثمانى .

Hautecoeur et Wiet , Op. Cit., Tome, I, PP. 263 - 264, 324 - 326 .

Devonshire (R. L.), Egypte Musulman el les Fondateurs ses Monuments , Paris, (1926), P. 116 ;

سالم ، بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الإسلامية ، المجلة ، العدد ١٢ ، (ديسمبر ١٩٥٧م) ، ص ص ٩٧ ـ ٩٩ ، والحق أن معرفة الموطن الأصلى للقبو المروحى لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة المتأنية المتعمقة ، على الرغم من أن الأدلة الآثارية المتوافرة بين أيدينا حتى الآن تؤكد إصوله المشرقية وسوف نفرد لهذا الموضوع دراسة مستقلة لاحقة بمشيئة الله تعالى حتى نتمكن من الانتهاء من المسح الاثارى الشامل لكل النماذج الباقية بالمشرق الإسلامى .

(١٦٢) نجيب ، مدرسة خاير بك بباب الوزير ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٦٨م) ، ص ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(١٦٣) رمضان ، حسين مصطفى ، منشأة الأمير أزدمر من على باى ، مجلة كلية الآثار ، العدد ٥ ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى (١٩٩١م) ص١٩٢ ؛

قبة وسبيل طراباى الشريفى بباب الوزير بالقاهرة ، مجلة التاريخ والمستقبل ، المجلد ٢ ، العدد ٢ ، قسم التاريخ بأداب المنيا ، (١٩٩٢م) ، ص ٢٣٨ .

(١٦٤) انظر حاشية رقم ١٢٦ من هذا الفصل .

(١٦٥) أمر بإنشاء هذا القصر فى الأصل الأمير علم الدين سنجر الجمقدار ثم ابتاعه الأمير قوصون وزاد فيه زيادات كبيرة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م ثم اشتراه بعد ذلك الأمير يشبك من مهدى وأجرى به اصلاحات وإضافات معمارية متعددة ، وبعد وفاة الأمير يشبك أعطى السلطان قايتباى هذا القصر للأمير أقبردى الذى ينسب إليه القصر بعد تحريف اسمه لدى العامة ومن ثم فهو يعرف حتى الآن باسم حوش بردق .

انظر : موسوعة أسس التصميم المعمارى والتخطيط الحضرى فى العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة ، منظمة العواصم والمدن الإسلامية ، المملكة العربية السعودية، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص ١٥٠ .

عبد الرازق ، الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، ص ٩٠ ، ويضيف عبد الرازق فيذكر « أن هذا الخرطوش يتضمن سطران من الكتابة فقط والثالث الأسفل به زخارف عربية مورقة (أرابيسك) » المرجع نفسه ، ص ١١٢، هامش ١١٤ .

(١٦٦) ومن أشهر هذه العمائر مجموعة السلطان قايتباى المعمارية الشهيرة (بقرافة صحراء المماليك) ، ومجموعة السلطان قانصوه الغورى بحى الغورية ولا سيما المدخل المؤدى إلى كل من المدرسة والقبة والخانقاه حيث لا يزال يوجد بكل من كوشتى العقد المدائنى (لوحتا ٢٠ ، ٢٢) فضلا عن القبة الملحقة بالخانقاة الغورية (لوحة ٢٣) وأيضًا وكالة السلطان الغورى الشهيرة ، كذلك يلاحظ أن رنك السلطان الغورى قد ظهر أيضًا على عمائر أمرائه . كذلك تجدر الإشارة إلى أنه وجد رنك كتابى باسم السلطان الغورى فى منطقة مصر القديمة ثم نقل إلى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، راشد ، حسين ، الرنوك فى مصر فى العصور الوسطى ، مجلة السياحة ، (ديسمبر ١٩٥٨م)، ص ٢٨ ، لوحة رقم ١٧ .

(١٦٧) من بين التحف الفنية التى ظهرت عليها الرنوك الكتابية فى تلك الفترة البلاطات الخزفية (القاشانى) والتحف المعدنية المكفتة ومن أشهر النماذج الباقية لهذه وتلك ذلك الشمعدان الذى كان قد أهداه السلطان قايتباى للحجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأذكى السلام وأوقفه عليها فى عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة كذلك يحتفظ نفس المتحف بلوح من القاشانى عليه رنك كتابى باسم السلطان قايتباى أيضًا .

مصطفى ، محمد ، الرنوك فى عصر المماليك ، مجلة الرسالة ، العدد ٤٠٠ ، (مارس ١٩٤١م)، ص ٢٧١ ، محرز ، جمال ، الرنوك المملوكية ، مجلة المقتطف ، جـ٥ ، مج ٩٨ ، (مايو ١٩٤١م) (وقد قام بنشر لوحة الشمعدان المذكور) ، راشد، الرنوك فى مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٨ ، لوحة ١٦ ؛ العمرى ، آمال، الشماعد المصرية فى العصر العربى الإسلامى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة (١٩٦٥م)، ص٣٢٢ ـ ٣٢٤ . التهامى ، عائشة عبد العزيز ، أضواء على بعض التحف الفنية التى أهداها السلطان قايتباى للحجرة النبوية ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد ٥ ، المجلد ١ ، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، (مارس ١٩٩٧)، ص ٥٣٤ ، شكل ١ ؛ الشهرى ، محمد هزاع ، عمارة المسجد النبوى الشريف منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى ، دار القاهرة للكتاب ، (٢٠٠١م) ، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٢ ، لوحة ٦٥ ؛ Atil, E., Renaissance of: Islam, Art of the Mamluks, Washington, (1981), P. 100 - 101 .

ملحق (رقم ١)

أرباب الوظائف ومرتباتهم والأعمال الموكلة إليهم والشروط الواجب توافرها فيهم (عن وثيقة وقف سبيل المؤمنين أوقاف رقم ٨٨٢، ص ص ٤٤٦ ـ ٤٧٠).

م	الوظيفة	العدد	المرتب الشهري للفرد	الأعمال الموكلة لمن يشغل الوظيفة	الشروط الواجب توافرها فيمن يشغل الوظيفة
١	الإمام	١	٩٠٠ درهم	يؤم الناس في الصلوات الخمس المفروضات وفي الصلاة علي الجنائز عند حضورها إلي المصلي .	أن يكون رجلاً من أهل الخير والديانة والعفة والأمانة عالم بما لا تصح الصلاة إلا به قراءة وفقها .
٢	المؤذن	١	٤٥٠ درهم	يتولي الأذان وإقامة الصلوات وتبليغ التكبير خلف الإمام.	أن يكون رجلاً من أهل الخير والديانة حسن السيرة والصوت.
٣	الوقاد والفراش	٢	٥٠٠ درهم لكل فرد	يتولي كلاهما خدمة المسجد والميضأة والحوض المسبل ويقوما بالكنس والتنظيف والمسح والفرش وتعمير المصابيح وإشعالها وطفيها .	أن يكونا من أهل العفة والأمانة والنهضة والقوة .
٤	البواب	١	٥٠٠ درهم	يتولي غلق الأبواب وفتحها وضبط الأماكن ومنع من يريد الإقامة فيها بغير حاجة .	أن يكون رجلاً ثقة أمين .
٥	المزملاتي	٢	٤٥٠ درهم لكل فرد	يتولي كلاهما تسبيل الماء في كل يوم بشباكي السبيل الشرقي والبحري .	

تابع ملحق (رقم ١)

م	الوظيفة	العدد	المرتب الشهري للفرد	الأعمال الموكلة لمن يشغل الوظيفة	الشروط الواجب توافرها فيمن يشغل الوظيفة
٦	تجهيز الأموات (الحانوت)	١	٦٠٠ درهم	يتولي تجهيز الأموات بالمغسلين فضلا عن شراء ما يحتاج إليه من آلة التجهيز من أكفان وقطن وكافور وسدر وحفظ ذلك واستحضار ما يحتاج إليه من الحمالين والمغسلين والآلات وغير ذلك .	أن يكون رجلاً من أهل الخير والأمانة والقوة والنهضة .
٧	السقا	١	٣٠٠ درهم	يتولي الكنس والرش في كل يوم تجاه العمارة الشريفة الموقوفة .	
٨	السباك	١	١٥٠ درهم	أن يتعهد الاقصاب والمجاري والمزاريب وقطع فرطها وشد ربطاتها وتخليصها عندتوقف المياه .	أن يكون عارفا بصنعة السبك وتخليص المجاري .
٩	الشاهد	٢	٢٥٠ درهم لكل فرد	يتولي ما جرت العادة به في مثل ذلك .	أن يكونا من أهل الخير والديانة والعفة والأمانة .

تابع ملحق (رقم ١)

م	الوظيفة	العدد	المرتب الشهري للفرد	الأعمال الموكلة لمن يشغل الوظيفة	الشروط الواجب توافرها فيمن يشغل الوظيفة
١٠	الشاد	١	٦٠٠ درهم	يتولي ما جرت العادة به في مثل ذلك .	أن يكون من أهل النهضة والقوة والأمانة
١١	الصيرفي	١	٤٠٠	يتولي ما جرت العادة به في مثل ذلك .	
١٢	العامل	١	درهم	يتولي ما جرت العادة به في مثل ذلك :	
١٣	السواق	١	٣٠٠ درهم ٣٠٠ درهم	كان هذا المرتب زيادة علي الجامكية المقررة له في الديوان الشريف حيث أن الماء كان يجري من ساقية الميدان السلطاني إلي الحوض المسبل والميضأة والمغسلين .	
١٤	نيابة النظر	١	١٠٠٠ درهم	كان هذا المرتب يصرف للجناب العالي القاضوي الشمسي محمد بن مزاحم عن وظيفة نيابة النظر مدة حياته ثم من بعده يصرف لمن يكون ناظرا علي الاسطبلات	

تابع ملحق (رقم ١)

م	الوظيفة	العدد	المرتب الشهري للفرد	الأعمال الموكلة لمن يشغل الوظيفة	الشروط الواجب توافرها فيمن يشغل الوظيفة
				السلطانية جامكية له علي وظيفة نيابة النظر يتداولون ذلك واحداً بعد واحد دائما أبداً ما أمكن ذلك .	
١٥	المباشر بالوقف	١	٥٠٠ درهم	كان هذا المرتب يصرف للجناب الشمسي ابن مزاحم المشار إليه جامكية له عن وظيفة المباشرة بالوقف مدة حياته ثم من بعده لمن يقرره الناظر عوضه .	

ثبت الأشكال واللوحات

أولاً : الأشكال : ـ

١ ـ مسقط أفقى لإيوان القبلة بمصلى المؤمنى المعروف بجامع الغورى .

٢ ـ واجهة إيوان القبلة .

٣ ـ قطاع رأسى أ ـ أ لإيوان القبلة .

٣ ـ (مكرر) مسقط تصورى لما كانت عليه المنشآة وقت الإنشاء اعتماداً على البقايا الحالية وعلى ماورد بحجة الوقف .

٤ ـ مسقط أفقى لمدرسة قطلوبغا الذهبى بالقاهرة (عن : آمال العمرى) .

٥ ـ مسقط أفقى لمدرسة السلطان حسن بالقاهرة (عن : Herz Pascha) .

٦ ـ مسقط أفقى لإحدى المدارس الفرعية (المدرسة المالكية) الملحقة بمدرسة السلطان حسن (عن : Herz Pascha)

٧ ـ مسقط أفقى لمسجد فرج بن برقوق المعروف بزاوية الدهيشة بالقاهرة (عن : صالح لمعي) .

٩ ـ مسقط أفقى لمسجد أحمد المهمندار بالقاهرة (عن : Creswell)

١٠ ـ مسقط أفقى لخانقاة شيخو بالقاهرة (عن المجلس الأعلى للآثار المصرية) .

١١ ـ مسقط أفقى لخانقاة برسباى (بقرافة صحراء المماليك) بالقاهرة .

١٢ ـ مسقط أفقى لجامع سيدى مدين بالقاهرة (عن المجلس الأعلى للآثار المصرية) .

١٣ ـ مسقط أفقى لمدرسة جانم البهلوان بالقاهرة (عن : Herz Pascha) .

١٤ ـ مسقط أفقى لمدرسة أبو بكر مزهر بالقاهرة (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

١٥ ـ مسقط أفقى لمدرسة تتر الحجازية بالقاهرة (عن : أحمد عبد الرازق) .

١٦ ـ مسقط أفقى لجامع أصلم السلحدار بالقاهرة (عن : المجلس الأعلى للآثار المصرية) .

١٧ ـ مسقط أفقى لجامع المؤيد شيخ بالقاهرة (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

١٨ ـ مسقط أفقى لمدرسة وقبة المنصور قلاوون بالقاهرة (عن : Creswell) .

١٩ ـ مسقط أفقى لمدرسة الظاهر برقوق (بالنحاسين) بالقاهرة (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

٢٠ ـ مسقط أفقى لمدرسة عبد الغنى الفخرى المعروفة بجامع البنات بالقاهرة (عن المجلس الأعلى للآثار المصرية) .

٢١ ـ مسقط أفقى للجامع الفاطمى بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء (عن : Siliotti) .

٢٢ ـ مسقط أفقى لمشهد الجيوشى بالمقطم بالقاهرة (عن : صالح لمعى) .
٢٣ ـ مسقط أفقى للمشهد القبلى بأسوان (عن : Villard).
٢٤ ـ مسقط أفقى لمسجد شاله العتيق بالمغرب الأقصى (عن : عثمان إسماعيل) .
٢٥ ـ مسقط أفقى لمسجد السيدة بالمنستير بتونس (عن : Marcais).
٢٦ ـ مسجد أفقى لجامع بابا آدم فى رامبال بالبنغال (عن : Michell)
٢٧ ـ مسقط أفقى لجامع الشيخ خراسان بأذربيجان (عن : Bretanizki).
٢٨ ـ مسقط أفقى لمسجد بلبل خاتون فى أماسيا بالأناضول (عن : Kuran).
٢٩ ـ مسقط أفقى لمسجد عتيق على باشا فى ذنجرلى قويو باستانبول (عن : Gabriel).
٣٠ ـ مسقط أفقى لزاوية حسن الرومى بالحجر بالقاهرة (عن : المجلس الأعلى للآثار المصرية).
٣١ ـ منظر داخلى لإيوان القبلة بمدرسة المنصور قلاوون (عن : Creswell) .
٣٢ ـ منظر داخلى لمدرسة أبو بكر مزهر (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

ثانياً :اللوحات:

١ ـ منظر عام للواجهة البحرية لمصلى المؤمنى المعروف بجامع الغورى والمبانى الحديثة التى حلت محل بعض الملحقات بالواجهة .
٢ ـ المدخل الرئيسى الحالى لمصلى المؤمنى .
٣ ـ تفصيل للمدخل الرئيسى الحالى .
٤ ـ البسطة التى تلى المدخل وتغير معالمها الأصلية .
٥ ـ الجزء المتبقى من البسطة تجاه إيوان القبلة .
٦ ـ واجهة إيوان القبلة .
٧ ـ الكوشة الوسطى بواجهة الإيوان .
٨ ـ العقد الأيسر المؤدى لداخل الإيوان .
٩ ـ العقد الأيسر والمبنى الملاصق له .
١٠ ـ كوشة العقد الأيسر ويشاهد بقايا الرنك الكتابى .
١١ ـ تفصيل للعقد الأيسر وبقايا الرنك الكتابى .

١٢ ـ إحدى الدعامات الحاملة للعقود بداخل الإيوان .

١٣ ـ إحدى القباب الضحلة والمثلثات الكروية الحاملة لها .

١٤ ـ الدعامة الملتصقة بالركن الجنوبى للإيوان والقبة الضحلة أعلى المربع الأيمن للرواق الأول مما يلى جدار القبلة .

١٥ ـ صدر الإيوان .

١٦ ـ تفصيل لإحدى القباب الضحلة .

١٧ ـ القبو المروحى أعلى المربع الأيسر للرواق الثانى بالإيوان .

١٨ ـ كتلة المدخل الرئيسى لمدرسة السلطان حسن .

١٩ ـ كتلة المدخل الرئيسى لجامع المؤيد شيخ .

٢٠ ـ كتلة المدخل الرئيسى لمدرسة الغورى بالغورية ويشاهد بكل من كوشتى العقد المدائنى رنكان كتابيان .

٢١ ـ المدخل الرئيس لسبيل السلطان الغورى الملحق بخانقاته بالغورية .

٢٢ ـ كتلة المدخل الرئيسى لقبة وخانقاة الغورى بالغورية ويشاهد بكل من كوشتى العقد المدائنى رنكان كتابيان .

٢٣ ـ بقايا القبة الغورية ويشاهد رنكان كتابيان .

٢٤ ـ القبة الضحلة التى تعلو إيوان القبلة بمدرسة قانيباى الرماح بالقلعة .

٢٥ ـ القبو المروحى الذى يعلو در قاعة مدرسة خاير بك بباب الوزير .

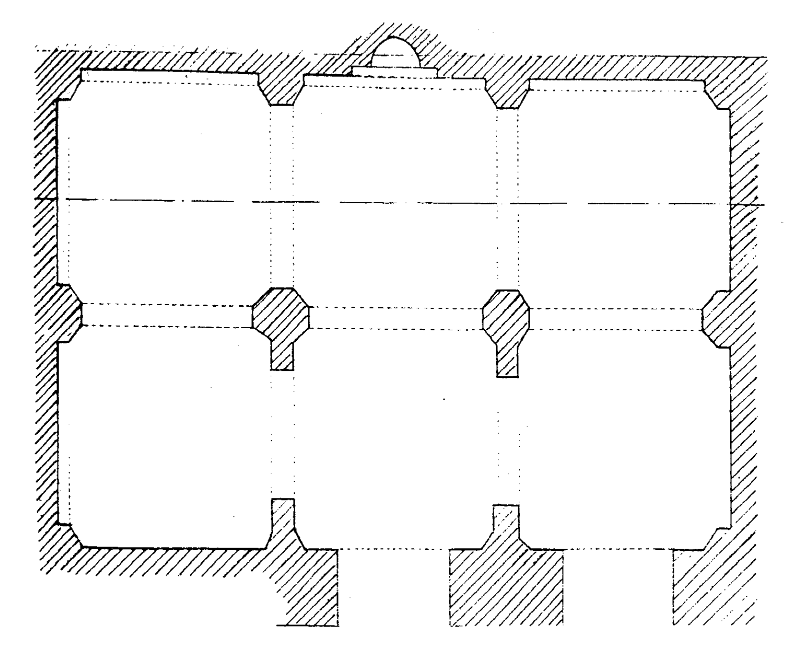
٢٦ ـ العقد المدائنى الذى يتوج مدخل مدرسة إينال اليوسفى بالخيامية .

٢٧ ـ العقد المدائنى الذى يتوج المدخل الأول لخانقاة الناصر فرج (بقرافة صحراء المماليك) ويشاهد بكل من كوشتى العقد رنكان كتابيان .

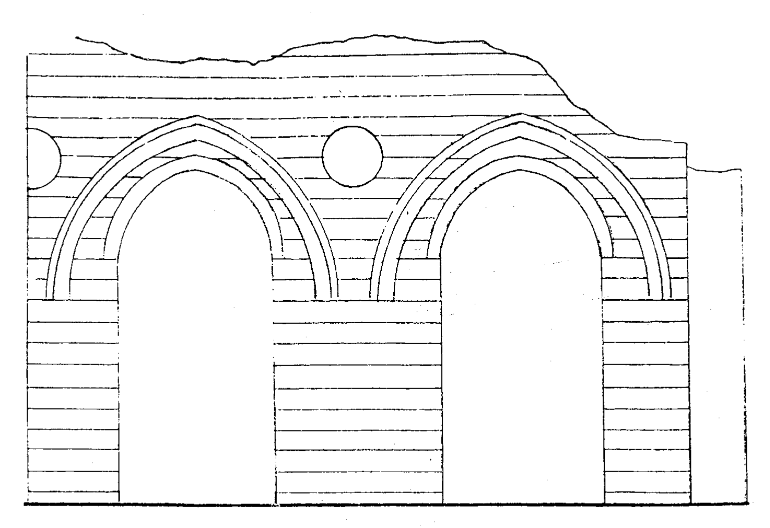
٢٨ ـ العقد المدائنى الذى يتوج مدخل المنشأة المعروفة بربع قايتباى (بقرافة صحراء المماليك).

٢٩ ـ العقد المدائنى الذى يتوج مدخل مدرسة خاير بك بباب الوزير .

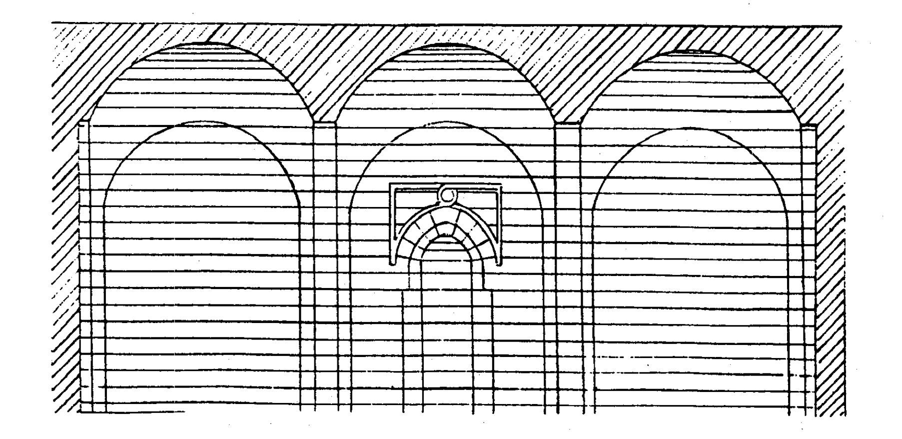
الأشكـــال و اللوحـــات



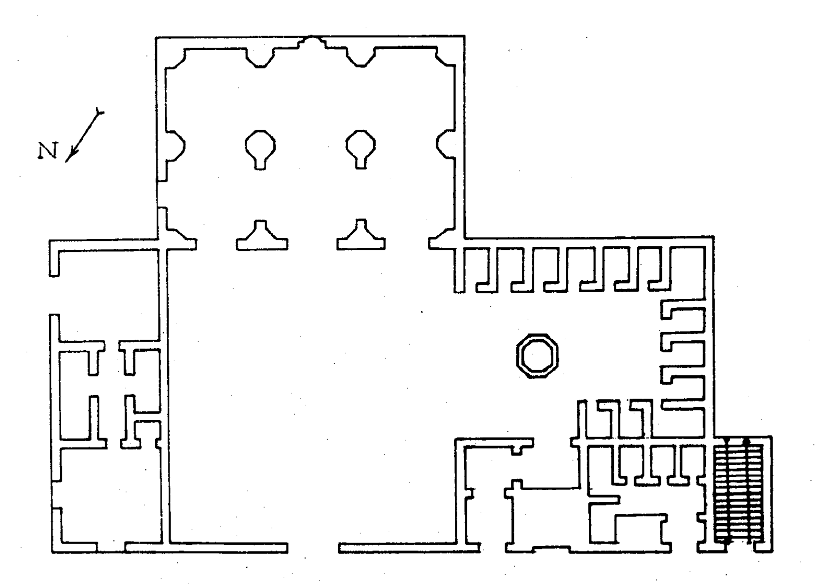
(شكل ١) مسقط أفقي لايوان القبلة بمصلى المؤمني المعروف بجامع الغوري .



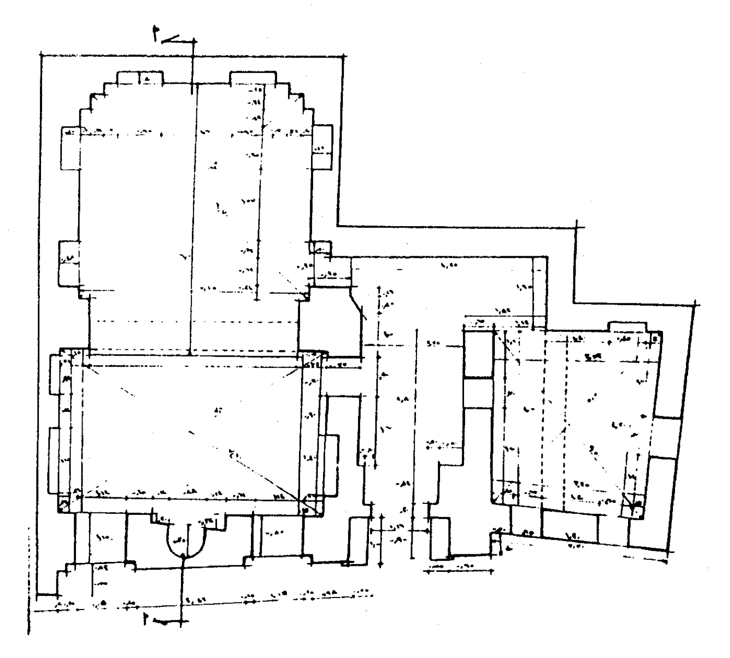
(شكل ٢) واجهة إيوان القبلة .



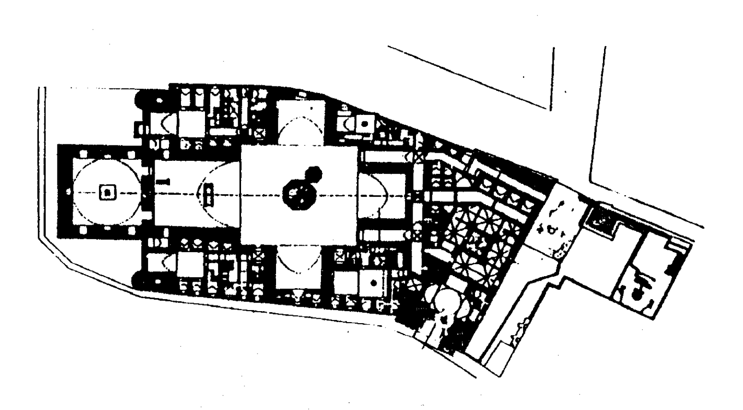
(شكل ٣) قطاع رأسي أ- أ لايوان القبلة .



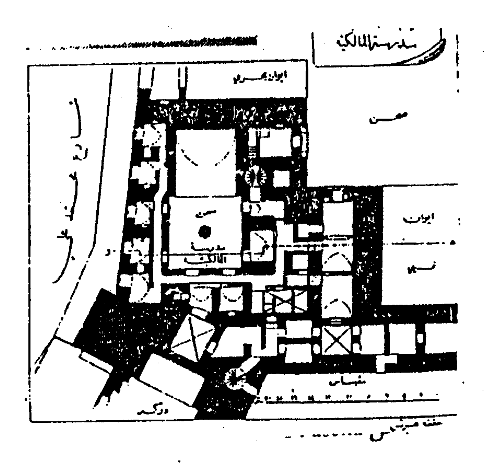
(شكل ٣ مكرر) مسقط تصوري لما كانت عليه المنشأة إعتماداً على البقايا الحالية وعلى ما ورد بحجة الوقف .



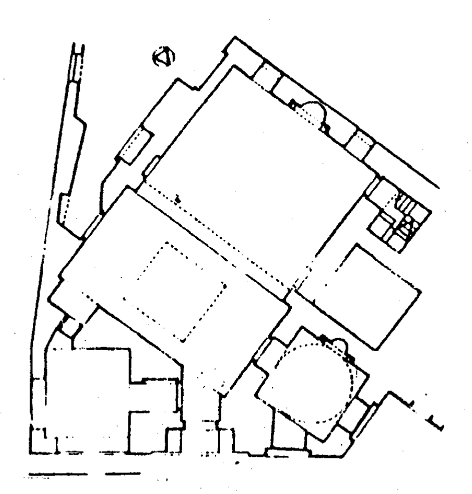
(شكل ٤) مسقط أفقي لمدرسة قطلوبغا الذهبي بالقاهرة (عن : آمال العمري) .



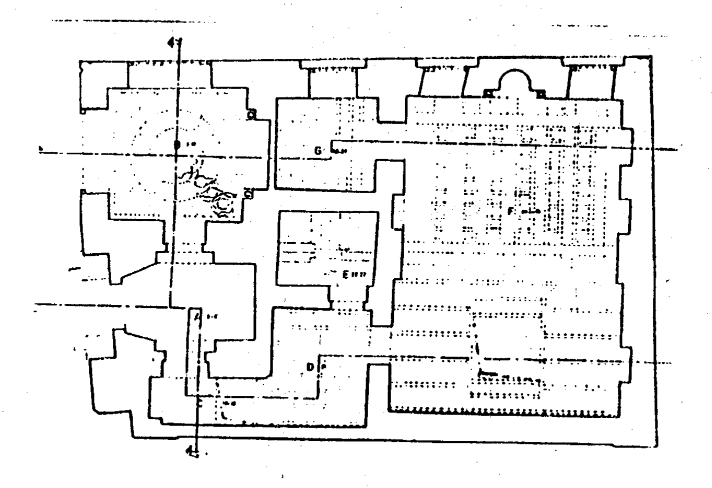
(شكل ٥) مسقط أفقي لمدرسة السلطان حسن (عن : HERZ PASCHA) .



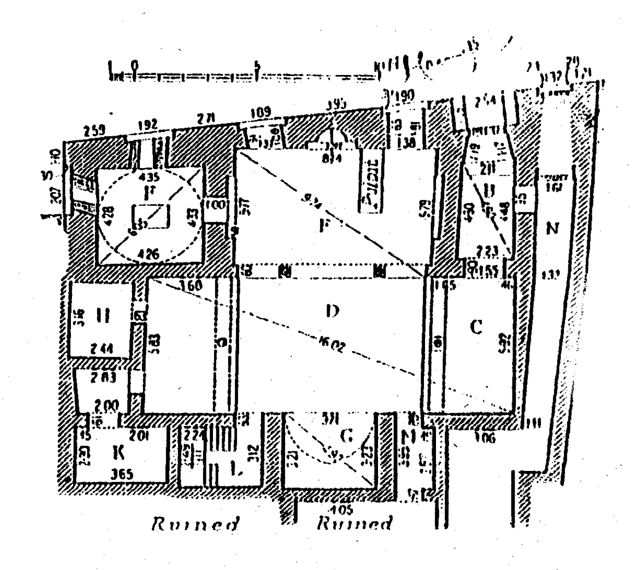
(شكل ٦) مسقط أفقي لإحدى المدارس الفرعية (المدرسة المالكية) الملحقة بمدرسة السلطان حسن (عن : HERZ PASCHA) .



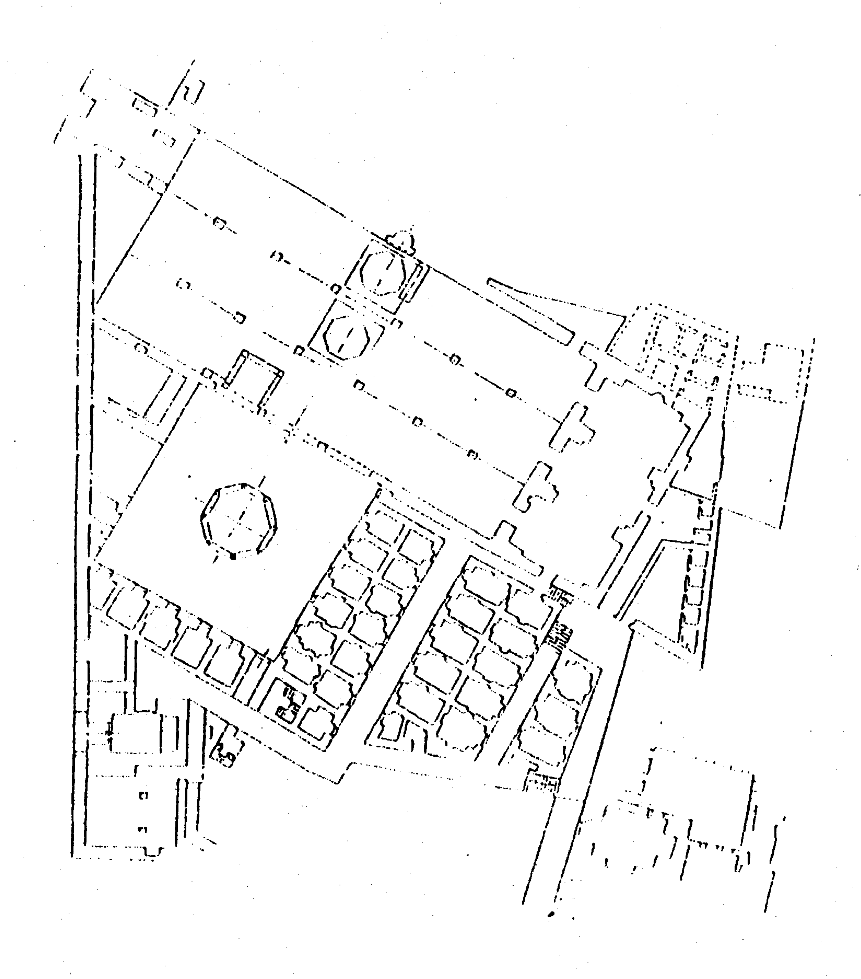
(شكل ٧) مسقط أفقي لمدرسة أيتمش البجاسي بالقاهرة (عن : صالح لمعي) .



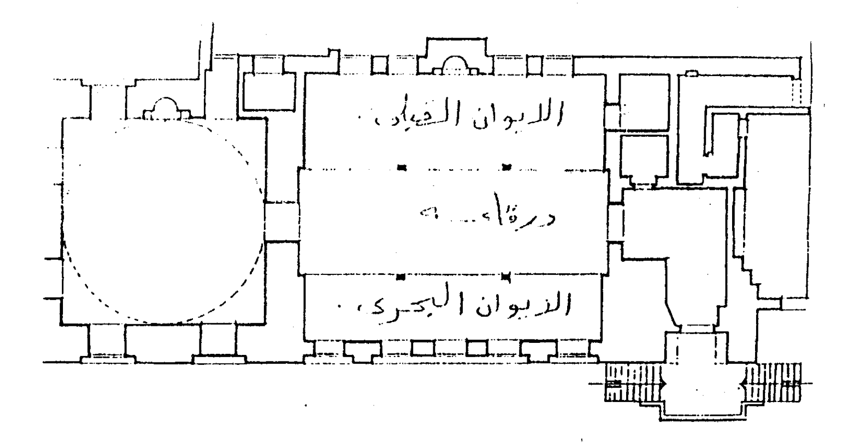
(شكل ٨) مسقط أفقي لمسجد فرج بن برقوق المعروف بزاوية الدهيشة بالقاهرة (عن : صالح لمعي) .



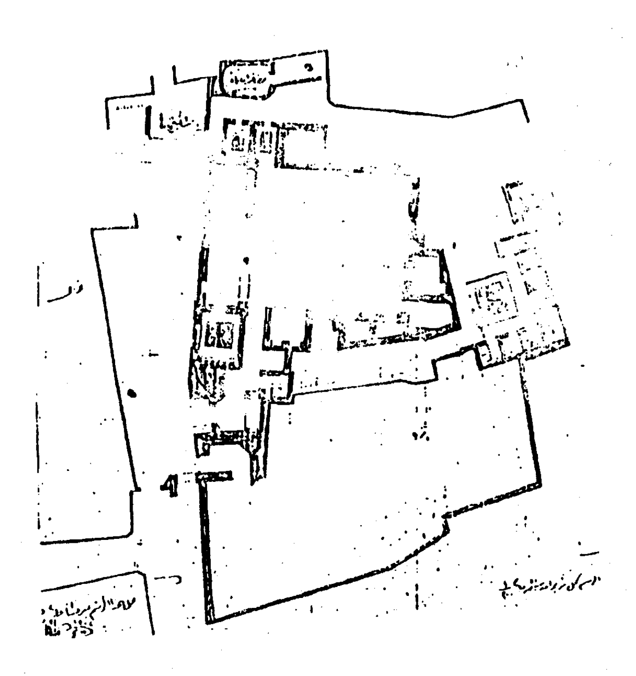
(شكل ٩) مسقط أفقي لمسجد أحمد المهمندار بالقاهرة (عن : Creswell) .



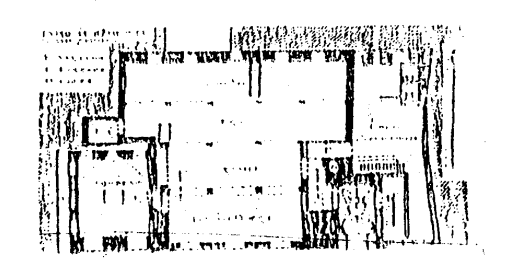
(شكل ١٠) مسقط أفقي لخانقاة شيخو بالقاهرة
(عن المجلس الأعلى للآثار المصرية) .



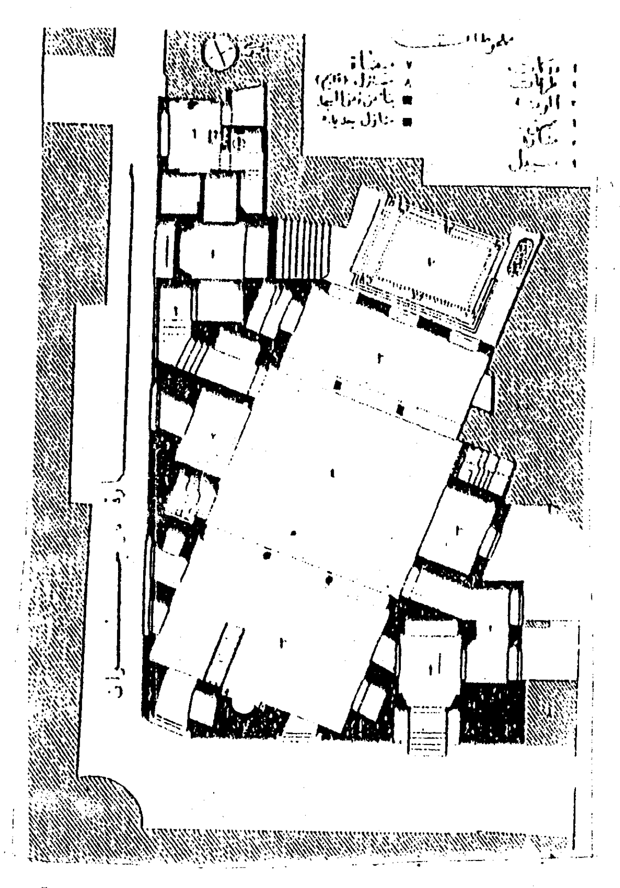
(شكل ١١) مسقط أفقي لخانقاة الاشرف برسباى (بقرافة صحراء المماليك) بالقاهرة .



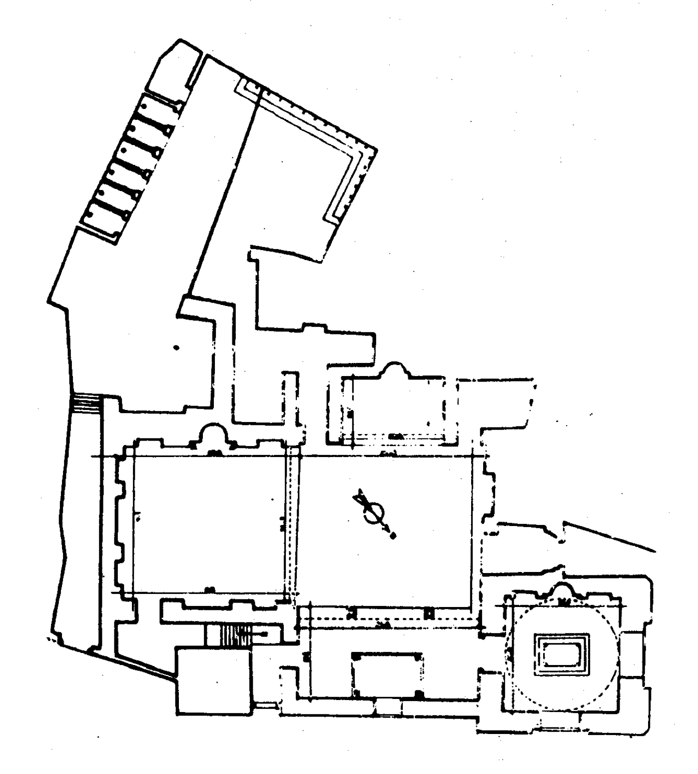
(شكل ١٢) مسقط أفقي لجامع سيدى مدين بالقاهرة
(عن المجلس الأعلى للآثار المصرية) .



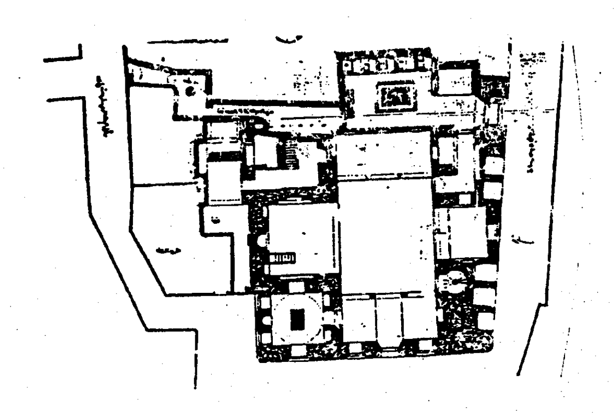
(شكل ١٣) مسقط أفقي لمدرسة جانم البهلوان بالقاهرة (عن : Herz Pascha) .



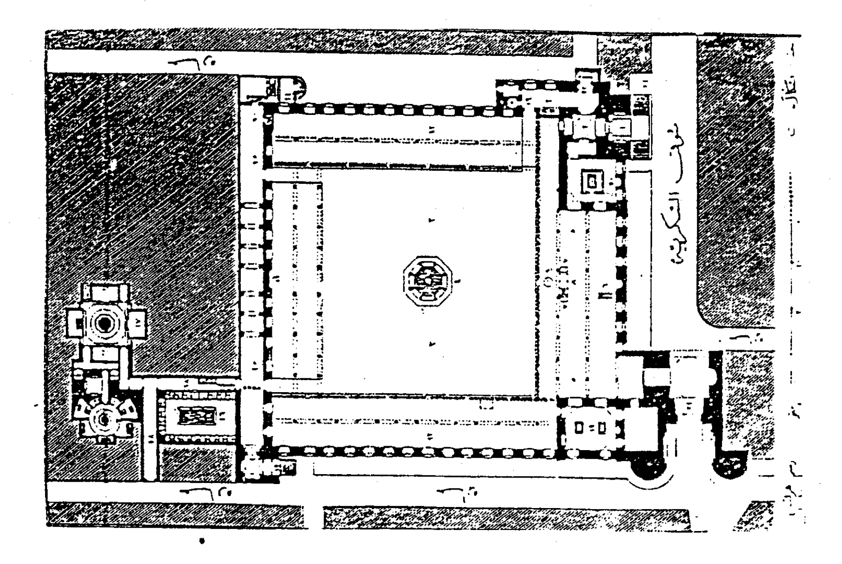
(شكل ١٤) مسقط أفقي لمدرسة أبو بكر مزهر بالقاهرة (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .



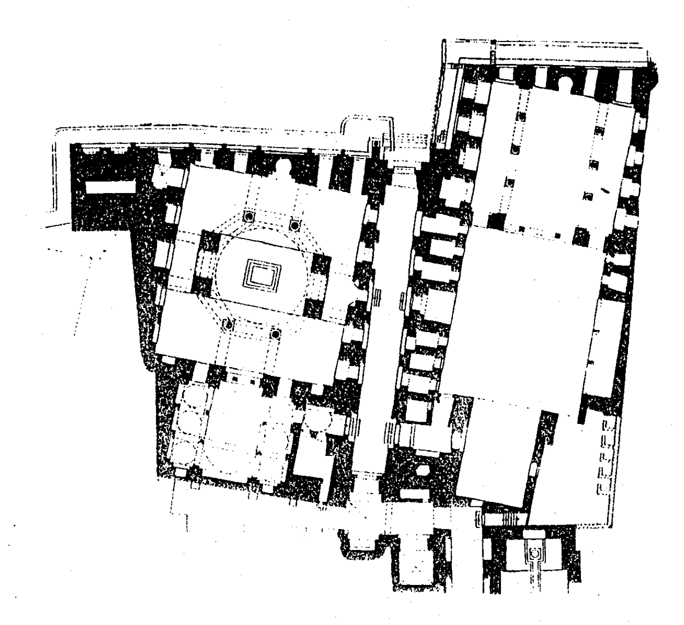
(شكل ١٥) مسقط أفقي لمدرسة تتر الحجازية بالقاهرة (عن : أحمد عبد الرازق) .



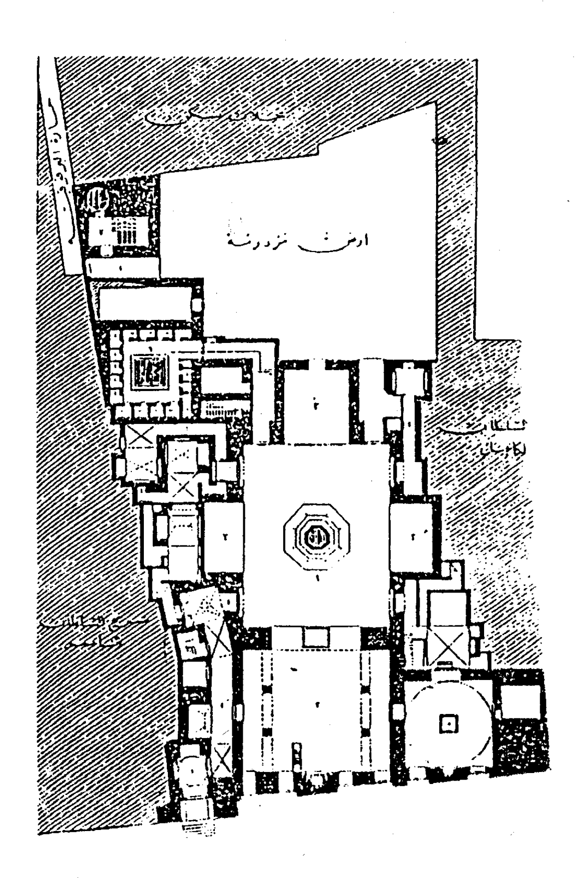
(شكل ١٦) مسقط أفقي لجامع أصلم السلحدار بالقاهرة (عن : المجلس الأعلى للآثار) .



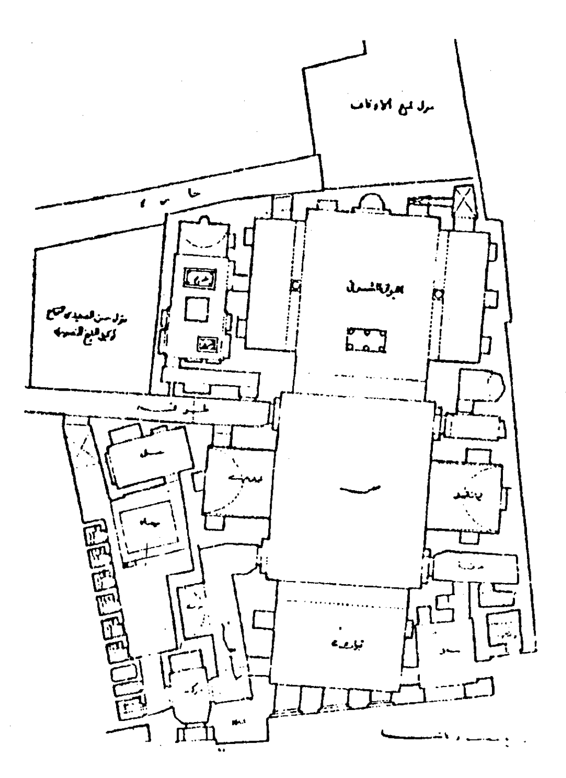
(شكل ١٧) مسقط أفقي لجامع المؤيد شيخ بالقاهرة (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



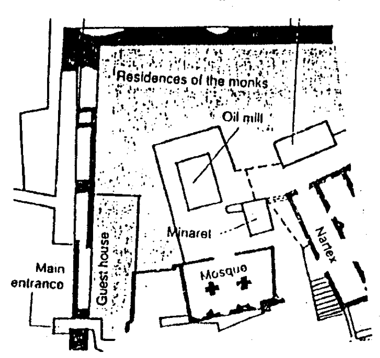
(شكل ١٨) مسقط أفقي لمدرسة وقبة المنصور قلاوون بالقاهرة (عن : Creswell) .



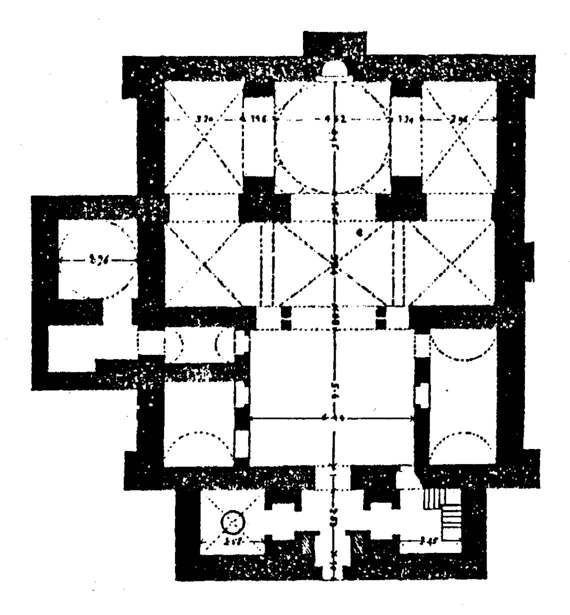
(شكل ١٩) مسقط أفقي لمدرسة الظاهر برقوق (بالنحاسين) بالقاهرة .
(عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



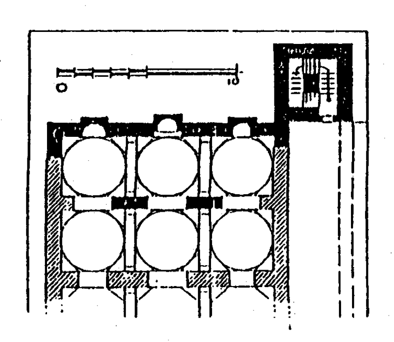
(شكل ٢٠) مسقط أفقي لمدرسة عبد الغني الفخري المعروفة بجامع البنات بالقاهرة
(عن المجلس الأعلى للآثار المصرية) .



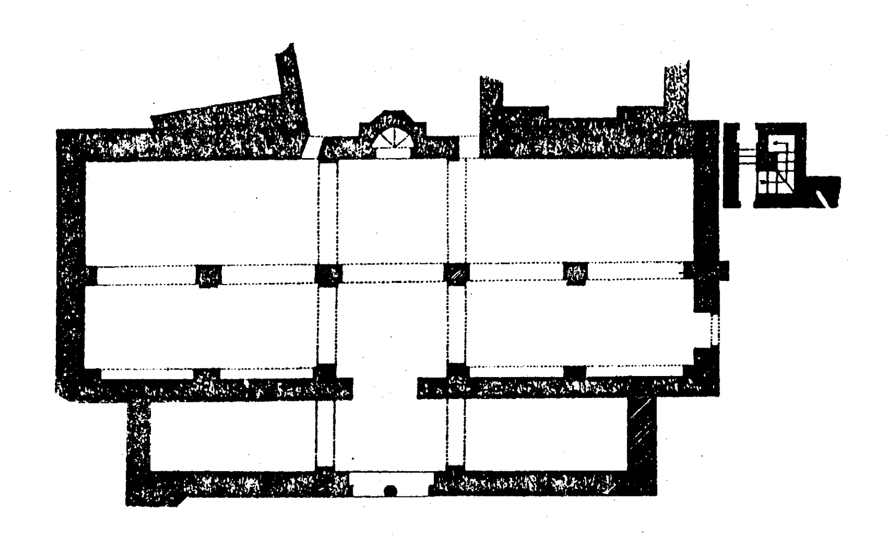
(شكل ٢١) مسقط أفقي للجامع الفاطمي بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء
(عن : Siliotti) .



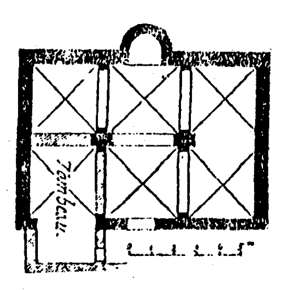
(شكل ٢٢) مسقط أفقي لمشهد الجيوشي بالمقطم بالقاهرة (عن : صالح لمعي) .



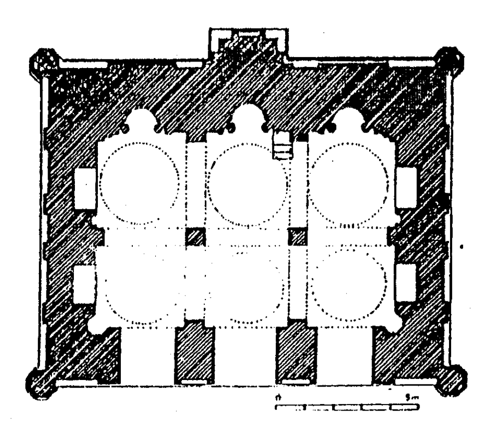
(شكل ٢٣) مسقط أفقي للمشهد القبلي بأسوان . (عن Villard) .



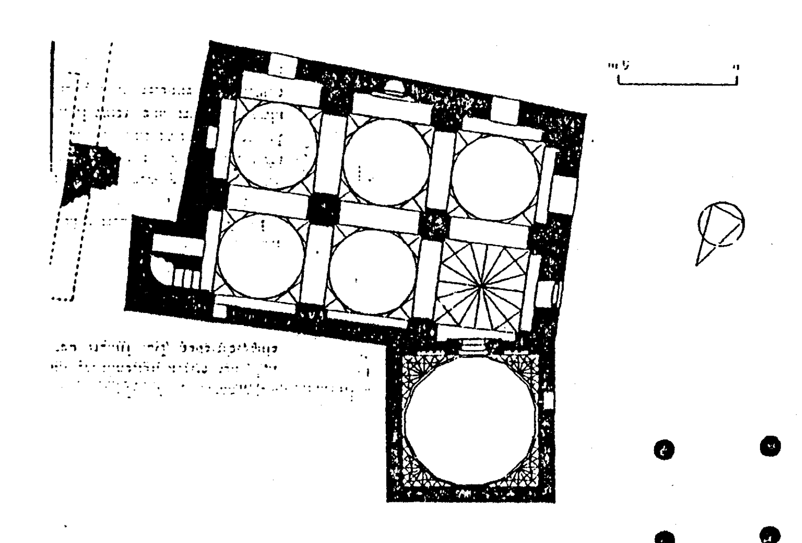
(شكل ٢٤) مسقط أفقي لمسجد شاله العتيق بالمغرب الأقصى .
(عن عثمان عثمان إسماعيل) .



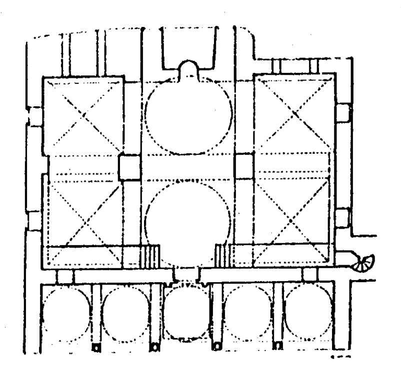
(شكل ٢٥) مسقط أفقي لمسجد السيدة بالمنستير بتونس (عن : Marcais) .



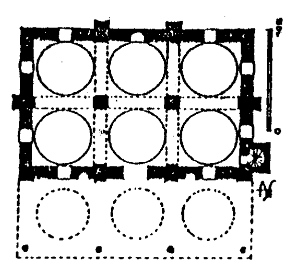
(شكل ٢٦) مسقط أفقي لجامع بابا أدم في رامبال بالبنغال (عن : Michell) .



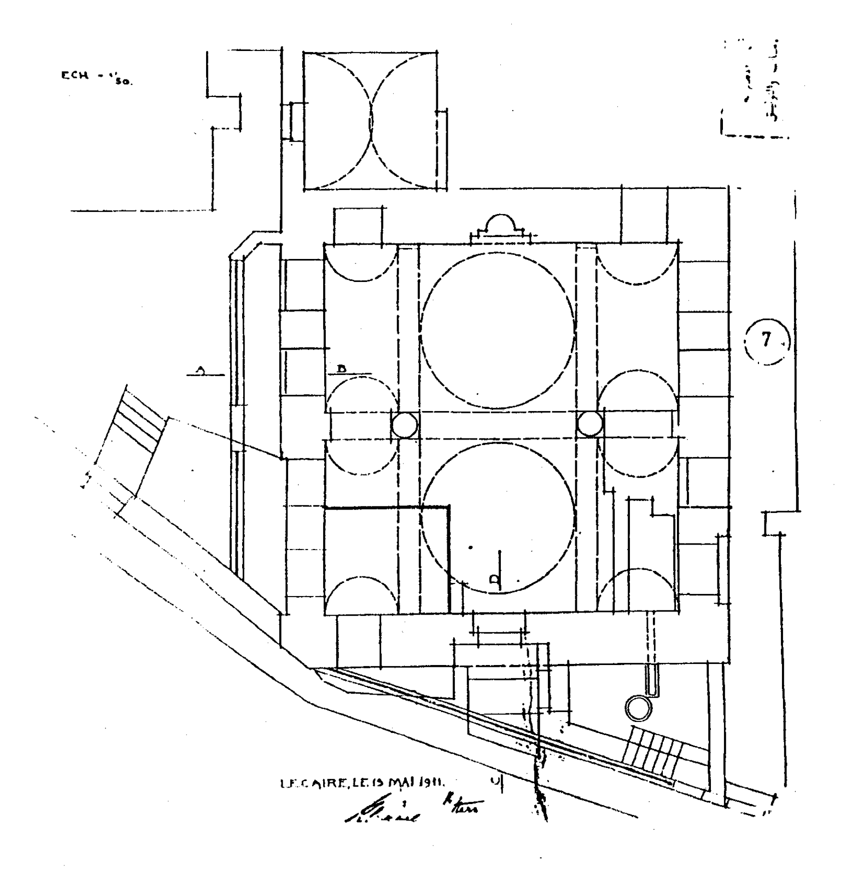
(شكل ٢٧) مسقط أفقي لجامع الشيخ خراسان بأذربيجان (عن : Bretanizki) .



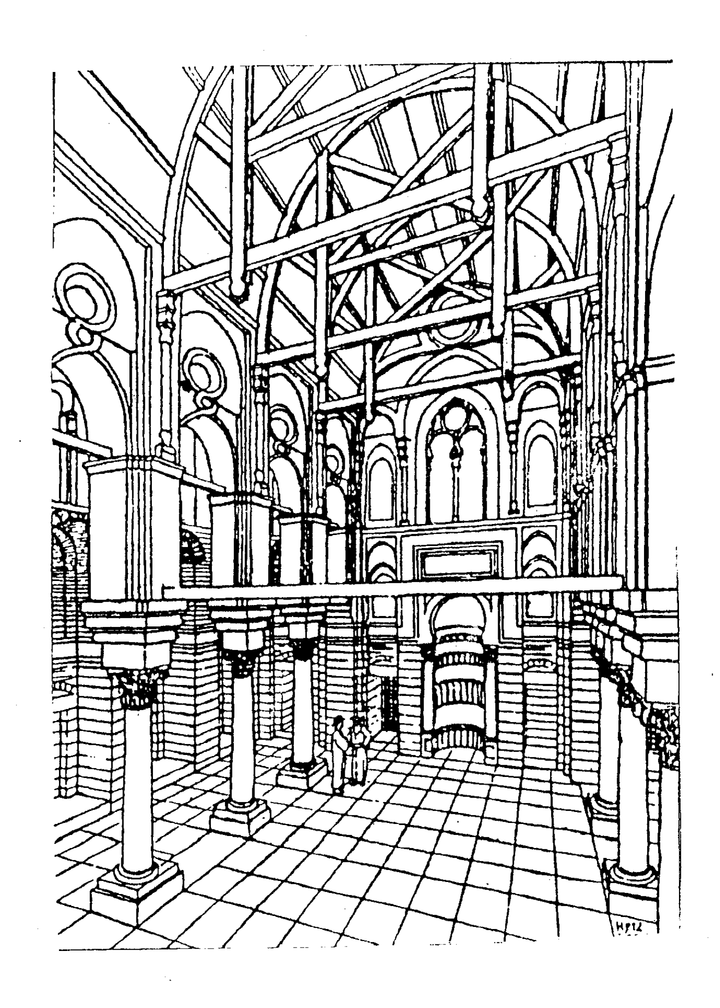
(شكل ٢٨) مسقط أفقي لمسجد بلبل خاتون في أماسيا بالأناضول (عن : Kuran) .



(شكل ٢٩) مسقط أفقي لمسجد عتيق علي باشا في ذنجرلي قويو باستانبول (عن : Gabriel) .

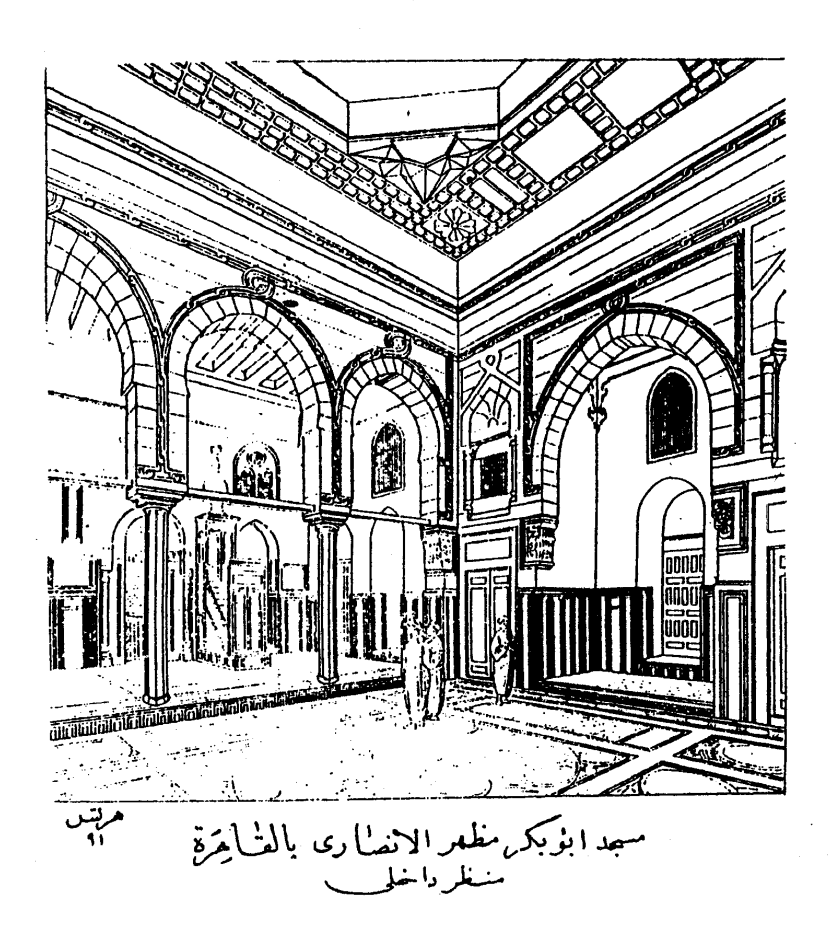


(شكل ٣٠) مسقط أفقي لزاوية حسن الرومي بالمحجر بالقاهرة
(عن : المجلس الأعلى للآثار المصرية) .

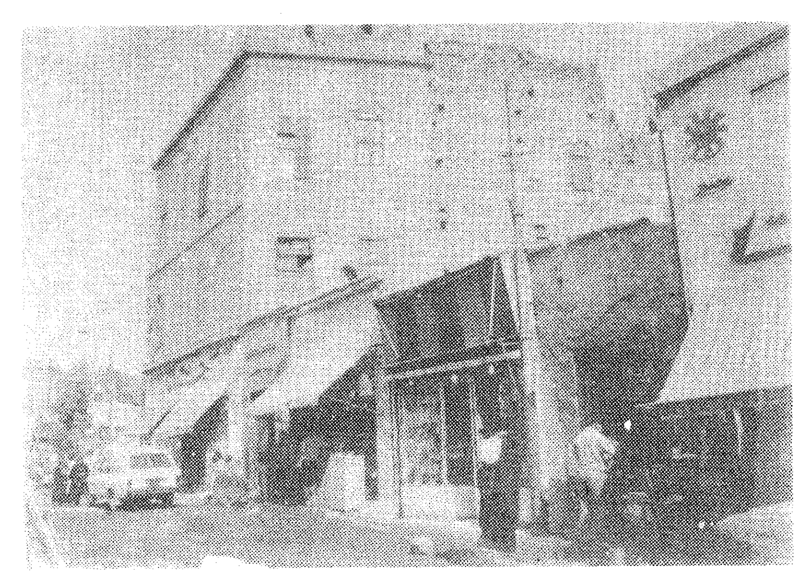


(شكل ٣١) منظر داخلي لايوان القبلة بمدرسة المنصور قلاوون

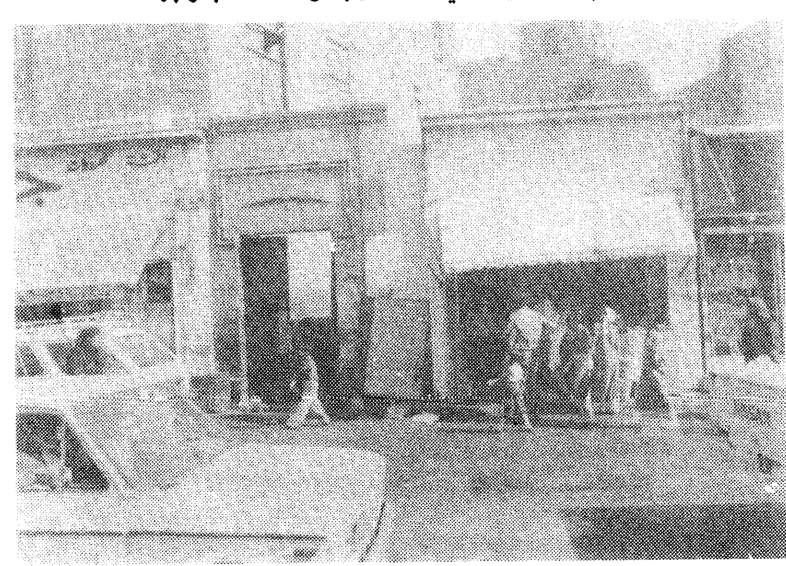
(عن، Creswell)



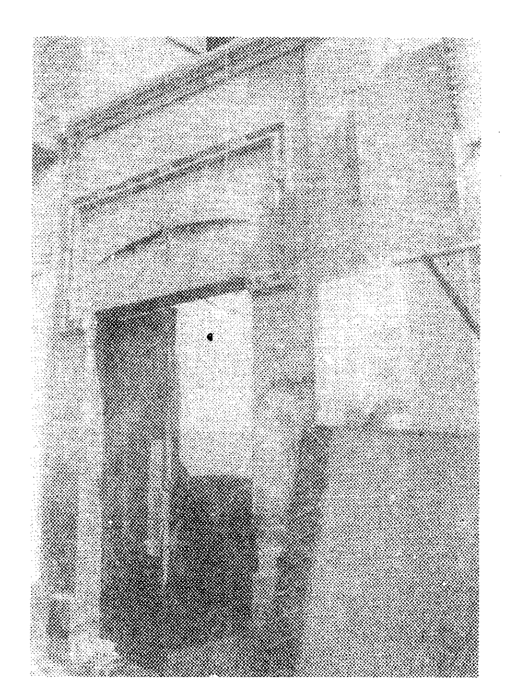
(شكل ٣٢) منظر داخلي لمدرسة أبو بكر مزهر بالقاهرة
(عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .



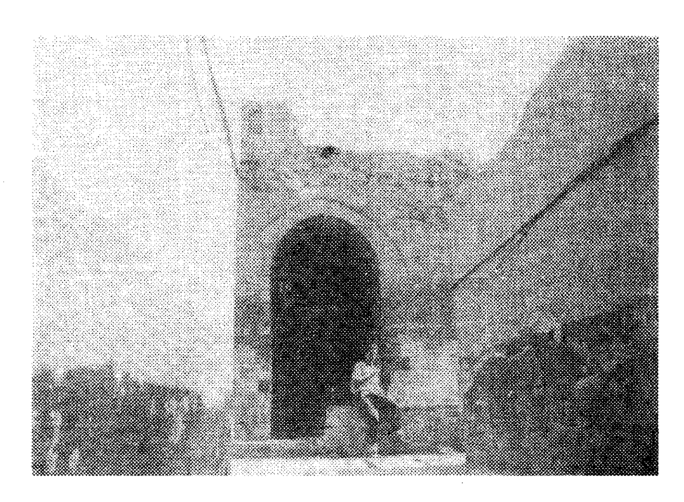
(لوحة ١) منظر عام للواجهة البحرية لمصلى المؤمني المعروف بجامع الغوري
والمبانى الحديثة التي حلت محل بعض الملحقات بالواجهة .



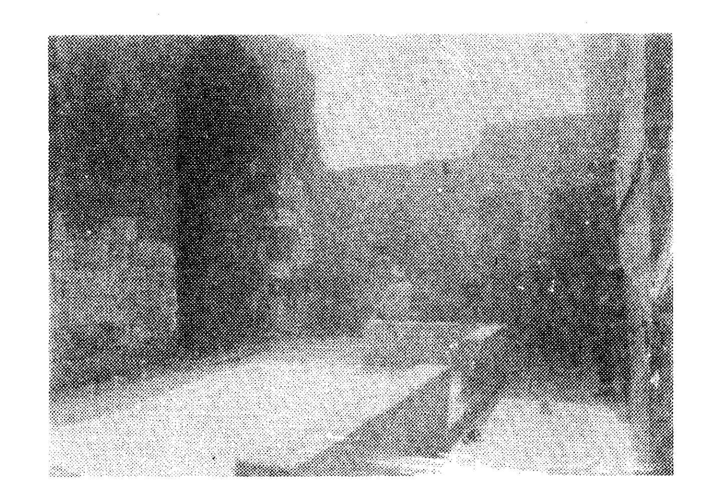
(لوحة ٢) المدخل الرئيسي الحالي لمصلى المؤمني .



(لوحة ٣) تفصيل للمدخل الرئيسي الحالي .



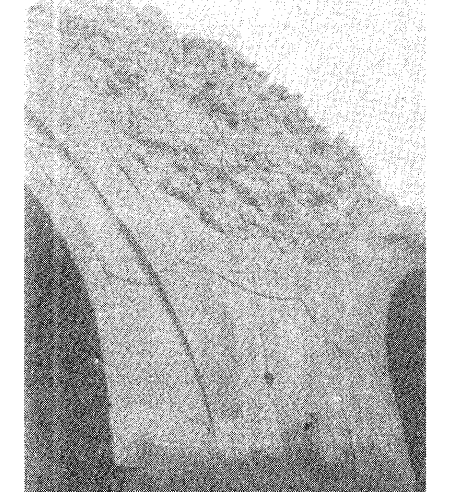
(لوحة ٤) البسطة التى تلي المدخل وتغير معالمها الأصلية .



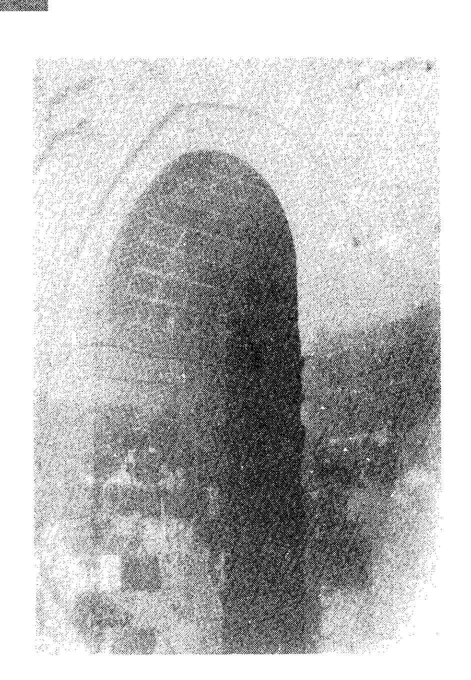
(لوحة ٥) الجزء المتبقي من البسطة تجاه إيوان القبلة .



(لوحة ٦) واجهة إيوان القبلة .



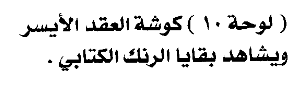
(لوحة ٧) الكوشة الوسطي
بواجهة الإيوان .



(لوحة ٨) العقد الأيسر
لداخل الإيوان .

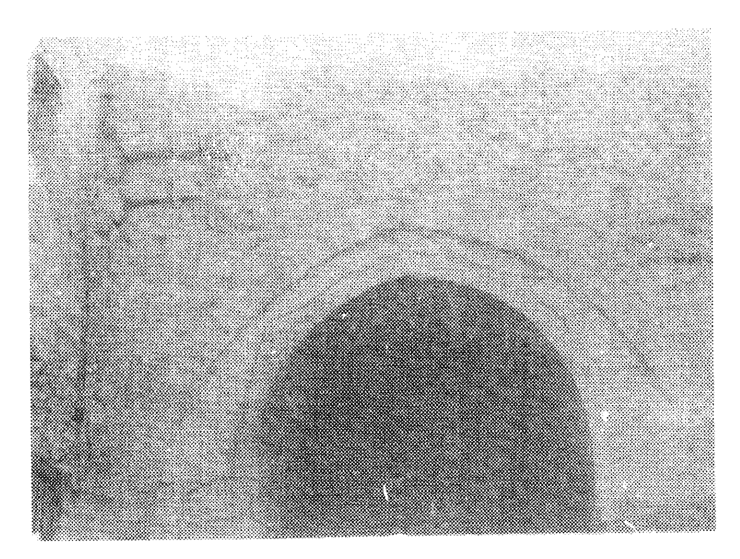


(لوحة ٩) العقد الأيسر والمبنى الملاصق له .

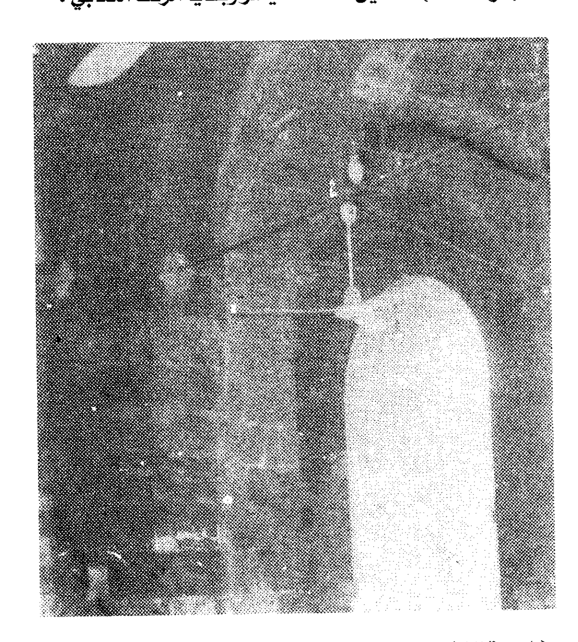


(لوحة ١٠) كوشة العقد الأيسر ويشاهد بقايا الرنك الكتابي .

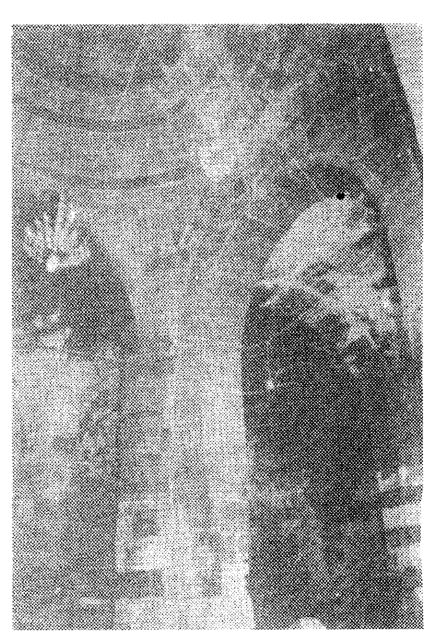




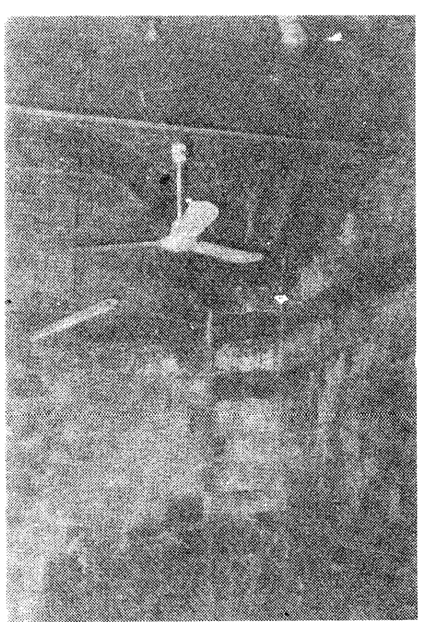
(لوحة ١١) تفصيل للعقد الأيسر وبقايا الرنك الكتابي .



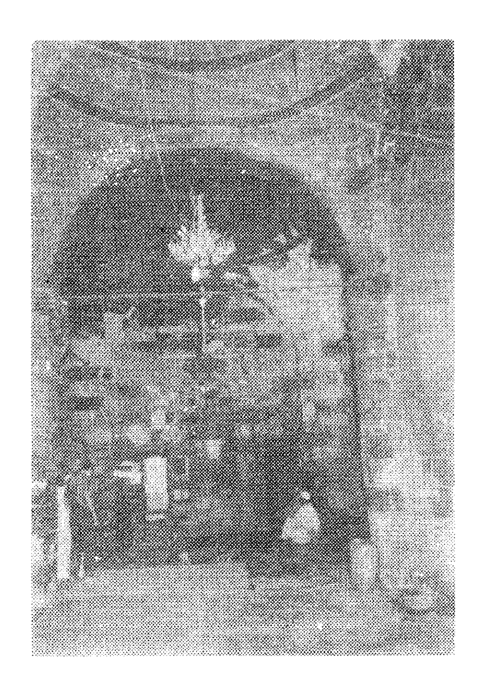
(لوحة ١٢) إحدى الدعامات الحاملة للعقود بداخل الايوان .



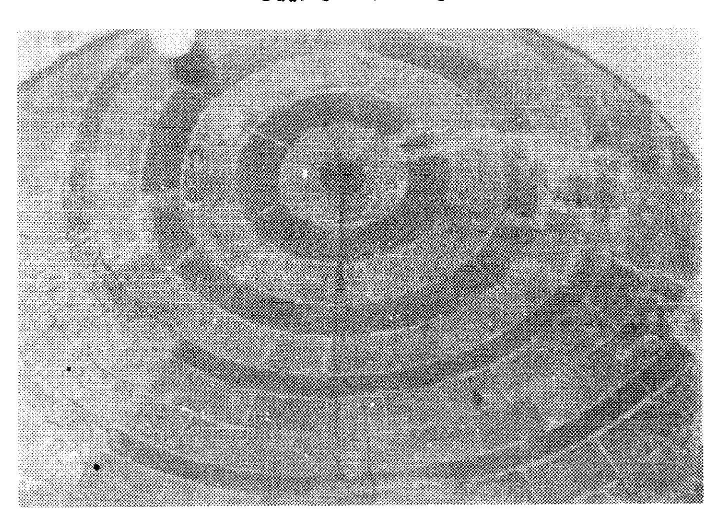
(لوحة ١٣) إحدى القباب الضحلة والمثلثات الكروية الحاملة لها .



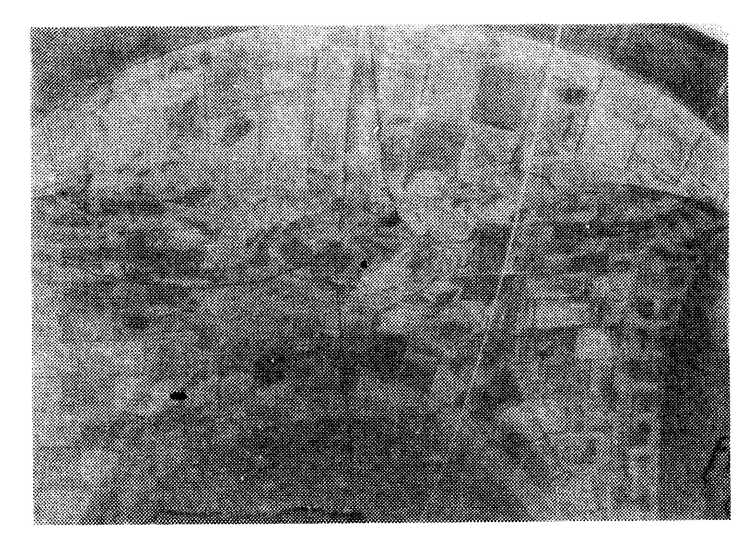
(لوحة ١٤) الدعامات الملتصقة بالركن الجنوبي للإيوان والقبة الضحلة أعلى المربع الأيمن للرواق الأول مما يلي جدار القبلة .



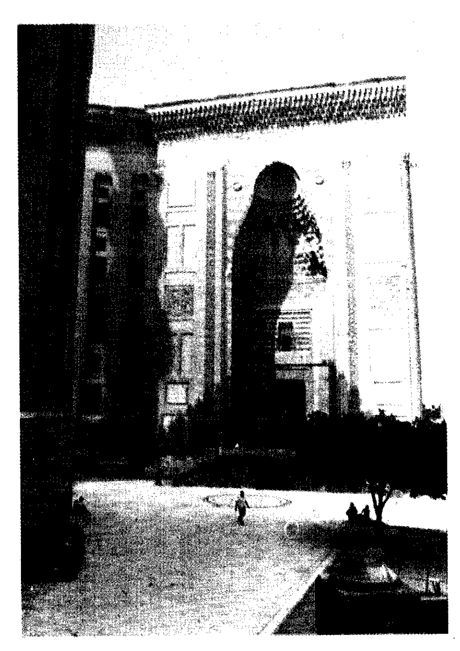
(لوحة ١٥) صدر الإيوان .



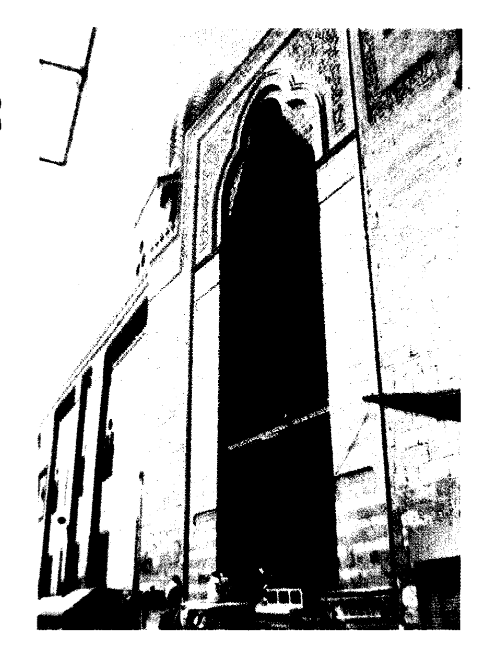
(لوحة ١٦) تفصيل لإحدى القباب الضحلة .



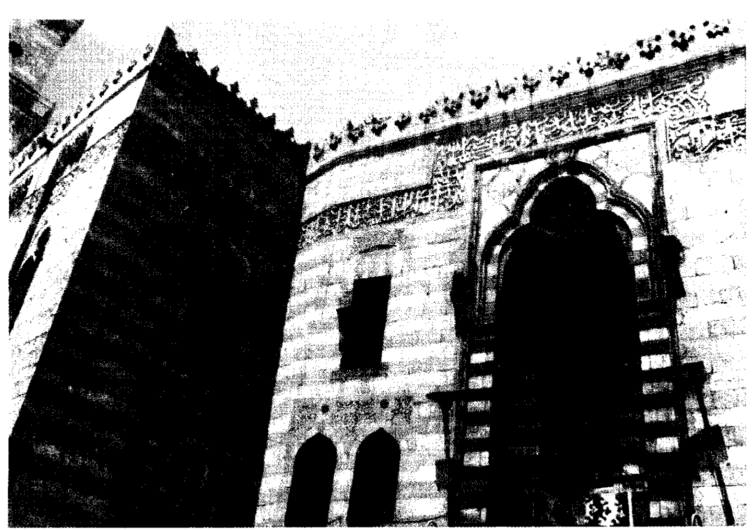
(لوحة ١٧) القبو المروحي أعلى المربع الأيسر للرواق الثاني بالإيوان .



(لوحة ١٨) كتلة المدخل الرئيسي لمدرسة السلطان حسن .



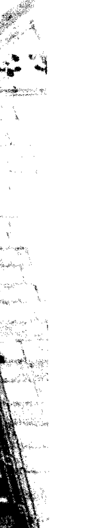
(لوحة ١٩) كتلة المدخل الرئيسي لجامع المؤيد شيخ .



(لوحة ٢٠) كتلة المدخل الرئيسي لمدرسة الغوري ويشاهد بكل من كوشتي العقد المدائنى رنكان كتابيان .

(لوحة ٢١) المدخل الرئيسي لسبيل السلطان الغوري الملحق بخانقاته بالغورية .

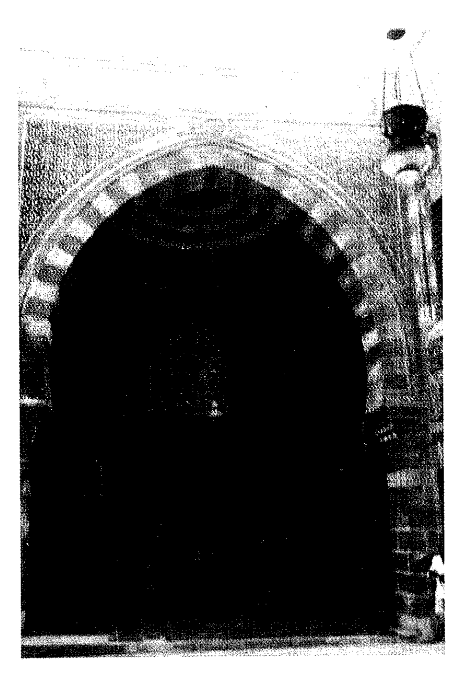




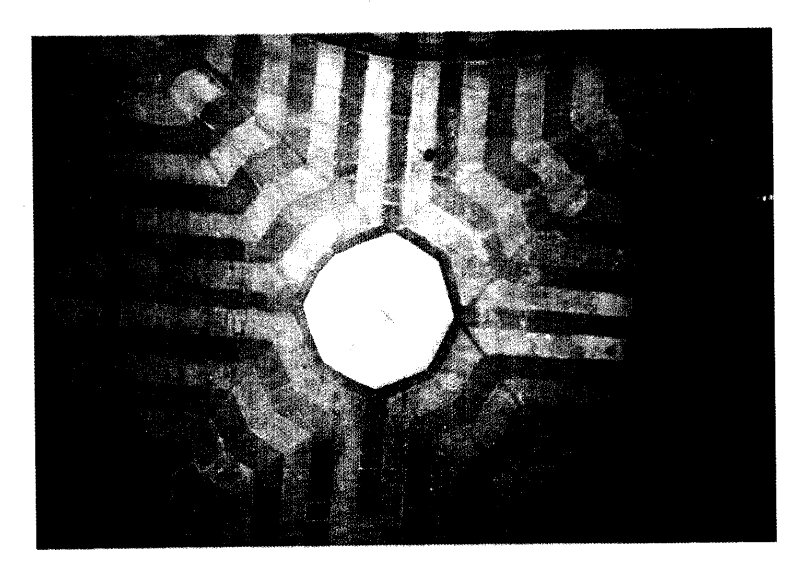
(لوحة ٢٢) كتلة المدخل الرئيسي لقبة وخانقاة الغوري بالغورية ويشاهد بكل من كوشتى العقد المدائني رنكان كتابيان .



(لوحة ٢٣) بقايا القبة الغورية ويشاهد بها رنكان كتابيان .



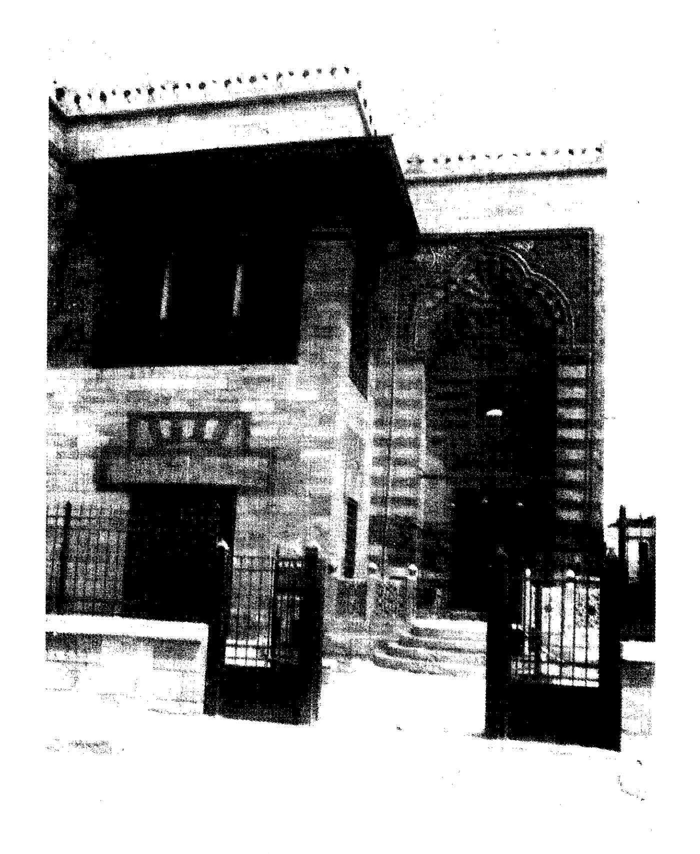
(لوحة ٢٤) القبة الضحله التي تعلوا إيوان القبلة بمدرسة قانى باى الرماح بالقلعة .



(لوحة ٢٥) القبو المروحى الذى يعلو در قاعة مدرسة خايربك بباب الوزير .



(لوحة ٢٦) العقد المدائني الذى يتوج مدخل مدرسة إينال اليوسفي بالخيامة .



(لوحة ٢٧) العقد المدائني الذي يتوج المدخل الأول لخانقاة الناصر فرج (بقرافة صحراء المماليك) ويشاهد بكل من كوشتي العقد رنكان كتابيان .



(لوحة ٢٨) العقد المدائني الذي يتوج مدخل ربع قايتباي (بقرافة صحراء المماليك) .



(لوحة ٢٩) العقد المدائني الذى يتوج مدخل وكالة الغوري الشهيرة .

الفصل الثالث

العمائر الجنائزية فى مصر خلال العصر العثمانى*

٩٢٣ ـ ١٢٢٠هـ / ١٥١٧ ـ ١٨٠٥م

دراسة تحليلية مقارنة

* نشر هذا البحث فى مجلة جامعة الملك سعود ـ المجلد الثانى عشر ـ الآداب (١) ـ النشر العلمى والمطابع ـ الرياض (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ـ ص ص ٢٢٧ ـ ٣٤٠ .

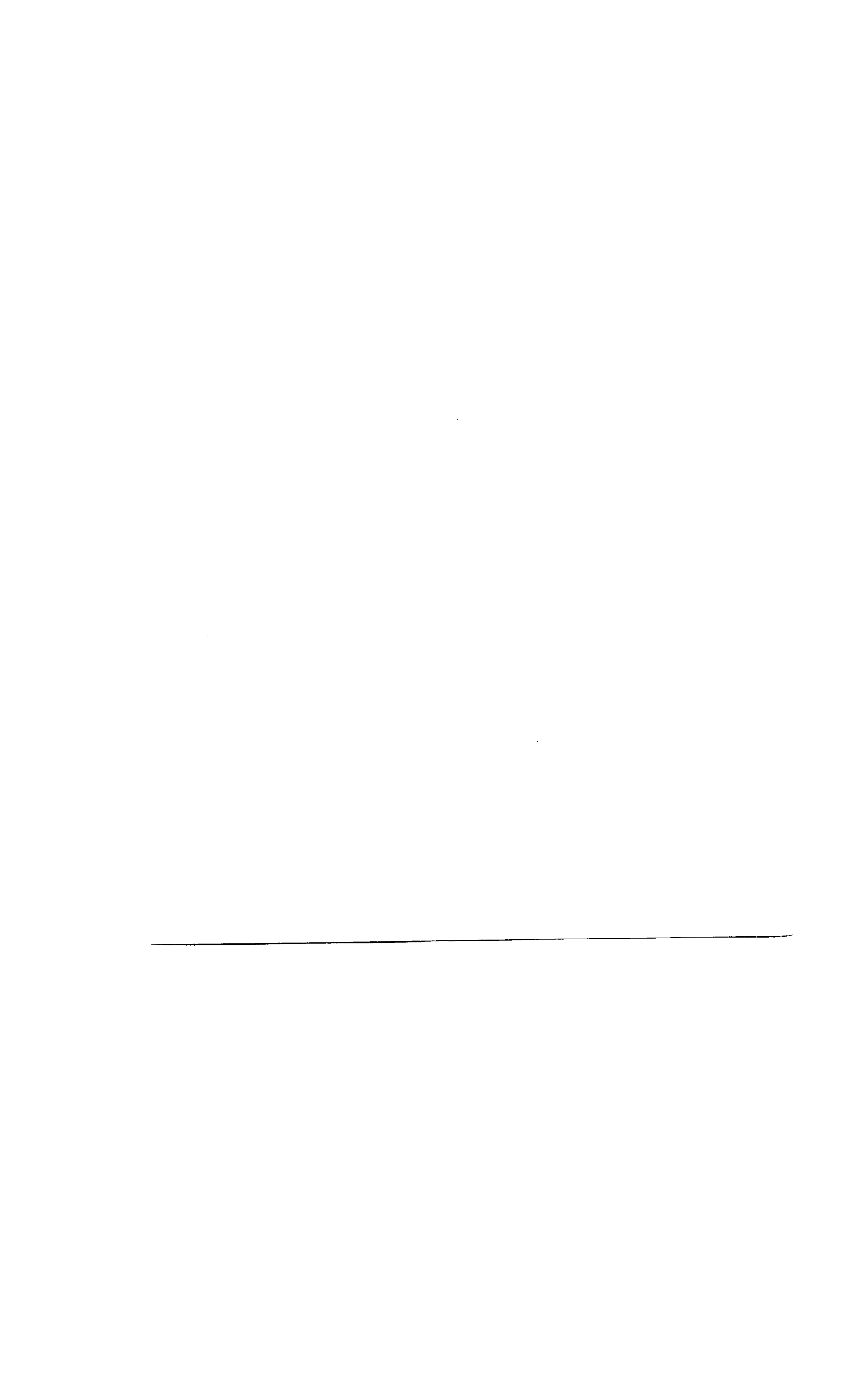
العمائر الجنائزية فى مصر
خلال العصر العثماني
٩٢٣ ـ ١٢٢٠هـ / ١٥١٧ ـ ١٨٠٥م
دراسة تحليلية مقارنة

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية مقارنة للعمائر الجنائزية ، التى شيدت فى مصر خلال العصر العثمانى ، والتى لا يزال باقيًا منها أمثلة عديدة ، أغلبها عبارة عن مدافن تعلوها قباب ، والقليل منها مجرد مدافن ذات أسقف مسطحة أو هرمية الشكل أو مسنمة أحيانًا ؛ فضلاً عن مقاصير الدفن .

وتعالج هذه الدراسة تلك العمائر من حيث طرزها المعمارية ، وتخطيط نماذج كل طراز منها ؛ فضلا عن تحليل عناصرها المعمارية والزخرفية ، وبخاصة مناطق انتقال القباب ورقابها وظاهرها (أى الخوذات) وما يكسو هذه وتلك من نقوش متنوعة سواء من الداخل أو من الخارج ، مع تتبع لأصول كل طراز أو عنصر منها سواء فى مصر أو فى تركيا (الأناضول) أو فى غيرهما من الأقطار العربية والإسلامية الأخرى .

أما عن طراز المدفن الحوش وملحقاته ، مثل مدفن رضوان أغا الرزاز (بقرافة الإمام الشافعى) ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م، فسوف نفرد له دراسة مستقلة لاحقة ـ بمشيئة الله تعالى ـ اعتمادًا على الوثائق والمصادر التاريخية ؛ فضلاً عن النماذج الباقية .



مقدمة:

تعد العمائر الجنائزية [1] فرعًا هامًا من أفرع العمارة الإسلامية يستحق البحث والدراسة والتحليل سواء من حيث طرزها وتخطيط نماذجها المختلفة وتكوين الكتل الرئيسة فيها أو من حيث تفاصيلها وعناصرها المعمارية والنقوش الكتابية والزخرفية لما أصاب هذه وتلك من تطور وازدهار عظيمين خلال العصور الإسلامية المتعاقبة ، وليس أدل على ذلك من تلك النماذج العديدة المتنوعة التى لا تزال باقية فى غالبية الأقطار العربية والإسلامية[2] ، وهو الأمر الذى يجب أن تفرد له الدراسات التحليلية المتعمقة ولا سيما من قبل العلماء والباحثين العرب .

وبصفة عامة يمكن القول بأن كل ما كتب من أبحاث ودراسات باللغة العربية حول هذا الموضوع خلال العقود الستة الأخيرة يعد من القلة بمكان ولا يتناسب بأى حال من الأحوال مع أهمية هذا الموضوع وخطورته لكل من يتصدى لدراسة العمارة الإسلامية وتطورها فى المشرق والمغرب على السواء .

وإيمانًا منى بهذه الأهمية عقدت العزم بمشيئة الله تعالى على أن أسهم بسلسلة من الدراسات حول هذا الموضوع[3] ومنها هذا البحث وموضوعه « العمائر الجنائزية فى مصر خلال العصر العثمانى ٩٢٣ ـ ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧ـ ١٨٠٥م ، دراسة تحليلية مقارنة » .

وقد ساعد على دراسة ذلك الموضوع أن مصر لا تزال تحتفظ بعدد كبير من تلك العمائر التى شيدت خلال ذلك العصر وتتركز غالبيتها فى مدينة القاهرة أولاً ثم فى كل من مدينتى فوه ورشيد بالوجه البحرى ثانيًا ، أما البقية الباقية فنراها منتشرة وموزعة فى عدد من المدن والقرى المصرية الأخرى فى الوجهين القبلى والبحرى على السواء ، وهو الأمر الذى يمكن فى ضوئه التعرف على طرز هذه العمائر وتخطيط أنماطها المختلفة ، فضلا عن تحليل عناصرها المعمارية ونقوشها الزخرفية وفيما إذا كانت تعد إستمرارًا وتطورًا لما كان سائدًا فى مصر قبل العصر العثمانى أم أنها تأثرت بهذا الطراز العثمانى .

وبصفة عامة يمكن القول أنه على الرغم من أن سياسة الدولة العثمانية ، وهى الخاصة بإبقاء الأوضاع على ما هى عليه ، قد ساهمت هى وعوامل أخرى فى احتفاظ العمارة المصرية بطرازها المحلى الموروث واستمراره بل وتطوره فى بعض العناصر والتفاصيل خلال ذلك العصر ، إلا أن ذلك لم يحل دون تسرب الطراز العثمانى وانتقاله إلى مصر من جهة وتبادل التأثيرات المعمارية والفنية بينه وبين الطراز المحلى من جهة أخرى وهو الأمر الذى سبق وأن تعرضنا له بالدراسة والتحليل بالنسبة للعمائر الدينية الباقية بمدينة القاهرة(٤).

والحق إن العمائر الجنائزية الباقية بمصر من ذلك العصر تعد هى الأخرى أنموذجًا صادقًا يؤكد ويعكس هذه النظرة بحق ولذلك أفردت لها هذه الدراسة حتى يمكن استكمال الحلقة قبل الأخيرة من حلقات تطور هذا النوع من العمائر فى العمارة المصرية الإسلامية(٥).

هذا وقد إعتمدت فى المقام الأول على الزيارات الميدانية المتعددة لتلك العمائر سواء ما بقى منها بالقاهرة أو غيرها من المدن والقرى المصرية الأخرى التى تيسرت لى سبل زيارتها ومن ثم تعد هذه الزيارات بحق عماد تلك الدراسة، وبالإضافة إلى ذلك إعتمدت أيضًا على بعض المصادر والوثائق العربية فضلا عن عدد كبير من المراجع الحديثة عربية كانت أو تركية أو أجنبية .

المبحث الأول : طرز النماذج الباقية وتخطيطها :

يمكن بادى ذى بدء أن نميز بين طرازين مختلفين شاع استخدامهما خلال ذلك العصر ، أولهما ، وهو الأغلب ، الطراز المصرى المحلى الموروث ، وثانيهما الطراز العثمانى .

ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نتناول بالتفصيل وصف النماذج العديدة الباقية فهذا يحتاج إلى مجلد قائم بذاته أو أكثر ، ولذلك سوف نركز فى هذا البحث على الدراسة التحليلية المقارنة لتخطيط نماذج كل طراز منها على حدة مع تتبع لأصول هذا التخطيط أو ذاك سواء فى مصر أو فى تركيا (الأناضول) أو فى غيرهما من الأقطار العربية والإسلامية الأخرى .

١. الطراز الأول: القباب والمدافن المصممة وفق الطراز المصري المحلي:

وهو الطراز السائد والأغلب ، كما سبق القول ، حيث يربو عدد القباب والمدافن ، المعروفة فى ضوء ما تم حصره حتى الآن على مائة وعشرين قبة ومدفنًا ، منها بمدينة القاهرة وحدها نحو ثمان وثلاثين وبمدينة فوه ثمان عشرة وبمدينة رشيد ست عشرة قبة ومدفنًا[٦]، أما البقية الباقية ويقدر عددها بنحو ثمانية وأربعين قبة ومدفنًا فموزعة بين عدد من المدن والقرى المصرية الأخرى فى الوجهين القبلى والبحرى على السواء .

هذا وقد بنيت غالبية هذه القباب وتلك المدافن ملحقة بعمائر دينية غالبًا وعمائر مدنية أحيانًا أما البقية الباقية فقد بنيت مستقلة أى غير ملحقة بأى من هذه العمائر أو تلك ، وإن كان يلاحظ أن بعض هذه القباب المستقلة قد ألحقت بها جوامع حديثة البناء .

ومن هذه القباب والمدافن المستقلة نذكر كل من : قبة الأمير سليمان أغا[٧] (بحوش تربة برسباى البجاسى بقرافة الغفير شرق القاهرة) ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م وقبة الشيخ عبد الله (بعرب اليسار بحى السيدة عائشة جنوب القاهرة) وتؤرخ بأواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م بمدينة القاهرة وكلا من : قبة الشيخ سالم أبى النجاه ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م ، وقبة الشيخ ضباب قبل ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م وقبة أبى شعره وقبة أبى طاقية وقبة الشيخ جزر (بالمدينة) وقبته الأخرى (بالجبانة) وقبة منصور الباز وتؤرخ كلها بالقرن ١٢هـ/ ١٨م بمدينة فوه[٨] (شكلا ١ ـ ٢) ، (لوحتا ٣١ ـ ٣٢) .

وكلا من : قبتى محمد أبى الريش والشيخ عبد العال قبل ١١٢٥هـ/ ١٧٠٣م ومدفن الشيخ حمام بمدينة رشيد [٩].

وكلا من : قبة أحمد العراقى (بجبانة ادكو) قبل ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م ، وقبة الأمير جاويش (بالمحلة الكبرى) حوالى ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م ، وقبة الدياسطى (بفارسكور) أواخر القرن ١٢هـ/١٨م ، وقبة أبى تميم الدارى (بجبانة دنديط مركز ميت غمر محافظة الدقهلية) ١١٥٦هـ/١٧١٤م وغير

ذلك[١٠] (شكلا ٣ ـ ٤). وعند تأصيل هذه القباب المستقلة نجد أنها عرفت فى العمارة الإسلامية منذ وقت مبكر وتعد قبة الصليبة فى سامرا بالعراق ٢٤٨/ ٨٦٢م أقدم مثل باق معروف، حتى الآن ، للقباب الجنائزية عامة والمستقلة منها خاصة[١١] ومن النماذج التالية تقابلنا قبة إسماعيل الساماني فى بخارى[١٢] (تقع الآن بجمهورية أوزبكستان) بآسيا الوسطى .

أما عن أقدم النماذج الباقية فى العمارة الإسلامية بمصر فتوجد بجبانة أسوان ولا سيما القباب التى يرجّح أنها ترجع إلى عصر الولاة [١٣]، وكذلك بقيت من العصر الفاطمى عدة نماذج بعضها بجبانة أسوان المشار إليها وبعضها الآخر بالقاهرة ومنها القباب السبع (بآخر القرافة الكبرى) حوالى ٤٠٠ـ ٤١١هـ/ ١٠٠٩ ـ ١٠٢٠م وقبة الشيخ يونس (بقرافة باب النصر) ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وقبة الحصوانى (بقرافة الإمام الشافعى) وغير ذلك ، واستمر ذلك التقليد متبعاً خلال العصرين الأيوبى والمملوكى بدولتيه البحرية والچركسية ، ومن النماذج الباقية نذكر، على سبيل المثال وليس الحصر ، كل من قبة الخلفاء العباسيين (بقرافة السيدة نفيسة خلف مسجدها الشهير) ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م وقبة الصوابى (بقرافة سيدى جلال الدين السيوطى) حوالى ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م وقبة على بدر القرافى (بقرافة سيدى جلال أيضا) ٧٠٠ ـ ٧١٠هـ/ ١٣٠٠ ـ ١٣١٠م وقبة جانى بك الأشرفى (ضمن حوش مجمع السلطان برسباى بقرافة صحراء المماليك) ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م وقبة الشيخ عبد الله المنوفى (تجاه مجمع السلطان قايتباى بقرافة صحراء المماليك) حوالى ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م وغير ذلك[١٤].

ومن النماذج الباقية خارج القاهرة نذكر ، على سبيل المثال أيضاً كل من: قبة الشيخ سليم أبى مسلم (فى بلبيس بالشرقية) وتؤرخ بأواخر القرن ٧هـ/ ١٣م أو النصف الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م وقبة على الصياد (فى السنانية بدمياط) وتؤرخ بأواخر القرن ٩هـ/ ١٥م أو أوائل القرن ١٠هـ/١٦م وغير ذلك .

أما بالنسبة للقباب والمدافن الملحقة فتعد نماذجها الباقية كثيرة ، سواء بمدينة القاهرة أو غيرها من المدن والقرى المصرية ، ومن الملاحظ أن هذه

القباب وتلك المدافن إما أن تشغل الركن الجنوبى للمنشأة الملحقة بها ومن أمثلة ذلك كل من : قبة الشعرانى ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م وقبة المناوى قبل ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م ومدفن الشيخ عويطى بزاوية رضوان (بحى القربية) ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م ومدفن مرزوق الأحمدى (بحى الجمالية) ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م وقبة عقبة بن عامر (بقرافة سيدى عقبة) ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م والقبة الملحقة بمسجد محمد قره باشا (بميدان صلاح الدين أسفل القلعة بحى الخليفة) ١١١٣هـ/ ١٧٠١م بالقاهرة، وقبة سيدى موسى (بفوه) وتؤرخ بالقرن ١٢هـ/١٨م وغير ذلك .

وعند تأصيل موضع هذه القباب نجد أنه قد عرف فى مصر خلال العصر المملوكى ومن أمثلته الباقية كل من قبة زين الدين يوسف وقبة أصلم السلحدار من عصر المماليك البحرية والقبة اليمنى بخانقاه الناصر فرج بن برقوق وقبة تغرى بردى من عصر المماليك الجراكسة .

وتشغل بعض القباب الركن الشمالى ومنها بالقاهرة قبة الشيخ رمضان (بعابدين) ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م وبالمنصورة قبة محمد النجار ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م وقبة الموافى ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م وبرشيد قبة العباسى النصف الأول من القرن ١٢هـ/ ١٨م (شكل ٩) وبفوه قبة الدوبى القرن ١٢هـ/١٨م فضلا عن قبة الخزرجى بقرية ديبى ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م وغير ذلك .

وعند تأصيل هذا الموضع نجد أنه قد عرف فى مصر أيضًا قبل العصر العثمانى ومن أمثلته الباقية كل من قبة الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م وقبة بيبرس الجاشنكير وقبة الماس الحاجب وقبة تتر الحجازية وقبة جانم البهلوان من العصر المملوكى بدولتيه وغير ذلك .

وتشغل بعض القباب الركن الغربى ومنها بالقاهرة قبة جامع البيومى ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م وفى فارسكور قبة الحديدى ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م وفى رشيد قبة الشيخ أحمد أبى التقى ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م ، وغير ذلك .

ومن النماذج الباقية قبل العصر العثمانى كل من قبة صرغتمش وقبة الجاى اليوسفى من عصر المماليك البحرية وقبة جانى بك (بالخيامية) من عصر

المماليك الجراكسة وغير ذلك .

هذا وتوجد بضعة نماذج تقع خلف المحراب وتبرز عن جدار القبلة ومن أمثلة ذلك بالقاهرة كل من قبة مدفن جامع المحمودية (بميدان صلاح الدين تجاه جامع الرفاعى) ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م وقبة مدفن جامع الشيخ محمد أفندى آلتى برمق (بسوق السلاح) قبل ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م بمدينة القاهرة (شكلا ٦ ـ ٧) لوحة (٢١) . ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة نذكر كل من : مدفن الأمير على كاشف جمال الدين (بمنفلوط) ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م والقبة الملحقة بمسجد الفرغل بأبى تيج وتؤرخ بأواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م بالوجه القبلى[١٥] .

وكل من : قبة أحمد البجم الكبير (بابيار) حوالى ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م وقبة محمد النميرى (بفوه) قبل ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م وغير ذلك[١٦] شكل (٨) وعند تأصيل هذا الموضع نجد أن الأمثلة التى ترجع إلى ما قبل العصر العثمانى قليلة ومنها بالقاهرة كل من قبة المشهد الحسينى والقبة الثانية بالمدرسة البندقدارية (زاوية الآبار) وقبة مدرسة السلطان حسن الشهيرة[١٧].

ومن الأمثلة الدارسة قبة الشيخ محمد بن حسن الشهير بابن عنان الذى دفن عقب وفاته فى ربيع الأول ٩٢٢هـ / ١٥١٦م « خلف محراب جامع المقسم (جامع الفتح بميدان رمسيس الآن) وبنى عليه والده الشيخ أبو الصفا قبة »[١٨].

ويلاحظ أن بعض المدافن التى صممت وفق الطراز المصرى لا تعلوها قباب ومنها بالقاهرة كل من : زاوية الشيخ ضرغام أوائل القرن ١٠هـ/١٦م ومدفن مرزوق الأحمدى ومدفن الشيخ عويطى السابق الإشارة إليهما ومدفن رضوان أغا الرزاز ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م ومدفن الشيخ العربى قبل ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م ومدفن سليمان أغا الحنفى ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م (شكل ١٢) ومدفن جنبلاط ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م. ومنها مدفن الشيخ حمام برشيد ومدفن الأمير على كاشف جمال الدين بمنفلوط وغير ذلك . وعند تأصيل هذا النوع من المدافن قبل العصر العثمانى نجد أن نماذجها الباقية ترجع إلى العصر المملوكى ومنها مدفن منجك اليوسفى ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م ومدفن عبد الغنى الفخرى ٨٢١هـ/ ١٤١٨م ومدفن يحيى زين الدين ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م.

كما أن بعض القباب والمدافن الأخرى تخلو من وجود المحاريب بصدرها ومنها بالقاهرة كل من قبة جاهين الخلوتي (بالمقطم) ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م ومدفن الشيخ ضرغام ومدفن الشيخ عويطى المشار إليهما وقبة أبي جعفر الطحاوى ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م وقبة مسجد محمد قره باشا ١١١٣هـ/ ١٧٠١م وقبة الشيخ مطهر ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م ومدفن رضوان أغا الرزاز ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م وقبة الكردى (بالحسينية) ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م وقبة الشيخ رمضان ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م ومدفن الشيخ العربى ومدفن سليمان أغا الحنفى ومدفن جنبلاط السابق الإشارة إليها .

ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة نذكر ، على سبيل المثال ، كل من قبة الأمير جاويش بالمحلة الكبرى وقبة أبي طاقية وقبة جزر (بالمدينة) وقبة النميرى وقبة سيدى موسى وقبة سعد الله وقبة الدوبى بمدينة فوه ، وقبة محمد أبي الريش وقبة الصامت وقبة العباسى برشيد وقبة عبد الوهاب بن مخلوف بمطوبس ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م وقبة أبي يزيد البسطامى (بقرية سديمة مركز كفر الزيات محافظة الغربية) وتؤرخ بالربع الآخير من القرن ١٢هـ/ ١٨م .

وكل من : قبتى الحديدى والدياسطى بفارسكور (بدمياط) أواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م وقبة محمد النجار ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م وقبة الموافى ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م بالمنصورة وغير ذلك(١٩).

هذا وترجع أقدم النماذج الباقية بمصر إلى فترة عصر الولاة ومن أمثلة ذلك بعض قباب أسوان التى يرجّح أنها ترجع إلى ذلك العصر ؛ فضلا عن بعض القباب التى ترجع إلى العصر الفاطمى سواء بجبانة أسوان أيضًا أو بالقاهرة ومن أشهرها القباب السبع السابق الإشارة إليها والتى لم يتبق منها سوى أربع قباب فقط ويلاحظ أن ثلاثة من هذه القباب تخلو من وجود المحراب أما القبة الرابعة فتحوى محرابًا صغيرًا جدًا على كل من جانبى الباب القبلى لمربع القبة(٢٠).

أما غالبية النماذج الباقية فترجع إلى العصر المملوكى ومنها بالقاهرة وحدها ما يقدر بنحو خمسة عشر أنموذجا من بينها قبة أحمد المهمندار

٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م وقبة القاصد ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م وقبة الأشرف كجك ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م من عصر المماليك البحرية وقبة جلال الدين المحلى قبل ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م وقبة عمر بن الفارض ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م وقبة يعقوب شاه المهمندار ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م من عصر المماليك الجراكسة (٢١) .

ومن النماذج الباقية خارج القاهرة نذكر ، على سبيل المثال ، قبة المعينى (بدمياط) قبل ٨٦٠ هـ/ ١٤٥٥م وقبة على الصياد بالسنانية من أواخر عصر المماليك الجراكسة .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المدافن والقباب الملحقة تشرف على داخل الجامع أو الزاوية من خلال فتحة معقودة بعقد مدبب ومن أمثلة ذلك كل من مدفن مرزوق الأحمدى ، ومدفن الشيخ عويطى وقبة عقبة بن عامر وغير ذلك

ومن الأمثلة الباقية التى ترجع إلى ما قبل العصر العثمانى نذكر كلا من : قبة المدفن الملحق برباط أحمد بن سليمان الرفاعى ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م والقبة المعروفة بقبة المنوفى (بقرافة السيوطى) أواخر القرن ٧هـ/ ١٣م أو أوائل القرن ٨هـ / ١٤م وقبة خانقاه قوصون (بقرافة السيوطى أيضًا) ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م وقبتى خانقاه الناصر فرج بن برقوق (بقرافة صحراء المماليك) ٨٠١ ـ ٨١٣ هـ / ١٣٩٨ ـ ١٤١٠م وغير ذلك .

أما عن تخطيط المربع السفلى لغالبية المدافن التى تعلوها قباب فهو لم يخرج عن النمط التخطيطى المألوف من حيث وجود مساحة مربعة يتوسط صدرها المحراب باستثناء النماذج التى تخلو من المحاريب السابق الإشارة إليها ، وتوجد على جانبيه شبابيك أو خزانات حائطية (كتبيات) ويوجد المدخل إما تجاه المحراب أو فى أحد الأضلاع الجانبية الأخرى وأحيانًا يتوصل إلى داخل المدفن من خلال فتحة معقودة كما هو الحال فى النماذج الملحقة المشار إليها .

وتحتوى هذه المساحة المربعة ، علاوة على ذلك ، على بعض الدخلات أو الخزانات الحائطية أو الشبابيك التى قد تختلف من مدفن لآخر سواء من حيث

عددها أو اتساعها أو من حيث عمقها وأسلوب تغطيتها بالأعتاب المتنوعة (أشكال ١ ـ ٩) .

على أن انتشار هذا النمط التخطيطي المألوف ، لا يعني عدم وجود نماذج أخرى باقية اتسمت بتخطيطات فريدة متميزة كما هو الحال في كل من : المدفن الملحق بجامع سليمان باشا المعروف بجامع سارية الجبل (بالقلعة) ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م ، ومدفن يوسف أغا الحبشي ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م ومدفن آلتي برمق الملحق بجامعه (بسوق السلاح) قبل ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م ، ومدفن الأمير إبراهيم أغا مستحفظان المعروف بمدفن إبراهيم خليفة جنديان (بالتبانة) ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م ومدفن الأمير عبد الرحمن كتخدا الملحق بزيادته (بالجامع الأزهر) ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م ومدفن الأمير سليمان أغا الحنفي (بالاباجية) ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م بمدينة القاهرة (أشكال ٦ ، ١٠، ١٢) .

وبالنسبة للمدفن الملحق بجامع سليمان باشا (سارية الجبل) ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م فقد ورد بالوثيقة وصف مجمل له ، حيث ذكرت أنه يشتمل على «إيوان ودرقاعة وأكتاف بعلوها قناطر عليها ست قبب كل ذلك مبني بالحجر الفص النحيت بدايرة تسعة شبابيك نحاسًا بأبواب عليها وسفل إيوان المقام سلم هابط يتوصل منه إلى ضريح سيدي الشيخ سارية .. مفروش أرض ذلك بالبلاط كامل المنافع والحقوق ... »[٢٢] (شكل ١٠) .

ويكاد ينطبق التخطيط الحالي مع ما ورد بالوثيقة فالمدفن عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسطها عمودان تنطلق من فوقهما سبعة عقود ثلاثة منها عمودية والأربعة الأخرى موازية وهو الأمر الذي نتج عنه وجود ستة مربعات يعلو كل مربع منها قبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية وجميع هذه القباب متساوية باستثناء القبة التي تعلو المقام المعروف بالشيخ سارية فهي أكثر ارتفاعًا وتميزًا عن القباب الخمس الأخرى . هذا ويحتوي المدفن ، فضلا عن مقام الشيخ سارية على عدد من المقابر عليها ثلاث تركيبات رخامية بالإضافة إلى قبر تعلوه تركيبة غير مألوفة في العصر العثماني وهي عبارة عن شكل هرمي

يبلغ ارتفاعه ١,٨٠م. وهذه المقابر تخص بعض الأمراء الأتراك وبعض أبناء الوزراء منذ بداية الحكم العثماني لمصر وحتى عصر محمد على وتتميز هذه التراكيب بتعدد زخارفها الملونة والمذهبة فضلا عن الأشكال المتعددة لأغطية الرأس والمستخدمة لطوائف الجند وموظفى الديوان[٢٣] .

أما مدفنا الأمير يوسف أغا الحبشى ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م والأمير عبد الرحمن كتخدا (شكل ١١) ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م فتخطيطهما عبارة عن درقاعة وإيوان ويسقف الإيوان فى مدفن يوسف أغا قبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية بينما يسقف إيوان مدفن عبد الرحمن كتخدا قبة مرتفعة منطقة انتقالها عبارة عن عقود مدائنية كما سنشير فيما بعد ، أما الدرقاعة فهى مسقفة بسقف خشبى فى مدفن يوسف أغا ومسقفة بقبو نصف دائرى فى مدفن عبد الرحمن كتخدا وتحتوى أرضية الدرقاعة فى كل منهما على المنزل المؤدى إلى فسقية[٢٤] الدفن أسفل مربع القبة . ومن الأمثلة الباقية التى ترجع إلى ما قبل العصر العثمانى ، ولكن مع بعض الاختلافات فى التفاصيل ، قبة مدفن الأمير الجاى اليوسفى (بسوق السلاح) ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م.

وبالنسبة لمربع قبة مدفن آلتى برمق قبل ١٠٣٣/ ١٦٢٣م فيلاحظ أنه يشغل الركن الشمالى لهذا المربع إيوان صغير يشرف على داخل مربع القبة من خلال فتحة معقودة بعقد مدبب ، ويسقف هذا الإيوان قبو متقاطع ، ويحتوى هذا الإيوان على شباكين يشرف أحدهما على داخل الجامع ويشرف الآخر على الشارع الرئيسى (شكل ٧) أما بالنسبة لمدفن إبراهيم أغا مستحفظان ١٠٥٢/ ١٦٤٢م فيلاحظ أن تخطيطه الحالى ينطبق مع ما ورد بحجة الوقف من حيث أنه يشتمل على « إيوانين احداهما كبير والثانى صغير فيما بينهما درقاعة بها منزل المدفن المرقوم يتوصل منه إلى فسقيتين مبنيتين تحت تخوم الأرض معقودتين بالحجر الفص النحيت ، والإيوان الكبير بصدره الشباكان المرقومان أعلاه وبه فى الجهة اليمنى شباك صغير مصنوع من الحديد مطل على الدهليز المرقوم ، وبه فى الجهة اليسرى محراب صغير ، يعلو ذلك قبة كبيرة معقودة بالحجر الفص النحيت وبالإيوان الصغير على يمين الصاعد مصطبة

صغيرة .. وعلى يسار الصاعد من الإيوان المرقوم باب مربع وهو الباب الذى بصدر الدهليز المرقوم وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق »[٢٥]. وينطبق أيضًا تخطيط مدفن سليمان أغا الحنفى ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م (شكل ١٢) (لوحة ١) مع ما ورد بحجة الوقف التى ذكرت أن المدفن الكبير « به يسرة إيوان كبير معد لقراءة القرآن العظيم والذكر الحكيم وتجاه الداخل للمدفن المذكور سدلاه وبالمدفن المذكور بمنة (تخشيبة) خرط من الخشب النقى بها باب يوصل لجنينة لطيفة بها أنواع الأشجار المتنوعة وبوسط المدفن الكبير تركيبة من الرخام الأبيض .. وبالمدفن الكبير المذكور أعلاه أربعة شبابيك من الخشب الخرط ، وأربعة عمدان من الرخام الأبيض حاملين لسقف المدفن المصنوع شيشه من الخشب النقى المطعم معلق بالسقف المذكور ستة وثلاثون سلسلة من الحديد معلق بكل واحد منهم ثريا من الزجاج الأبيض ، كل ثريا بها قنديل نجف من البلور الصافى الشفاف الكائن ببيت الساعة التى بالمدفن الكبير ... وبالمدفن الكبير مزيرة من الرخام الأبيض معدة لسقى الماء .. »[٢٦].

ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة نذكر كل من : القبة الملحقة بالزاوية الرضوانية بمدينة دمياط ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م ، وقبتى الحديدى والأنصارى بفارسكور ويرجع تاريخهما إلى أواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م وقبة الشيخ عبد الوهاب بن مخلوف بمطوبس ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م[٢٧] (شكل ١٣) .

ومن الواضح أن الغرض من وجود هذه الإيوانات هو استخدامها لجلوس قراء القرآن الكريم والذكر الحكيم ويؤيد ذلك ما ورد فى العديد من الوثائق سواء المملوكية أو العثمانية ومنها حجة وقف سليمان أغا الحنفى السابق الإشارة إليها لا سيما وأن هذه الإيوانات تحتوى على شبابيك ولذلك عرف هؤلاء القراء باسم قراء الشبابيك ، كذلك فإن بعض هذه الإيوانات كانت تحوى أحيانًا المنزل المؤدى إلى فسقية أو فساقى الدفن أسفل أرضية مربع القبة فى تخوم الأرض ، وفى بعض النماذج الأخرى كان يحل محل هذا الإيوان درقاعة صغيرة أو مجاز أرضى منخفض عن أرضية مربع القبة كما هو الحال فى بعض النماذج السابق الإشارة إليها وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط المتميز

للمدافن سواء التى تعلوها القباب أم لا نجد أنه قد عرف فى مصر قبل العصر العثمانى بوقت طويل ومن أمثلة ذلك بعض القباب بجبانة أسوان التى يرجح أنها ترجع إلى فترة عصر الولاة أو على الأكثر إلى القرن ٣هـ/ ٩م ويتمثل ذلك فى مقابر النوع الثالث بنماذجه الثلاثة (ج ١ ، ج٢، ج٣) ويلاحظ أنه يتقدم النموذج الثالث فناء مكشوف[٢٨].

وبعد ذلك تقابلنا بضعة نماذج من العصر المملوكى ، ويتكون بعضها من درقاعة وإيوان كما هو الحال فى قبة مدفن الأشرف كجك (بواجهة الجامع الأزرق بشارع باب الوزير) ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م حيث حل محل المحراب فى الضلع الجنوبى الشرقى إيوان صغير يشرف على داخل مربع القبة بعقد مدبب وبصدر هذا الإيوان شباك يشرف على صحن الجامع (أى الجامع الأزرق) ويوجد على جانبى هذا الشباك خزانتان حائطيتان كما يوجد شباك بكل ضلع من الضلعين الجانبيين (الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى) للإيوان ، أما القبة فهى تعلو الدرقاعة كما هو الحال فى قباب أسوان المشار إليها ، إلا أن هذه النماذج الأخيرة تتميز بوجود إيوانين مقببين وليس إيوان واحد كما فى قبة كجك .

ومن النماذج المملوكية الأخرى نذكر كل من مدفن منجك اليوسفى ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م والمدفن الملحق بمدرسة عبد الغنى الفخرى (جامع البنات) ٨٢١هـ/ ١٤١٨م والمدفن الملحق بجامع القاضى يحيى زين الدين (بالموسكى) ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م ثم قبة الجلال المحلى[٢٩] وهذه القبة الأخيرة المكتشفة حديثا عبارة عن درقاعة وإيوانين وتعلو الدرقاعة القبة القائمة على منطقة انتقال نادرة ، أما الإيوانان فيغطى كل إيوان منهما قبو برميلى كما هو الحال فى قباب أسوان المشار إليها .

وتحتوى بعض القباب المملوكية الأخرى على إيوانات صغيرة فتحت بها شبابيك ومن أمثلتها قبة مدفن جانى بك الأشرفى (بالخيامية) ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م وقبة يعقوب شاه المهمندار (بشارع صلاح سالم تجاه القلعة) ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م، أما قبة مدفن الشيخ على الروبى بالفيوم ١١٢٠هـ/

١٧١٧م (شكل ١٥) فتتميز بوجود أربع دخلات عميقة إلى حد ما (أو إيوانات صغيرة) تحيط بمربع القبة ، وتشرف عليه من خلال بائكة ذات عقدين مدببين بكل دخلة من هذه الدخلات الأربع(٣٠) ويشبه تخطيط هذه القبة ، ولكن مع بعض الاختلاف فى التفاصيل والعناصر ، تخطيط كل من : قبة مدفن صرغتمش ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م من عصر المماليك البحرية وقبة مدفن الأمير إينال اليوسفى ٧٩٤ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢م من عصر المماليك البرجية أو الجراكسة(٣١) ومن القباب المتميزة أيضا قبة الشيخ سنان (بدرب قرمز) (شكل ١٦) ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م وهى عبارة عن مساحة مستطيلة غير منتظمة الأضلاع قسمت إلى قسمين الشرقى منهما ، على يمين الداخل ، يتوسط صدره المحراب ويعلو المساحة المربعة التى تتقدم هذا المحراب قبة صغيرة منطقة انتقالها عبارة عن قبو مروحى مركب ، وقد شغل باطن القبة بزخارف هندسية رائعة قوامها طبق نجمى اثنى عشرى وأجزاؤه .

أما القسم الغربى ، على يسار الداخل ، فيحتوى على أربعة أعمدة مثمنة تعلوها أربعة عقود مدببة تحصر فيما بينها ـ أى فى كوشاتها ـ منطقة انتقال القبة التى تعلو مدفن الشيخ سنان وسنشير إليها فيما بعد .

ومن المعروف أن ظاهرة وجود قبة صغيرة تعلو مربع المحراب تتقدم قبة المدفن الكبيرة قد عرفت قبل العصر العثمانى ومن أمثلتها الباقية ما نراه فى مشهد يحيى الشبيه (بقرافة الإمام الشافعى) حوالى ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م(٣٢) .

كذلك فإن إقامة القبة على أعمدة أو دعامات تعلوها عقود تحصر فيما بينها منطقة انتقال القبة قد عرفت أيضًا قبل العصر العثمانى ، ومن أمثلتها الباقية (ولكن مع الاختلاف فى التفاصيل والعناصر والبراعة فى التنفيذ) قبة المنصور قلاوون ٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ/ ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م(٣٣) وتجدر الإشارة إلى أنه فى بعض النماذج التى تنتمى إلى هذا النمط ، كان يحل محل العقود التى تعلو الأعمدة دعامات حجرية مستطيلة يعلو كل منها كمر خشبى ، وبذلك استطاع المعمار أن يخلق مساحة مربعة معلقة أقيمت فوقها القبة ومن أمثلتها قبة مدفن الليث بن سعد (بالقرافة) ١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م. وينبغى أن نشير

أيضًا إلى نموذج فريد بين قباب العصر العثمانى فى مصر ، وهو مدفن كل من الشيخ محمد بن سلامة العراقى ، والشيخ زين الدين العراقى بادكو[٣٤] قبل ١٠٣١هـ/ ١٦١٧م وجوهر تخطيطه (شكل ١٤) عبارة عن ايوان أوسط صغير مستطيل الشكل مسقوف بسقف خشبى وتوجد على جانبيه قبتان ، بواقع قبة بكل جانب ، ويتوسط صدر كل من الإيوان والقبتين محراب ، وتشرف كل من القبتين على الإيوان من خلال فتحة معقودة بعقد مدبب ، كذلك توجد فى الضلع الشمالى الغربى لكل قبة (تجاه المحراب) فتحة باب تؤدى إلى القبة وبالتالى إلى داخل الإيوان فيما بين القبتين ، أما المحراب الذى يقابل محراب الإيوان من الخارج ، فيما بين البابين، فالراجّح أنه قد حل محل الباب الأصلى الذى كان يؤدى إلى داخل الإيوان .

ومن الأمثلة الباقية لهذا النمط قبل العصر العثمانى ما نراه فى بقايا التربة المعروفة بالسلطانية (أم السلطان حسن) بقرافة السيوطى) حوالى ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م ولكن الفارق كبير فى التفاصيل والعناصر والبراعة فى التصميم والتنفيذ فضلا عن اختلاف طراز كل من قبتى التربة السلطانية فهما يتبعان الطراز المعروف بالقباب السمرقندية[٣٥] .

ومن أنماط المدافن المتميزة أيضًا ما يمكن أن نطلق عليه اصطلاحًا اسم مقاصير الدفن وتحتفظ مدينة القاهرة بنموذج وحيد يرجع إلى العصر العثمانى وهو مقصورة الأمير نوروز المعروفة بإيوان ريحان (بقرافة السيوطى) ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م (شكلا ١٧ ـ ١٨)، (لوحة ٢) .

وقد أمر بإنشاء هذه المقصورة وما بها من الفساقى المعدة للدفن ، كما يتضح من النقش التأسيسى ، الأمير نوروز كيخيا الشاويشية بالديار المصرية[٣٦] .

ولم يتبق من هذه المقصورة سوى أربعة مدافن كل منها عبارة عن مساحة مربعة مغطاه بقبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، وقد اندثرت القبتان الجانبيتان منهما . ويتضح من البقايا الحالية أن هذه المقصورة كانت تشتمل على عدد كبير من المدافن المغطاه بقباب ضحلة ، إلا أنها اندثرت ولم يتبق منها سوى المدافن الأربعة المشار إليها .

وعند تأصيل هذا النمط نجد أنه لم يك شيئًا مستحدثًا خلال العصر العثمانى وإنما كان استمرارًا لسلسلة من المدافن عرفت خلال العصر المملوكى، وبخاصة العصر الجركسى ، وقد أطلق عليها ايضًا اسم المقصورة أو الإيوان فى وثائق الوقف المختلفة(٣٧).

٢. الطراز الثاني: القباب والمدافن المصممة وفق الطراز العثماني:

تحتفظ مدينة القاهرة بجميع النماذج الباقية ، المعروفة حتى الآن ، المصممة وفق ذلك الطراز ويقدر عددها بنحو عشرين قبة ومدفنًا .

وعلى الرغم من قلة هذه النماذج الباقية ، إلا أنه يتضح من خلال ما ورد فى كتابات الرحالة الأجانب ولوحاتهم أن نماذج هذا الطراز كانت منتشرة بدرجة كبيرة خلال العصر العثمانى ولا سيما فى القرافة سواء القرافة الجنوبية أو القرافة الشمالية(٣٨) لوحات ٣٥ ـ ٣٨) .

ويتكون تخطيط هذه القباب وتلك المدافن من أربعة دعامات أو أعمدة تعلوها أربعة عقود مدببة أو نصف دائرية تقوم عليها قبة ضحلة أو سقف هرمى الشكل أو مسنم وأحيانًا سقف خشبى ، وهذه الدعامات أو الأعمدة تقوم إما على الأرض مباشرة ، وإما فى أركان مصطبة أو منصة حجرية ترتفع عن سطح الأرض وتحتوى على المنزل المؤدى إلى فسقية الدفن ويعلو هذه المصطبة أو المنصة تركيبة حجرية أو رخامية إما أن تكسوها زخارف متنوعة غاية فى الروعة والإبداع، وإما أن تترك خالية من الزخارف ، وتحتوى هذه التركيبة على شاهدى قبر أحدهما أمامى والآخر خلفى ، إلا أنه فى بعض الأحيان يحتوى كل ركن من أركان التركيبة على شاهد قبر .

وقد أطلق على هذا الطراز المعمارى عدة مصطلحات منها التربة المفتوحة Open Turbe أو المقبرة ذات السقيفة أو المقبرة الكانوبية Open Canopy Tomb أو المقبرة ذات السرادق أو المظلة Baldaquin وغير ذلك(٣٩).

ونستطيع أن نحصر النماذج الباقية في نمطين رئيسين:

النمط الأول: وهو القباب والمدافن ذات الدعامات، وهذه الدعامات : إما أن

تكون متعددة الأضلاع كما هو الحال فى كل من قبة الأمير برهام وقبة المزنى (بالقرافة) وكلاهما يؤرخ بالقرن ١٠هـ/١٦م (شكل ١٩) وقد بنيت هذه الدعامات بالحجر وهى تقوم على الأرض مباشرة فى القبة الأولى بينما تقوم فى أركان مصطبة حجرية فى القبة الثانية ، وتعلو دعامات القبة الأولى أربعة عقود مدببة بينما هى عقود نصف دائرية فى القبة الثانية ، أما القباب فقد بنيت بالآجر (لوحات ٣٩ ـ ٤١) وإما أن تكون دعامات زاوية على شكل (حرف L) كما هو الحال فى كل من : قبة محمد أغا كوكليان ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م ، ومدفن مصطفى أغا جالق ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م (شكل ٢٠) ومدفن رضوان بك الفقارى ١٠٦٦هـ/ ١٦٣٤م ومدفن القاضى مواهب ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م وأيضًا مدفن مجهول بالقرب من مدفن الإمام الطحاوى ويرجع إلى القرن ١١هـ/ ١٧م .

وتقوم هذه الدعامات على الأرض مباشرة فى مدفن كل من محمد أغا ومصطفى جالق بينما تقوم فى أركان مصطبة حجرية فى النماذج الأخرى ، وتعلو هذه الدعامات عقود نصف دائرية ، وجميع أسقف هذه المدافن هرمية الشكل باستثناء مدفن الأمير محمد أغا كوكليان الذى تعلوه قبة ضحلة مقامة على أربعة مثلثات كروية .

أما النمط الثاني : فهو القباب والمدافن ذات الأعمدة ، وهذه الأعمدة إما أن تكون رخامية مستديرة تقوم على أركان مصطبة حجرية مرتفعة أو على قواعد حجرية مربعة صغيرة ، وتعلو هذه الأعمدة عقود نصف دائرية تقوم عليها إما قباب ضحلة من الآجر أو أسقف هرمية من الحجر ومن أمثلة ذلك مدفن آمنة قادن ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م (لوحة ٤٣) ومدفن مجهول بحوش السنارى ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م وقبة مصطفى جاهين ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م (لوحة ٤٢) وقبة رقية دودو ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م (شكل ٢١) ومدفن عثمان بك القازد على ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م ومدفنا على بك الكبير واسماعيل بك الكبير ١١٧٨هـ/ ١٧٧٣م وإما أن تكون أعمدة حجرية مثمنة تقوم على أركان مصطبة حجرية مرتفعة وتعلوها عقود نصف دائرية تقوم عليها إما قباب ضحلة أو أسقف هرمية أو مسنمة ومن أمثلة ذلك مدفن الأمير رضوان قبل ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م ؛ فضلا عن عدة مدافن أخرى مجهولة المنشئ إلا أن عناصرها المعمارية والزخرفية ترجّح نسبتها إلى القرن ١٢هـ/ ١٨م[٤٠].

وعند تأصيل هذا الطراز المعمارى نجد أنه قد عرف قبل العصر الإسلامى وبخاصة فى سوريا الوسطى وقد ظهرت منه أشكال مختلفة فى عدة مناطق متفرقة منها وترجع نماذجها إلى أوائل القرن ٤ م كما هو الحال فى دانا وسرمدة ورويحا والباره وحاس والجليل الأعلى وجبل سمعان ، كما وجدت فى تركيا نفسها مقبرة رومانية مشابهة فى ميلاس .

ويسقف هذه المقابر أسقف هرمية الشكل أو قباب ، وأحيانا بناء على شكل سرادق أو مظلة ، وبعض هذه المقابر تتكون من طابقين من الأعمدة يعلوهما السقف مباشرة ، والأعمدة فى هذه المقابر تحمل طبانا كما فى دانا ، ويندر استعمال العقود بأعلى الأعمدة فى هذه المقابر[٤١] .

واستمر هذا الطراز فى سوريا خلال العصر الإسلامى أيضا إلا أنه تطور إبان العصرين الأيوبى والمملوكى ومن أمثلة ذلك تربة ابن المقدم والتربة القوامية والتربة الشبلية ٦١٦هـ/ ١٢١٩م[٤٢].

ولم يلبث أن انتقل هذا الطراز إلى المدن التركية المختلفة فى أواخر القرن ٧هـ/ ١٣م ثم تطور حتى اعتبر من مميزات العمارة العثمانية فى النصف الثانى من القرن ٨هـ/١٤م ونذكر من بين نماذج هذا الطراز كل من تربة يعقوب چلبى وسارى سلتق دده فى ازنيق (شكلا ٢٤ ــ ٢٥) وتربة أبناء السلاطين فى أماسيا (شاهزاده لرتربه سى) (شكل ٢٣) ٨١٣هـ/ ١٤١٠م وتربة السلطان مراد الثانى فى بورصة (أو بروسه) (شكل ٢٦) التى تعد من أبدع نماذج هذا الطراز فى تركيا ، وتربة ابه Ebe خاتون مربية السلطان محمد الفاتح وغير ذلك[٤٣].

أما عن نشأة هذا الطراز المعمارى فى مصر فالرأى المتداول والمعروف بين العلماء والباحثين هو أن مصر لم تعرف ذلك الطراز قبل الحكم العثمانى لها ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م[٤٤].

وربط (العالم هوتكير) بين هذا الطراز وبين القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة مثل قبة تنكربغا (بمنشية ناصر) ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م فذكر أن هذا الطراز ما هو إلا تبسيط لهذه القباب ثم لم يلبث أن حدث تطور له خلال القرن ١٢هـ / ١٨م فاستبدلت دعامات الأركان بأعمدة والسقف الهرمى بقبة

صغيرة(٤٥) والواقع أن هذا الطراز المعمارى كان قد وجد طريقه إلى مصر قبل العصر العثمانى بوقت طويل ونستطيع فى ضوء الأدلة التاريخية والأثرية المتوافرة حتى الآن أن نحدد بداية ظهوره خلال العصر الفاطمى ويؤيد ذلك ما ورد فى كتب المزرات من أنه كانت توجد بالقرافة بعض المقابر والترب التى تنتمى إلى هذا الطراز ، ومن بينها تربة كانت تعرف بتربة داعى الدعاة وكانت « تربة عليها عقود وفيها قبور على هيئة المصاطب كلها لأمراء الفاطميين وفيها حظايا الأمراء»(٤٦).

وذكر بن الزيات نقلا عن بن عثمان أنه كان يوجد فيما بين الجوسقين قبر بأربعة أعمدة وأربعة ألواح رخام على هيئة الصندوق مكتوب عليه هذا قبر يحيى بن بكير صاحب الإمام مالك(٤٧).

ويعزز هذه الأدلة التاريخية ويؤكدها دليل أثرى باق حتى اليوم وهو القبة المعروفة بقبة أبى تراب (بالعباسية) أوائل القرن ٦هـ/ ١٢م(٤٨)، وتنتمى هذه القبة إلى هذا الطراز من المقابر فهى عبارة عن أربع دعامات تأخذ شكل (حرف L) تعلوها أربعة عقود مدببة تحصر فيما بينها من الداخل منطقة الانتقال وهى عبارة عن أربع حنايا ركنية ، بواقع حنية فى كل من الأركان ، ويلى ذلك رقبة مثمنة ثم القبة الملساء من الداخل والخارج على السواء (شكلا ٢٢ ، ٢٧).

والراجّح أن هذا الطراز من المدافن قد انتقل إلى مصر إما من سوريا التى نشأ بها هذا الطراز قبل العصر الإسلامى ، ثم استمر بها وتطور خلال العصر الإسلامى وانتقل منها إلى آسيا الصغرى كما سبق القول ، ومن المعروف أن التأثيرات المعمارية والفنية كانت متبادلة بين سوريا ومصر خلال العصور الإسلامية المتعاقبة(٤٩)، وإما أنه انتقل إلى مصر من بلاد المغرب خلال العصر الفاطمى حيث ترجع أقدم النماذج الباقية المعروفة هناك إلى الربع الأخير من القرن ٥هـ/ ١١م ويتمثل ذلك فى قبة سيدى بوخريسان (الكائنة فى نهج بن محمد بتونس) ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م(٥٠).

وقد استمر ذلك الطراز فى بلاد المغرب خلال العصور التالية ، ومن أمثلته

بعض قباب مقابر القلة بفاس وترجع إلى عصر بنى مرين بالمغرب الأقصى[٥١].

هذا ولم يتبق من نماذج هذا الطراز فى العصر المملوكى بمصر سوى نموذج واحد يرجع إلى أواخر العصر الجركسى ، ويتمثل ذلك النموذج فى قبة تقع تجاه مدخل برسباى البجاسى (بقرافة الغفير شرق القاهرة) وقد دفن بها كل من الأميرين العثمانيين سليمان بك وأخيه علاء الدين على بك ولدى أحمد بك ابن السلطان العثمانى بايزيد وذلك عقب وفاتهما بالطاعون سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م[٥٢]، أى قبل الحكم العثمانى لمصر بحوالى أربع سنوات (لوحة ٣٤) .

مما سبق يتضح أن هذا الطراز قد عرف فى مصر قبل العصر العثمانى إلا أن نماذجه الباقية قليلة للغاية بل ونادرة ، وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن الوجود العثمانى فى مصر قد ساعد على انتشار هذا الطراز وكثرة نماذجه ولا سيما بمدينة القاهرة ، كما يتضح من النماذج الباقية السابق الإشارة إليها ومن خلال لوحات كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا القاهرة خلال القرن ١٣هـ/ ١٩م (لوحات ٣٥ ـ ٣٨) .

ومهما يكن من أمر فقد اصطبغت نماذج هذا الطراز الباقية بالقاهرة بصبغة مصرية محلية فى بعض التفاصيل مثل زخرفة القباب والشرافات والبابات (الرمانات الرخامية أو الحجرية وأحيانًا خشبية) وبعض أنواع مناطق انتقال القباب (شكلا ٢٩، ٣١) (لوحتا ٣٥، ٣٩) وغير ذلك .

وختاما فإن هذا الطراز قد عرف أيضًا خلال القرن ١٣هـ/ ١٩م ومن نماذجه القليلة الباقية كل من مقامى العتريس والعيدروس بجوار قبة السيدة زينب (رضى الله عنها) الملحقة بجامعها الشهير بالقاهرة ويرجع تاريخهما إلى ١٢٧٥ ـ ١٢٧٦هـ / ١٨٥٨ ـ ١٨٥٩م[٥٣]، ومن النماذج الباقية خارج مصر نذكر قبة مدفن المؤرخ مجير الدين الحنبلى (بالقدس الشريف) التى أعيد بناؤها عام ١٩٤٢[٥٤]، وهى تعد من أروع وأبدع النماذج الباقية لهذا الطراز بصفة عامة (لوحة ٤٤) .

أما بالنسبة للتراكيب التى تعلو فساقى الدفن بطرازيها المصرى المحلى والعثمانى فسوف نفرد لها دراسة مستقلة لاحقة بمشيئة الله تعالى .

المبحث الثانى : مناطق انتقال القباب :

١ ـ من الداخل : تعد منطقة الانتقال من عناصر الإنشاء الهامة التى قامت بدور بارز فى تطور القباب فى العمارة الإسلامية بصفة عامة وفى العمارة المصرية الإسلامية بصفة خاصة وتنحصر أهميتها فى أنها تساعد على تحويل مربع القبة إما إلى دائرة ترتفع فوقها رقبة مستديرة السطح الداخلى تلتحم مع دائرة القبة التى تعلوها وإما إلى شكل مثمن ترتفع فوقه رقبة سطحها الداخلى يتكون من ثمانية أضلاع وعلى ذلك فمنطقة الانتقال تسهل عملية إقامة القبة فوق مساحة مربعة .

هذا وقد شاع استخدام عدة أنواع من مناطق الانتقال خلال العصر العثمانى وسنعرض فيما يلى لكل نوع منها بالتفصيل مع تتبع تأصيله .

أ. المثلثات الكروية :

وهذه المثلثات إما أن تكون أقطارها الكروية هى نفسها الأقطار الكروية للقباب التى تحملها وفى هذه الحالة تبدو المثلثات كأنها جزء من القبة كما يبدو الجزء الكامل من القبة فوق المثلثات على هيئة قصعة كبيرة أو قطعة كروية ضحلة وإما أن يختلف القطر الكروى للمثلثات عنه للقبة وذلك حتى يمكن عمل القبة من نصف كرة تماما أو أكثر قليلا منه[٥٥].

وتعد أمثلة هذا النوع من مناطق انتقال القباب الجنائزية قليلة بصفة عامة ومنها مناطق انتقال القباب الأربع التى تعلو مقصورة نوروز المعروفة بإيوان ريحان (بقرافة السيوطى) ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م ومنطقة انتقال قبة مدفن يوسف أغا الحبشى (بشارع الماردانى بالتبانة) ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م ومنطقة انتقال قباب كل من الأمير برهام والإمام المزنى والأمير محمد أغا كوكليان ، ومن المعروف أن هذه النماذج الثلاثة الأخيرة تتبع الطراز العثمانى فى تخطيطها كما سبق القول . وعند تأصيل هذا النوع من مناطق انتقال القباب الجنائزية فى مصر فيما قبل العصر العثمانى نجد أن أمثلتها الباقية قليلة أيضا ومنها مناطق انتقال بعض قباب أسوان التى يرجّح أنها ترجع إلى فترة عصر الولاة[٥٦]،

ومنطقة انتقال قبة المدفن الصغير الملحق بمدرسة خاير بك (بباب الوزير) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م ، ومنطقة انتقال قباب مقصورة الدفن أسفل القصر الملحق بمدرسة قرقماس أمير كبير (بقرافة الغفير) ٩١١ ـ ٩١٣هـ/ ١٥٠٥ ـ ١٥٠٧م .

على أن ذلك لا يعنى أن المثلثات الكروية كانت نادرة الاستخدام فى العمارة المصرية الإسلامية بصفة عامة حيث ترجع أقدم أمثلتها المؤكدة إلى العصر الفاطمى وبالتحديد إلى سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ويتمثل ذلك فى منطقة انتقال كل من قبتى الحجرتين أعلى برجى باب النصر ثم قبة دركاة (أو رحبة) باب الفتوح ثم قبة دركاة باب زويلة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م . ومنذ ذلك الوقت (أواخر القرن ٥هـ/ ١١م) وحتى أواخر العصر العثمانى شاع استخدامها للعديد من القباب ولا سيما تلك التى تغطى الأروقة والإيوانات فى بعض المساجد والمدارس والخوانق مثل مسجد الأقمر ٥١٩هـ/ ١١٢٥م وجامع سودون من زادة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م وخانقاه الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ ـ ٨١٣هـ/ ١٣٩٨ ـ ١٤١٠م) وايوان القبلة بمدرسة قانى باى أمير أخور (بالقلعة) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م وغير ذلك أو القباب التى تغطى الدركاوات ومنها، على سبيل المثال ، دركاة المدخل الرئيسى لجامع الظاهر بيبرس ٦٦٥ ـ ٦٦٧هـ/ ١٢٦٦ـ ١٢٦٨م ودركاة مدخل قصر منجك السلحدار ٧٤٧ ـ ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧م ودركاة مدخل مدرسة إينال اليوسفى ٧٩٤ ـ ٧٩٥هـ / ١٣٩١ ـ ١٣٩٢م وغير ذلك[٥٧].

أو القباب التى تغطى بعض الأسبلة ومنها السبيل الملحق بمدرسة خاير بك بباب الوزير ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م والسبيل الملحق بالقبة المعروفة بقبة عصفور (بقرافة الغفير) حوالى ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م وسبيل على باشا المعروف بالسبيل الأحمر (بقرافة الإمام الشافعى) ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م وغير ذلك .

أما الجوامع والمدارس التى صممت وفق الطراز العثمانى فلم تعرف غالبية القباب فيها سوى المثلثات الكروية كمنطقة انتقال لها ومن أمثلة ذلك ما نراه فى كل من جامع سليمان باشا (سارية الجبل) داخل القلعة وجامع الملكة صفية (بالداودية) والمدرسة السليمانية (بالسروجية) والمدرسة المحمودية (بشارع بور سعيد) وغير ذلك .

مما سبق يمكن القول أنه على الرغم من أن المثلثات الكروية كنوع من أنواع مناطق انتقال القباب قد عرفت فى مصر منذ فترة مبكرة إلا أن استخدامها فى القباب الجنائزية ، سواء فيما قبل العصر العثمانى أو خلال ذلك العصر ، كان محدودا وفى ضوء ذلك نرى أنها لم تلعب دوراً بارزاً فى تطور هذا النوع من القباب فى العمارة المصرية الإسلامية .

ب. الحنايا الركنية:

يتكون هذا النوع من مناطق الانتقال من أربع حنايا ركنية فى الأركان الأربعة العليا لمربع القبة ، بواقع حنية بكل ركن ، ومن الأمثلة الباقية ما نراه فى منطقة انتقال كل من قبة الشيخ شرف الدين الكردى الملحقة بجامعه (بالحسينية) ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م ، وقبة الشيخ رمضان الملحقة بجامعه (بعابدين) ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م (شكل ٢٨) وقبة المقصورة الرئيسية بجامع السادات الوفائية (بقرافة التونسى) ١١٩١ - ١١٩٩هـ/ ١٧٧٧ - ١٧٨٤م (لوحة ٣) وقبة سيدى محمد الأنور (بشارع الخليفة قرب مشهد السيدة سكينة) ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م بمدينة القاهرة.

ومن النماذج الباقية خارج القاهرة نذكر ، على سبيل المثال وليس الحصر ، منطقة انتقال كل من قبة أحمد البجم الصغير (بايار) ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م وقبة الشيخ عبد الرحمن أبى شوشة بالجامع الكبير بديروط بحرى فيما بين ١١٠٨ - ١١٤٦هـ/ ١٦٩٧ - ١٧٣٤م. وقبة الخزرجى بديبى ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م وكل من قبة سيدى موسى وقبة العراقى وقبة العمرى وقبة أبى شعرة بمدينة فوه وقبة أبى الريش وقبة عبد العال وقبة الصامت وقبة المحلى بمدينة رشيد فضلا عن القباب المعروفة بالعراقية (بادكو) قبل ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م وقبة الشيخ أبى القاسم المراغى باخميم ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م وقبة الشيخ على العسفانى بالمنشأة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م وقبة شيخ العرب همام أواخر ق ١٢هـ/ ١٨م وغير ذلك[٥٨].

وعند تأصيل هذه الحنايا الركنية نجد أنها قد عرفت قبل العصر الإسلامى[٥٩] وظلت مستمرة فى العمارة الإسلامية وترجع أقدم أمثلتها بصفة عامة إلى النصف الثانى من القرن ٢هـ/ ٨م فى قصر الأخيضر حوالى ١٦١هـ/ ٧٧٧م[٦٠] أما أقدم أمثلتها المعروفة فى القباب الجنائزية فيتمثل فى قبة الصليبية[٦١] (

بسامرا) ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م وفى العمارة المصرية الإسلامية ظهرت هذه الحنايا الركنية خلال العصر الفاطمى ثم استمرت خلال العصر المملوكى ، وبخاصة البحرى ، على الرغم من التطور الكبير الذى شهدته مناطق انتقال القباب فى ذلك العصر[٦٢].

جـ.المقرنصات[٦٣]:

تعد من أهم وأشهر أنواع مناطق الانتقال التى لعبت دوراً بارزاً فى تطور القباب فى العمارة الإسلامية عامة وفى العمارة المصرية الإسلامية خاصة .

ويمكن أن نحصر أنواع المقرنصات التى استخدمت كمناطق انتقال للقباب الجنائزية فى مصر خلال العصر العثمانى فى ثلاثة نماذج . وسنعرض فيما يلى لكل نموذج منها على حده مع تتبع تأصيله :

١.النموذج الأول:

يتكون هذا النموذج من حطتين من المقرنصات الحطة الأولى عبارة عن حنية واحدة تعلوها الحطة الثانية وتتكون من حنيتين .

ونشاهد ذلك فى منطقة انتقال كل من قبة جاهين الخلوتى (أعلى المقطم) ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م وقبة العريان الملحقة بجامعه بشارع باب البحر (١١٧١ ـ ١١٧٣هـ/ ١٧٥٧ ـ ١٧٥٩م (لوحة ٤) بمدينة القاهرة .

ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة منطقة انتقال قبة الشيخ سالم أبى النجاه (بمدينة فوه) ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م إلا أنه يلاحظ أن الحطة الأولى تتكون من حنيتين تعلوهما حنية واحدة فى الحطة الثانية .

وعند تأصيل هذا النموذج نجد أنه قد عرف فى مصر قبل العصر العثمانى بوقت طويل حيث استخدم فى العديد من مناطق انتقال القباب منذ العصر الفاطمى وحتى نهاية العصر المملوكى وينحصر الاختلاف الوحيد فى عدد الحنايا بكل حطة من حطتى منطقة الانتقال فأحيانًا تتكون الحطة الأولى من ثلاث حنايا تعلوها حنية واحدة فى الحطة الثانية[٦٤] وأحيانًا تتكون الحطة

الأولى من ثلاث حنايا تعلوها مثلها فى الحطة الثانية[٦٥] على أن ذلك لا يعنى عدم وجود نماذج مماثلة لنماذج القباب العثمانية المشار إليها ، حيث لا يزال يوجد نموذج فريد بالقاهرة أيضًا وهو قبة يعقوب شاه المهمندار (بشارع صلاح سالم تجاه القلعة) ٩٠١هـ / ١٤٩٥م ومنطقة انتقالها عبارة عن حطتين من المقرنصات بالأولى حنية واحدة تعلوها حنيتان بالحطة الثانية .

٢.النموذج الثاني:

يتكون هذا النموذج فى مجموعه من حطات المقرنصات المتصاعدة لأعلى فى كل ركن من الأركان الأربعة العليا لمربع القبة وتبدأ هذه الحطات من أسفل بعدد كبير من الحنايا لم تلبث أن تقل كلما صعدت لأعلى حتى تنتهى بحنية واحدة ، ومن الملاحظ أن هذا التكوين يشكل فى مجموعه هيئة مثلث .

ونشاهد هذا النموذج فى منطقة انتقال كل من قبة الشيخ سعود (بشارع سوق السلاح) ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م وقبة قره محمد باشا (بميدان صلاح الدين أسفل القلعة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م وقبة الإمام الليث بن سعد (بقرافة الإمام الشافعى) ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م وقبة الشيخ مطهر (بالصاغة) ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م (لوحات ٥ ـ ٧) وقبة الشاطبى ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م بالقاهرة . ويجب أن نفرق ين نمطين مختلفين من أنماط هذا النموذج :

النمط الأول: وهو يتكون من أربع حطات من المقرنصات تبدأ من أسفل بخمسة حنايا وتنتهى بحنية واحدة فى القمة تمثل رأس المثلث ، كذلك يلاحظ أنه يشغل الفراغ المحصور بين حطات المقرنصات والقمريات القندلية البسيطة بأواسط منطقة الانتقال ثلاث حطات من الحنايا المعقودة بعقد منكسر تبدأ بحنية واحدة أسفلها ذيل هابط ثم حنيتين فثلاثة ، ومن الملاحظ أن هذا التكوين يشكل فى مجموعه هيئة مثلث مقلوب (قمته لأسفل وقاعدته لأعلى) أى عكس حنايا الحطات السابقة . ونشاهد ذلك فى منطقة انتقال قبة الشيخ مطهر ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م (لوحة ٧) وعند تأصيل هذا النمط نجد أنه قد استخدم فى العديد من مناطق انتقال القباب المملوكية ومنها منطقة انتقال

قبة كل من أيدكين البندقدارى الثانية ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م وقبة الأشرف خليل ٦٨٧هـ/ ١٢٨٧م وقبة حسام الدين طرنطاى ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م وقبة الناصر محمد بالنحاسين ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م ، وقبة سنجر الجاولى ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م وقبة سنقر السعدى (حسن صدقة) ٧١٥هـ/ ١٣١٥م وغير ذلك[٦٦].

وبتحليل مناطق الانتقال المملوكية المشار إليها نجد أنها تتكون من ثلاث حطات من المقرنصات ذات العقود المنكسرة تبدأ بخمسة حنايا ثم ثلاثة فواحدة فى القمة تمثل رأس المثلث ، وقد شغل الفراغ المحصور فيما بين المقرنصات والنوافذ بأواسط منطقة الانتقال بحطتين من الحنايا المعقودة بعقد منكسر أيضًا تبدأ بحنية واحدة أسفلها ذيل هابط ثم حنيتين وهو الأمر الذى جعل منطقة الانتقال تبدو وكأن كل حطة من حطاتها الثلاث مكونة من خمسة حنايا معقودة بعقد منكسر .

هذا وتمتاز حنايا المقرنصات السابقة بأنها صغيرة الحجم وقد ازداد فيها بوضوح العقد المنكسر وبعضها مجوف وبعضها غائر وتبرز عقودها العليا ليحمل كل صف منها الذى يعلوه ، أما فى قبة الشيخ مطهر فمعظم الحنايا مسطحة باستثناء الحنية التى تمثل رأس المثلث والتى شغل باطنها بزخارف مشعة

النمط الثاني: وهو يتكون من خمسة حطات من المقرنصات يوجد أسفلها ذيل هابط وتبدأ هذه الحطات بسبع حنايا فستة فخمس فثلاث فواحدة فى القمة تمثل رأس المثلث ويتدلى من هذه الحنية أحيانًا دلاية معلقة ، كذلك توجد فى بعض الأحيان فى الكوشتين حنيتان مسطحتان بواقع حنية بكل كوشة أسفلها ذيل هابط ، ويتمثل ذلك النمط فى منطقة انتقال قبة قره محمد باشا ١١١٣هـ/ ١٧٠١م (لوحة ٦) ومن الملاحظ أن حنايا الكوشتين هنا على هيئة الكأس . والواقع أن تشكيل منطقة الانتقال بهذا الشكل الفريد تعد أمثلته قليلة بل ونادرة فى العمارة الإسلامية عامة والمصرية خاصة ونشاهد نموذج لها من عصر المماليك البحرية وهو منطقة انتقال القبة المعروفة بقبة بحرى تنكز بغا (بقرافة السيوطى) حوالى ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م ولكن مع الاختلاف فى بعض التفاصيل والعناصر[٦٧].

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه قد وجدت خارج القاهرة بضعة نماذج تتكون مناطق انتقال القباب فيها من أربعة حطات من المقرنصات ذات العقود المنكسرة أيضًا ولكن تشكيلها يختلف عن تشكيل أنواع النموذج الذى نحن بصدد الحديث عنه حيث نجد أن حنايا الحطات تبدأ من أسفل بعدد قليل ثم يزداد كلما صعدنا لأعلى، أى عكس التشكيل السابق ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة أحمد البجم الكبير (بابيار) حوالى ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م وتتكون من أربعة حطات بالأولى سبع حنايا وبالثانية ثمان حنايا وبالثالثة تسع حنايا وبالرابعة عشر حنايا(٦٨).

النموذج الثالث: يتكون هذا النموذج فى مجموعه من حطات المقرنصات المتصاعدة لأعلى فى كل ركن من الأركان الأربعة العليا لمربع القبة وتبدأ هذه الحطات من أسفل بحنية واحدة سرعان ما يتكاثر عددها فى الحنايا التى تليها وهكذا حتى تصل إلى أكبر عدد ممكن من الحنايا فى الحطة الأخيرة ويوجد أسفل هذه الحطات فى أغلب الأحيان ذيل هابط .

وهذا التكوين يشكل فى مجموعه هيئة مثلث مقلوب (رأسه لأسفل وقاعدته لأعلى) أى عكس المثلثات فى النموذج الثانى السابق الإشارة إليه .

ونشاهد هذا النموذج فى العديد من القباب التى شيدت فى العصر العثمانى وفق الطراز المصرى سواء كانت قباب مستقلة أو ملحقة بغيرها من العمائر . ويمكن تقسيم مناطق الانتقال التى اتبعت هذا النموذج إلى المجموعات التالية :

المجموعة الأولى:

وهى عبارة عن أربعة مثلثات مقلوبة بواقع مثلث بكل ركن من الأركان وقد شغل داخلها بأربع حطات من المقرنصات ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال كل من قبة الأمير سليمان أغا (بحوش تربة برسباى البجاسى بقرافة الغفير) ٩٥١هـ/ ١٥٤٣م وقبة الشيخ سنان (بدرب قرمز ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م (لوحتا ٨ ـ ٩) (شكل ٣٠) ومنطقة انتقال قبة رقية دودو بالقرافة المصممة وفق الطراز العثمانى ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م (شكل ٢٩) بمدينة القاهرة .

المجموعة الثانية:

ويشغل داخل كل مثلث من المثلثات الأربعة خمس حطات من المقرنصات ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة الكلشني ٩٢٦ ـ ٩٣١هـ/ ١٥١٩ ـ ١٥٢٤م وقبة الشيخ عبد الله (بعرب اليسار) أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م وقبة على نجم (بشارع القربية) بعد ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م بمدينة القاهرة . (لوحتا ١٠ ـ ١١) .

ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة نذكر ، على سبيل المثال ، منطقة انتقال كل من قبة القنائى بفوه ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م وقبة الصعيدى (بمحلة العلوى التابعة لفوه) ١١٣٣ ـ ١١٣٦هـ/ ١٧٢٠ ـ ١٧٢٣م وقبة عبد العزيز أبى عيسى بفوه أيضاً وترجع إلى النصف الأول من القرن ١٢هـ/ ١٨م .

المجموعة الثالثة:

ويشغل داخل كل مثلث من المثلثات الأربعة ست حطات من المقرنصات ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة إبراهيم أغا المعروفة بقبة إبراهيم خليفة جنديان (بشارع باب الوزير) ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م .

المجموعة الرابعة:

ويشغل داخل كل مثلث من المثلثات الأربعة سبع حطات من المقرنصات ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة محمود باشا الملحقة بجامعه (بميدان صلاح الدين) ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م بمدينة القاهرة (لوحة ١٣) ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة نذكر ، على سبيل المثال ، منطقة انتقال كل من قبة الأمير جاويش (بالمحلة الكبرى) حوالى ١١٠٠هـ/ ١٦٦٨م وقبة عبد الله المرشدى (بمنية المرشد مركز مطوبس) ١١٣١هـ/ ١٧٢١م .

المجموعة الخامسة:

ويشغل داخل كل مثلث من المثلثات الأربعة ثمانى حطات من المقرنصات ومن أمثلة ذلك قبة أبى جعفر الطحاوى ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م بالقاهرة (لوحة ١٢).

ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة نذكر ، على سبيل المثال ، منطقة انتقال قبة محمد الدوبى بفوه وترجع إلى القرن ١٢هـ/ ١٨م. وعند تأصيل هذا النوع المتطور من مناطق انتقال القباب نجد أنه ظهر أولا فى بلاد الشام خلال العصر الأيوبى وبخاصة بمدينة حلب وعرف باسم السراويل الحلبية وانتقل إلى غيرها من المدن الشامية واستمر مستخدما خلال العصر المملوكى أيضا(٦٩).

ولم يعرف هذا النوع من مناطق الانتقال فى مصر إلا فى أواخر القرن ٧هـ/١٣م وأوائل القرن ٨هـ/١٤م وعلى ذلك فهو يعد من بين التأثيرات الشامية وبخاصة الحلبية على العمارة المصرية فى تلك الفترة ؛ إلا أنه سرعان ما اتخذ هذا النوع من مناطق الانتقال طابعا مصريا خالصًا وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن ٨هـ/١٤م واستخدم هذا النوع بكثرة فى القرن ٩هـ/ ١٥م وأوائل القرن ١٠هـ/ ١٦م حتى أصبح علما على مناطق انتقال القباب المصرية(٧٠).

وقد ساعد هذا النوع من مناطق انتقال القباب على زيادة حطات المقرنصات أكثر من ذى قبل ، وبالتالى ارتفاع منطقة الانتقال والقبة المقامة فوقها ، مما كان له أثره الكبير فى اتقان النسب المعمارية سواء بمنطقة الانتقال أو بالرقبة والقبة وذلك من حيث زيادة الارتفاع بالنسبة للعرض أو من حيث سمك الحوائط نفسها .

وقد استطاع المعمار فى العصر العثمانى أن يتقن هذه النسب المعمارية فى بعض القباب التى بنيت خلال ذلك العصر ومن بينها قبة الكلشنى وقبة الأمير سليمان أغا وقبة محمود باشا وقبة إبراهيم أغا المعروفة بقبة إبراهيم خليفة جنديان بالقاهرة . وينبغى قبل أن ننهى الحديث عن هذا النموذج أن نشير إلى أنه فى بعض الأحيان تخلو هذه المثلثات المقلوبة (السراويل بالمصطلح الحلبى) من حطات المقرنصات المتصاعدة كما هو شائع ومعروف فى جميع نماذج القباب المصرية فى العصرين المملوكى والعثمانى على حد سواء . وتعد الأمثلة الباقية الدالة على ذلك قليلة بل تكاد تكون نادرة إذ لا يوجد منها سوى نموذجان معروفان حتى الآن أولهما هو منطقة انتقال قبة سيدى عقبة بن عامر الملحقة بجامعه (بالقرافة) ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م (لوحة ١٤) ومنطقة انتقال قبة شمس الدين الكتيلى (بالمحلة الكبرى) ١١٣٠هـ/١٧١٧م . وفى ضوء

ذلك يمكن القول بأن كلاً من هذين النموذجين يعيدان إلى الأذهان صورة العديد من السراويل الحلبية الخالية من حطات المقرنصات والتى شاع استخدامها فى غالبية مناطق انتقال القباب فى بلاد الشام منذ العصر الأيوبى وحتى العصر العثمانى .

د. العقود المدائنية (ذات الثلاثة فصوص) :

ظهرت إلى جانب أنواع مناطق الانتقال السابقة عدة أنواع أخرى قُدر لبعضها الذيوع والانتشار ، ولعل من أبرز وأشهر تلك الأنواع هو ما نحن بصدد دراسته وتتكون منطقة الانتقال فى ذلك النوع إما من أربعة عقود مدببة بواقع عقد بكل ركن من الأركان الأربعة العليا لمربع القبة ويحوى كل عقد منها بداخله عقد مدائنى (ثلاثى الفصوص) ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال كل من قبة الشعرانى ٩٧٥هـ/١٥٦٧م (لوحة ١٥) وقبة على الخواص القرن ١١هـ/١٧م .

وقد استخدم هذا النموذج أيضا فى بعض مناطق انتقال القباب فى الجوامع المشيدة وفق الطراز العثمانى ، ومن أمثلتها منطقة انتقال كل من قبة جامع سنان باشا (ببولاق) ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، وقبة جامع محمد بك أبى الذهب (تجاه الأزهر) ١١٨٨هـ/١٧٧٤م[٧١].

ويلاحظ فى النموذجين الأخيرين أن العقود المدببة تحصر فيما بينها ـ أى فى كوشاتها ـ مثلثات مقلوبة (قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى) إلا أنها خالية من حطات المقرنصات .

ونجد أن الأمثلة الباقية لهذا النوع من مناطق الانتقال تقتصر فقط على العقد المدائنى الثلاثى دون العقد المدبب ومن أمثلة ذلك كل من :ـ

قبة عمر أغا (بشارع الوزير) ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م وقبة عبد الرحمن كتخدا الملحقة بالجامع الأزهر ١١٦٨هـ/١٧٥٤م ، وقبة البيومى (بالحسينية) ١١٨٠هـ/١٧٦٦م ، وقبة الشيخ الحفنى (بقرافة المجاورين) ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م (لوحتا ١٦ـ ١٧) .

ويلاحظ فى بعض النماذج السابقة أنه توجد فى كوشات العقود المدائنية حطات صغيرة من الحنايا المسطحة المعقودة ويختلف عدد هذه الحطات من قبة إلى أخرى، ففى منطقة انتقال قبة عمر أغا توجد حطتان بكل كوشة ، الحطة الأولى من حنية واحدة والثانية من حنيتين ويوجد أسفل هذه الحطات ذيل هابط أما فى منطقة انتقال قبة البيومى فتوجد بكل كوشة حطة من حنية واحدة. ويعد هذا النوع من مناطق انتقال القباب استمراراً لما كان متبعًا فى مناطق انتقال بعض القباب فى أواخر القرن ٩هـ/ ١٥م ومن أمثلتها مناطق انتقال قباب الأمير يشبك من مهدى وهى القبة الموجودة عند مدخل قصر القبة (٨٨١ ـ ٨٨٢هـ/ ١٤٧٦ ـ ١٤٧٧م) وقبة معبد الرفاعى التى جددها الأمير يشبك من مهدى ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م ، وقبته الأخرى المعروفة بالقبة الفداوية ٨٨٤ ـ ٨٨٦هـ/ ١٤٧٩ ـ ١٤٨١م[٧٢].

واستخدم هذا النوع أيضاً فى منطقة انتقال قبة زاوية الدمرداش (بالعباسية) وترجع إلى أواخر القرن ٩هـ/١٥م .

ومن الملاحظ أن منطقة انتقال هذه القبة الأخيرة تقتصر فقط على العقد المدائنى الثلاثى الفصوص دون العقد المدبب الموجود فى مناطق انتقال القباب الثلاث السابقة .

هذا ولم يقتصر هذا النوع على مناطق انتقال قباب القاهرة فحسب بل نراه أيضا فى بعض قباب المدن والقرى المصرية الأخرى ، ولكن مع الاختلاف فى بعض التفاصيل ، ومن الأمثلة الباقية نذكر ، على سبيل المثال ، منطقة انتقال كل من قبتى الحديدى والدياسطى (بفارسكور بدمياط) وقبتى العباسى وأبى مندور (برشيد) وقبتى سالم أبى النجاه والشيخ جزر (بالمدينة) بفوه ، أما كل من قبتى الشيخ جزر (بالجبانه) وقبة عبد الله الزهورى (بفوه أيضا) فيلاحظ أنه يوجد أسفل العقد المدائنى بكل ركن مثلث مقلوب (سروال) شغل داخله بحطات المقرنصات، وهو التشكيل الذى لا نجد له ما يماثله بين مناطق انتقال قباب القاهرة الباقية سواء المملوكية أو العثمانية .

ونضيف على ما تقدم فنذكر أن بعض القباب الباقية فى مدن وقرى الوجهين القبلى والبحرى قد اتسمت بالتفرد والندرة أحياناً فى بعض العناصر

والتفاصيل ومن بينها مناطق الانتقال والتى نشاهد نماذج منها ليس لها ما يماثلها فى قباب القاهرة ومن الأمثلة الدالة على ذلك منطقة انتقال قبة الشيخ زبيد (بمنية المرشد ـ مركز مطوبس) وترجع إلى القرن ١٢هـ/ ١٨م ، وفيها تم الجمع بين نوعين من أنواع مناطق الانتقال ، وهما الحنايا الركنية والعقود المدائنية ، بواقع حنيتين بأعلى كل من الركنين الشمالى والجنوبى لمربع القبة وعقدين مدائنيين بأعلى الركنين الآخرين وهما الركن الشرقى والركن الغربى لمربع القبة .

كذلك تجدر الإشارة إلى نموذج البلاطة الأفقية ذات الحافة المستقيمة كمنطقة انتقال لبعض القباب ومن بينها قبة الشيخ ضباب (بفوه) قبل ١١٨٦هـ/ ١٧٧٥م ، وقبة الشيخ عمران باسيوط ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م والقبة الملحقة بجامع العسقلانى بملوى ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م[٧٣].

وإذا كان هذا النموذج لا يقابلنا أيضًا فى قباب القاهرة العثمانية إلا أنه كان معروفًا قبل العصر الإسلامى بل واستمر فى العمارة الإسلامية أحيانًا ومن نماذجه الباقية ما نشاهده فى بعض قباب أسوان التى ترجع إلى عصر الولاة[٧٤]. كذلك يلاحظ أنه يوجد أحيانًا فى بعض النماذج أسفل كل بلاطة مثلث مقلوب ذو حطات مقرنصة ومن أمثلة ذلك ما نشاهده فى منطقة انتقال قبة محمد النجار (بالمنصورة) ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م ومن الواضح أن الغرض من وجود هذه المثلثات ذات الحطات المقرنصة يغلب عليه الغرض الجمالى الزخرفى وليس الغرض المعمارى البحت .

٢.من الخارج (نواصي منطقة الانتقال):

تلعب نواصى منطقة الانتقال من الخارج دورًا كبيرًا فى تحويل القاعدة المربعة إلى شكل ثمانى الأضلاع أو ذى عشرة أضلاع أو ذى أثنى عشر ضلعا تقوم فوقها الرقبة أو القبة مباشرة ويتم ذلك عن طريق شطف النواصى على هيئة تدرجات أو درجات مختلفة أو على هيئة مثلثات (قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى) أو على هيئة أشكال هرمية ناتئة (بارزة) أو الاثنين معًا أو على هيئة حليات معمارية منها المقعر ومنها المحدب .

ويمكن أن نحصر أنواع النواصى الباقية فى بضعة نماذج وذلك على النحو التالى :

.النموذج الأول:

يعد من أبسط أنواع النواصى فهو ينتمى إلى النواصى المدرجة وتعد أمثلة هذا النوع فى العصر العثمانى قليلة ومنها نواصى منطقة انتقال قبة جاهين الخلوتى ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م (لوحة ١٩) ومن المعروف أن هذا النموذج من النواصى قد ظل ملازما للقباب فى العمارة المصرية الإسلامية من العصر الفاطمى إلى أواخر العصر المملوكى[٧٥].

.النموذج الثاني:

وهو عبارة عن أربعة مثلثات مقلوبة (قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى) بواقع مثلث بكل ركن من الأركان ، ومن أمثلته نواصى منطقة انتقال كل من قبة الشعرانى ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م (لوحة ٢٠) وقبة العريان ١١٧١ ـ ١١٧٣هـ/ ١٧٥٧ ـ ١٧٥٩م بمدينة القاهرة .

ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة نذكر على سبيل المثال ، نواصى منطقة انتقال كل من قبة الأمير جاويش (بالمحلة الكبرى) وقبة أبو يزيد البسطامى (بسديمة) وقبة عبد الله المرشد وقبة الشيخ زبيد وقبة عبد الوهاب بن مخلوف (بمطوبس) وقبة العباسى وقبة عبد العال (برشيد) وقبة أحمد العراقى (بادكو) وقبة الخزرجى (بديبى) وقبة البحيرى بفوة وغير ذلك .

وقد قامت هذه المثلثات بتحويل القاعدة المربعة إلى شكل مثمن استقرت عليه الرقبة والقبة وتعد أمثلة هذا النموذج من النواصى قليلة فى العصر المملوكى ومنها نواصى قبة أبو العلا (ببولاق) ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م وإن كانت قامت هنا بتحويل القاعدة المربعة إلى منطقة ذات اثنى عشر ضلعاً .

.النموذج الثالث:

وهو عبارة عن مثلثين مقلوبين ـ فى كل ركن من الأركان الأربعة ـ يحصران بينهما شكلا هرميًا ناتئا (بارزًا) ، ويكاد يكون هذا النموذج هو الشكل الأكثر شيوعًا فى العصر العثمانى ومن أمثلته نواصى كل من قبة الكلشنى ٩٢٦ـ ٩٣١هـ/ ١٥١٩ ـ ١٥٢٤م وقبة الأمير سليمان أغا ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م ، وقبة إبراهيم أغا مستحفظان المعروفة بقبة ابراهيم خليفة جنديان ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م (لوحات ١٨، ٢٥، ٣١، ٣٢) وتمتاز هذه النماذج بدقة التشكيل المعمارى واتقان النسب المعمارية حتى أنها تكاد تكون صورة منقولة عن مثيلتها المملوكية التى سنشير إلى نماذجها فيما بعد .

وتوجد بعض نماذج أخرى إلا أنها أقل من النماذج السابقة فى تشكيلها ونسبها المعمارية ومنها نواصى كل من قبة الشيخ سعود ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م وقبة آلتى برمق قبل ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م ، وقبة سيدى عقبة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م وقبة على نجم بعد ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م وقبة الطحاوى ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م وقبة قره محمد باشا ١١١٣هـ/ ١٧٠١م. (لوحات ٢٣، ٢٦ ـ ٢٨ ، ٣٠، ٣٣) وعند تأصيل هذا النوع من نواصى مناطق انتقال القباب نجد أنه قد عرف فى عصر السلطان المملوكى الجركسى الأشرف برسباى (٨٢٥ ـ ٨٤١هـ/ ١٤٢١ ـ ١٤٣٧م) ، فظهر أولا فى القبة التى بناها للأمير جانى بك الأشرفى ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م بجوار خانقاته بقرافة صحراء المماليك ، ثم استخدمت هذه النواصى بعد ذلك فى كل من القبة المعروفة بالسبع بنات منتصف القرن ٩هـ/ ١٥م وقبة السلطان إينال ٨٥٥هـ / ١٤٥١م ، والقبة المعروفة بقبة قرقماس النصف الثانى من ق ٩هـ/ ١٥م وقبة جانم البهلوان بالسروجية (٩١٦هـ/ ١٥١٠م[٧٦].

وقد قامت هذه النواصى بتحويل القاعدة المربعة إلى شكل ذى اثنى عشر ضلعًا استقرت عليه الرقبة والقبة وهو ما حدث أيضا فى النماذج الثلاثة المشابهة فى العصر العثمانى .

.النموذج الرابع:

وهو يشبه النموذج السابق إلا أنه أكثر تطوراً منه ويتكون هذا النموذج من ثلاثة مثلثات مقلوبة تحصر فيما بينها شكلى هرمين ناتئين (بارزين) مع وجود امتدادين لهما ويحصران أخدودا قليل الغور ونشاهد هذا النموذج فى نواصى منطقة انتقال كل من قبة محمود باشا (بميدان صلاح الدين) ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م (لوحة ٢١) وقبة الكومى ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م (لوحة ٢٤) وقبة الليث بن سعد (بالقرافة) ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م) وقد ظهر هذا النموذج قبل ذلك فى نواصى منطقة انتقال كل من قبة قانى باى الرماح أمير أخور (خلف جامع المحمودية بميدان صلاح الدين) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م وقبة الغورى (بالغورية) ٩٠٩ ـ ٩١٠هـ/ ١٥٠٣ ـ ١٥٠٤م وقبة بيبرس الخياط (بالجودرية) ٩٢١هـ/ ١٥١٥م[٧٧] .

ومن الملاحظ أن النواصى فى النماذج السابقة قد قامت بتحويل القاعدة المربعة إلى شكل ذى ستة عشر ضلعا استقرت عليه الرقبة والقبة .

.النموذج الخامس:

وهو يتكون من حليات قالبية على هيئة انحناءات مقعرة ونتوءات بشكل متوالٍ، ونشاهد هذا النموذج فى نواصى مناطق انتقال القباب المصممة وفق الطراز العثمانى ومنها نواصى كل من قبة الأمير برهام وقبة الإمام المزنى[٧٧] (لوحتا ٣٩ ـ ٤٠) وعند تأصيل هذا النموذج نجد أنه عرف فى مصر (ولكن مع الاختلاف فى بعض التفاصيل فضلا عن دقة التشكيل) خلال العصر المملوكى البحرى وقد ظهر أولا فى نواصى مناطق انتقال المآذن[٧٨] ثم انتقل بعد ذلك إلى نواصى مناطق انتقال القباب منذ أوائل العصر المملوكى الجركسى كما هو الحال فى قبتى خانقاة الناصر فرج بن برقوق (بقرافة الغفير) ٨٠١ ـ ٨١٣هـ/ ١٣٩٨ـ ١٤١٠م ثم تتابعت أمثلته بعد ذلك طيلة هذا العصر كما هو الحال فى نواصى مناطق انتقال قباب كل من المؤيد شيخ وبرسباى (بالصاغة وقرافة صحراء المماليك) وطراباى الشريفى وسودون أمير مجلس وقرقماس أمير كبير

وعصفور وقانصوه أبى سعيد (بالمحجر) ، إلا أن أبدع هذه النماذج وأروعها على الإطلاق نواصى منطقة انتقال قبة السلطان الأشرف قايتباى الملحقة بمجمعه (بقرافة صحراء المماليك) ٨٧٧ ـ ٨٧٩هـ / ١٤٧٢ ـ ١٤٧٤م[٧٩].

٣.أواسط منطقة الانتقال:

من المعروف أنه يشغل أواسط منطقة الانتقال فى أغلب الأحيان فتحات النوافذ أو القمريات وفى أحيان قليلة تخلو من أى منهما ، وقد ارتبط تطور هذه الفتحات بتطور منطقة الانتقال وإن كان هذا لم يمنع وجود استثناءات أحياناً لهذه القاعدة .

ويمكن أن نميز بين نوعين من القمريات شاع استخدامها فى أواسط مناطق الانتقال خلال ذلك العصر وبخاصة بمدينة القاهرة ، فضلا عن بعض القباب فى المدن والقرى المصرية الأخرى .

.النوع الأول:

وهو عبارة عن أربع قمريات قندلية بسيطة بواقع قمرية فى كل ضلع من أضلاع أواسط منطقة الانتقال تتكون كل منها من قمريتين مطاولتين متجاورتين تعلوها قمرية مستديرة ويكاد يكون هذا النوع هو الشكل الأكثر شيوعاً خلال العصر العثمانى ومن أمثلة ذلك أواسط منطقة انتقال كل من قبة الكلشنى ٩٢٦ـ ٩٣١هـ/ ١٥١٩ ـ ١٥٢٤م ، وقبة الشيخ سعود ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م وقبة جاهين الخلوتى ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م وقبة الأمير سليمان أغا ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م ، وقبة آلتى برمق قبل ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م وقبة إبراهيم أغا المعروفة بقبة إبراهيم خليفة جنديان ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م وقبة سيدى عقبة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م وقبة على نجم بعد ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م وقبة الشيخ مطهر (١١٧١ ـ ١١٧٣هـ/ ١٧٥٧ ـ ١٧٥٩م) وقبة عبد الرحمن كتخدا بالأزهر ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م وقبة العريان (١١٧١ ـ ١١٧٣هـ/ ١٧٥٧ ـ ١٧٥٩م) وقبة الحفنى (١١٨١هـ/ ١٧٦٧م) (لوحات ٤ ، ٥ ، ٧ ـ ٨ ، ١٤ ـ ١٧، ٢٥ـ ٢٦، ٣١ ـ ٣٣) : .

وقد غشيت فتحات هذه القمريات إما باحجبة من خشب الخرط أو

باحجبة من الجص المفرغ والمعشق بالزجاج الملون إلا أن بعض التغشيات قد سقطت ومن ثم فقد تركت القمريات مفتوحة وبعضها رم على نفس النسق القديم .

ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة أواسط منطقة انتقال كل من قبة جزر (بالجبانه) بفوه وقبة أبى يزيد البسطامى (بسديمة) وغير ذلك ، وقد ظهر هذا النوع من القمريات قبل ذلك فى العديد من أواسط مناطق انتقال القباب المملوكية ومنها قبة بحرى تنكزبغا وقبة جانى بك الأشرفى (بقرافة صحراء المماليك) وقبة يشبك أخى السلطان برسباى ، وقبة برسباى البجاسى ، والقبة المعروفة بقبة قرقماس وقبة أزرمك وغير ذلك .

النوع الثاني:

وهو عبارة عن أربع قمريات قندلية مركبة ، بواقع قمرية فى كل ضلع من أضلاع أواسط منطقة الانتقال وتتكون هذه القمريات من ثلاث قمريات مطاولة متجاورة ، تعلوها ثلاث قمريات مستديرة . ونشاهد هذا النوع فى أواسط منطقة انتقال قبة محمود باشا الملحقة بجامعه (بميدان صلاح الدين أسفل القلعة) ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م (لوحة ٢١) .

أما فى العصر المملوكى فقد ظهر هذا النوع فى العديد من القباب ومنها قبة نصر الله (كوز العسل) والقبة المعروفة بالسبع بنات وقبة سودون أمير مجلس وقبة عصفور وقبة الزمر وغير ذلك .

هذا ويلاحظ أنه توجد بعض النماذج من أواسط منطقة الانتقال تخلو من وجود القمريات بنوعيها البسيط والمركب ومنها قبة الشيخ سنان ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م وقبة الشيخ عبد الله (بعرب اليسار) أواخر القرن ١٠هـ/١٦م وقبة الطحاوى ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م وقبة الشيخ رمضان ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م (لوحات ٩، ١١ـ ١٢) ونشاهد ذلك أيضا فى بعض أواسط مناطق انتقال القباب المملوكية ومنها قبتا التربة السلطانية (بقرافة السيوطى) وقبة يونس الدوادار (بالحطابة) وقبة حمام المؤيد شيخ وقبة أولاد السلطان قايتباى المعروفة بقبة الكلشنى وقبة الشيخ عبد الله المنوفى وغير ذلك .

المبحث الثالث : الرقبة :

من المعروف أنه يتخلل رقاب القباب غالبًا فتحات نوافذ معقودة بعقود نصف دائرية أو مدببة أو منكسرة وتتبادل مع هذه النوافذ ـ سواء من الداخل أو من الخارج مضاهيات (أى فتحات صماء مسدودة) تماثل فتحات النوافذ فى هيئتها وشكل عقودها .

ويختلف بطبيعة الحال عدد هذه النوافذ وتلك المضاهيات من قبة لأخرى وفى بعض الأحيان تزيد المضاهيات عن النوافذ نفسها ، كذلك يختلف توزيع هذه الفتحات من قبة لأخرى ومن ثم يمكن تقسيمها على النحو التالى :

تحتوى بعض رقاب القباب على أربعة نوافذ فقط وفى مثل هذه الحالة إما أن توضع النوافذ أعلى مناطق الانتقال الأربعة فى الأركان وإما أن توضع أعلى أواسط منطقة الانتقال سواء وجدت القمريات أو لا .

ومن أمثلة ذلك قبة كل من الأمير سليمان أغا ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م وقبة الشيخ سنان ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م ، وقبة الشيخ عبد الله أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م ، وقبة على نجم بعد ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م ، وقبة أبو جعفر الطحاوى ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م وقبة الشيخ مطهر ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م وقبة البيومى ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م وفى بعض أمثلة هذا النوع تتبادل مع النوافذ المضاهيات وقد يكون ذلك برقبة القبة من الداخل فقط كما هو الحال فى قبة الشيخ سعود ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م (لوحات ٧ ـ ٩ ، ١١ـ ١٢، ١٦) .

وقد تتبادل المضاهيات مع النوافذ من الخارج فقط ومن أمثلة ذلك قبة كل من الشعرانى ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م وسيدى عقبة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م وقبة الشاطبى ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م (لوحات ٢٠ ، ٢٨، ٢٩) وفى أحيان قليلة تتبادل المضاهيات مع النوافذ من الداخل والخارج ومن أمثلة ذلك رقبة قبة جاهين الخلوتى ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م (لوحة ١٩) .

وتحتوى بعض رقاب القباب على اثنتى عشرة نافذة ومثلها مضاهيات تتبادل معها من الخارج فقط ومن أمثلة ذلك رقبة قبة آلتى برمق قبل ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م (لوحة ٢٣) .

وتحتوى بعض رقاب القباب الأخرى على ست عشرة نافذة ومن أمثلة ذلك رقبة قبة كل من الكلشنى ٩٢٦- ٩٣١هـ/ ١٥١٩- ١٥٢٤م وقبة إبراهيم أغا مستحفظان المعروفة بقبة إبراهيم خليفة جنديان ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م ، وقبة الحفنى ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م (لوحات ١٠، ١٧ ـ ١٨، ٢٥) .

وفى بعض نماذج هذا النوع تتبادل المضاهيات مع النوافذ من الخارج فقط ومن أمثلة ذلك رقبة قبة محمود باشا الملحقة بجامعه ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م (لوحة ٢١) .

هذا وتعد النماذج السابقة استمرارا لما كان متبعا فى العديد من رقاب القباب المملوكية سواء من حيث عدد النوافذ والمضاهيات أو من حيث توزيعها أو من حيث أنواع عقودها أو من حيث تغشيتها باحجبة من الخشب كما هو الحال فى بعض النماذج العثمانية ومن بينها نوافذ رقبة قبة العريان ١١٧١ ـ ١١٧٣هـ/ ١٧٥٧ ـ ١٧٥٩م (لوحة ٤) .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد أنه يعلو معظم رقاب القباب المملوكية منطقة غائرة قد تكون خالية من النقوش الزخرفية أو الكتابية أو تكسوها الفسيفساء الخزفية[٨٠]. أو البلاطات الخزفية[٨١] أو تنقش بها آيات قرآنية شريفة بخط النسخ البارز وتتضمن آية الكرسى فى أغلب الأحيان .

وقد استمر ذلك التقليد بصوره الثلاث متبعا فى العصر العثمانى ففى بعض القباب تخلو هذه المنطقة الغائرة التى تعلو الرقبة من الخارج من النقوش الزخرفية أو الكتابية ومنها قبة كل من الشعرانى ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م والشيخ سنان ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م ، وقبة الشيخ عبد الله أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م وقبة آلتى برمق قبل ١٠٣٣هـ/ ١٦٣٣م وقبة الشاطبى ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م (لوحات ٢٠ ، ٢٢ـ ٢٣ ، ٢٩) وفى بعض القباب يكسو تلك المنطقة الغائرة

بلاطات خزفية ومنها قبة الأمير سليمان أغا ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م ، وقبة سيدى عقبة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م (لوحتا ٢٨، ٣٢) .

وفى بعض القباب نقشت بتلك المنطقة الغائرة آيات قرآنية شريفة بخط النسخ البارز تتضمن غالبًا آية الكرسى ومنها قبة الكلشنى ٩٢٦ ـ ٩٣١هـ/ ١٥١٤ ـ ١٥١٩م ، وقبة على نجم بعد ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م (لوحتا ١٨، ٢٦) .

ويعلو رقبة قبة الشعرانى من الداخل طراز كتابى يتضمن آيات قرآنية شريفة باللون الأبيض على أرضية زرقاء (الآيتان ٣٦ ـ ٣٧ من سورة النور) .

هذا وقد وجدت مثل هذه الأشرطة الكتابية التى تعلو رقاب القباب من الداخل فى العصر المملوكى أيضا ومن أمثلتها رقبة قبة كل من حسام الدين طرنطاى وقبة زين الدين يوسف وقبة ميضأة جامع ابن طولون ، وقبتى سلار وسنجر ، وقبة على بدر القرافى ، وقبة قراسنقر وغير ذلك .

المبحث الرابع : الخوذة :

على الرغم من طابع البساطة الذى يغلب على معظم القباب السابق الإشارة إليها إلا أنها مع ذلك قد حافظت على مصريتها من حيث هيئة قطاعها الذى لم يخرج عن الشكل الذى كان سائدا قبل ذلك ، إلا نادراً ، وهو الشكل الذى يغلب عليه القطاع المدبب للجزء الكروى والذى يميل أحياناً إلى الشكل البصلى ذى الانتفاخ الخفيف ، فضلا عن أن الرقبة التى تستقر عليها هذه القباب معتدلة الارتفاع .

ولم يشذ عن ذلك سوى بضعة نماذج منها قبة آلتى برمق قبل ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م ، وهى قبة مدببة منبعجة ، وقبة عمر أغا ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م ، وقبة قره محمد باشا ١١١٣هـ/ ١٧٠١م وكلاهما من نوع القباب المنخفضة التى لا رقبة لها (لوحتا ٢٣ ، ٢٧) .

وقد بنيت غالبية القباب الباقية من ذلك العصر بالآجر المغطى بطبقة من الملاط وبنى بعضها الآخر بالحجر ؛ كما أنها ملساء لا يكسو ظاهرها النقوش الزخرفية .

ومن أمثلة ذلك كل من قبة الكلشنى ٩٢٦ـ ٩٣١هـ/ ١٥١٩ـ ١٥٢٤م وقبة جاهين الخلوتى ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م ، وقبة الشعرانى ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م ، وقبة محمود باشا ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م وقبة الشيخ سنان ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م وقبة الشيخ عبد الله أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م وقبة إبراهيم أغا مستحفظان المعروفة بقبة إبراهيم خليفة جنديان ١٠٥٢هـ/ ١٦٢٤م ، وقبة عمر أغا ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م، وقبة على نجم بعد ١٠٨٧هـ/ ١٧٤٥م وقبة العريان ١١٧١ـ ١١٧٣هـ/ ١٧٥٧ ـ ١٧٥٩م بمدينة القاهرة (لوحات ١٨ ـ ٢٧)

ومن الأمثلة الباقية خارج القاهرة نذكر على سبيل المثال ، قباب كل من تميم الدارى (بدنديط) والحديدى والدياسطى (بفارسكور) ومحمد النجار (بالمنصورة) وشمس الدين الكتيلى (بالمحلة الكبرى) وأبى يزيد البسطامى (بسديمة) وكل من الشيخ ضباب والبحيرى وسعد الله وعبد العزيز أبى عيسى بفوه وقبة على العريان بديروط بحرى ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م وغير ذلك .

والواقع أن هذه القباب الملساء سواء كانت من الآجر أو من الحجر ، قد عرفت أيضًا قبل العصر العثمانى كما هو الحال فى قباب أسوان وفى بعض القباب التى ترجع إلى العصر الفاطمى ومعظم القباب الأيوبية وبعض القباب المملوكية ومن بينها القبة المعروفة بقبة قرقماس منتصف القرن ٩هـ/١٥م والقبة المعروفة بقبة السبع بنات منتصف القرن ٩هـ/ ١٥م وقباب الأمير يشبك من مهدى السابق الإشارة إليها وقبة قجماس الإسحاقى ٨٨٥ ـ ٨٨٦هـ/ ١٤٨٠ ـ ١٤٨١م وقبة يعقوب شاه المهمندار ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م ، وقبة قانصوه أبى سعيد بالحجر ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م ، وقبة ازدمر أوائل القرن ١٠هـ/١٦م[٨٢].

أما بقية القباب العثمانية فقد كسيت بشتى أنواع النقوش الزخرفية ، وعلى الرغم من قلة النماذج المتبقية إلا أنها تعيد إلى الأذهان صورة القباب المصرية التى ترجع إلى ما قبل العصر العثمانى .

ويمكن أن نقسم زخارف هذه القباب إلى خمسة أنواع رئيسية يعد كل منها استمرارًا لما كان متبعا فى زخرفة القباب من قبل .

وهذه الأنواع علي الترتيب هي:

١. القباب التي تكسوها التضليعات:

من النماذج الباقية التى كسيت بهذا الاسلوب كل من قبة سيدى عقبة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م ، وقبة الشاطبى ١٢١٧هـ/ ١٨٠٤م بالقاهرة (لوحتا ٢٨ ـ ٢٩) .

وفى قبة سيدى عقبة نجد أن الضلوع البارزة تحصر فيما بينها قنوات مستطيلة غائرة وتعد أمثلة هذا النوع من الضلوع قليلة فى القباب المصرية الإسلامية ومنها قبة تنكربغا (بمنشية ناصر) ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م ، وقبة اينال اليوسفى (بالخيامية) ٧٩٤ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢م ويلاحظ أن الضلوع فى هذه القبة الأخيرة تبدأ من أسفل بميمات بارزة أيضا[٨٣].

أما فى قبة الشاطبى فنجد أن الضلوع تحصر فيما بينها تخويصات رفيعة ومثل هذا الأسلوب كان هو الأكثر شيوعاً فى زخارف القباب المضلعة الباقية خارج القاهرة ومنها قبة الباز بفارسكور وقبة الشيخ على العريان بديروط بحرى ق١٢هـ/ ١٨م وقبة الخزرجى (بديبى) وقبة الأمير جاويش (بالمحلة الكبرى) وقبة عبد الله المرشدى وقبة الشيخ زبيد (بمنية المرشد) وقبة الصعيدى (بمحلة العلوى) وقبة عبد الوهاب بن مخلوف (بمطوبس) ، وغالبية قباب فوه ومنها قبة كل من سالم أبى النجا وهاشم العراقى وعمر البرلسى وسيدى موسى ومحمد الدوبى وعلى أبى شعره وجزر (بالجبانة) وقبة عبد الله الزهورى وغير ذلك وفى الصعيد تقابلنا بعض القباب ذات التضليعات المتصلة مثل قبة الشيخ قنديل ببهجورة أواخر ق١٢هـ/ ١٨م وقبة الشيخ كمال الدين الكنانى بفرشوط ، أو التضليعات المنفصلة مثل قبة أبى القاسم المراغى بأخميم ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م[٨٤].

والقباب المعروفة بالعراقية بادكو وهى من نوع التضليعات الضيقة المنفذة بهندسة متقنة على حد قول (العلامة حسن عبد الوهاب) وكذلك بعض قباب رشيد ولكن مع تفاوت فى سمك التضليع بظاهرها كما هو الحال فى كل من قبة الصامت وقبة محمد العباسى وقبة أبى الريش[٨٥] وتقتصر زخارف بعض قباب رشيد الأخرى على التضليعات فحسب ومنها قبة الشيخ عبد العال وقبة أبى مندور وغير ذلك .

وتجدر الإشارة الى أن بعض قباب مدافن الطراز العثمانى الدارسة كانت تكسوها أيضا التضليعات سواء كانت متصلة أو منفصلة كما يستدل على ذلك من بعض لوحات الرحالة (لوحة ٣٥) .

ومن النماذج المتميزة لهذا الأسلوب الزخرفى خارج مصر قبة مجير الدين الحنبلى بالقدس الشريف (لوحة ٤٤) والتى يمكن أن نعتبرها صدى لطراز بعض القباب المصرية فى العصر المملوكى سواء من حيث الزخرفة التى تشبه مثيلتها فى كل من القبتين الملحقتين بمدرسة أم السلطان شعبان (خوند بركة) (بشارع التبانة بالقاهرة) أو من حيث نواصى منطقة الانتقال التى اتبعت أسلوب الانحناءات والنتوءات الذى عرفته القباب القاهرية خلال العصر المملوكى الجركسى ثم بعض قباب مدافن الطراز العثمانى بالقاهرة أيضًا (لوحتا ٣٩ ـ ٤٠) .

وعند تأصيل هذا الأسلوب من زخارف القباب نجد أنه قد عرف فى العمارة الإسلامية عامة منذ وقت مبكر حيث ترجع أقدم أمثلته الباقية إلى أواخر العصر الأموى(٨٦) أما العمارة المصرية الإسلامية فلم تعرف هذا الأسلوب ، فى ضوء الأدلة الآثارية المتوافرة حتى الآن ، إلا فى العصر الفاطمى ، ومنذ هذا الوقت ظل هو الأسلوب السائد والوحيد فى زخارف القباب حتى أواخر عصر المماليك البحرية بل واستمر خلال عصر المماليك الجراكسة(٨٧) رغم وجود أساليب أخرى جديدة ومتنوعة .

.القباب التي تكسوها الأشرطة الدالية (الزجزاج أو موج البحر) :

من مميزات هذا الأسلوب أنه يصاغ بالنحت الخفيف مما يقلل الضغط على الهيكل ؛ كما أنه يتلاءم بسهولة مع التناقص التصاعدى لسطح القبة المنحنى(٨٨) هذا وتعد النماذج الباقية من العصر العثمانى لهذا الأسلوب قليلة بل ونادرة ومنها بالقاهرة زخارف قبة أبى جعفر الطحاوى (بقرافة الإمام الشافعى) ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م (لوحة ٣٠) .

كذلك زخرفت بعض قباب مدافن الطراز العثمانى وفق هذا الأسلوب ومن أمثلة ذلك قبة رقية دودو (شكل ٣١) ، إلا أنه يلاحظ أن الدالات قد نفذت

بشكل أكبر وأوسع وهو الأمر الذى أدى إلى قلة عدد الأشرطة الدالية فوق سطح القبة المنحنى إذا ما قورن بالنماذج المملوكية أو حتى بمثيله فى قبة أبى جعفر الطحاوى (لوحة ٣٠) .

كذلك توجد بعض العناصر الزخرفية فى الفراغات المحصورة بين أشرطة الدالات عند بدايتها فقط مثل أشكال المعينات والمثلثات ، ومثل هذه العناصر الزخرفية ولا سيما المعينات قد ظهرت على بعض القباب المصرية فى العصر المملوكى والتى تكسوها الدالات أيضا ، ولكن مع الفارق فى التنفيذ والاتقان، فضلا عن أن انتشارها على سطح القبة المنحنى كان أكثر ومن أمثلة ذلك قبة قرقماس أمير كبير وقبة عصفور (بقرافة الغفير شرق القاهرة) من أواخر العصر المملوكى الچركسى .

هذا وقد كان هذا الأسلوب معروفًا أيضًا فى زخارف بعض القباب خارج القاهرة إلا أنها قد هدمت منذ عدة سنوات وكان (العلامة حسن عبد الوهاب) قد أشار إليها وهى كل من قبة عنبر (بالمنزلة) وترجع إلى القرن ١٢هـ/ ١٨م وذكر أنها ذات « زخارف دالية تبدأ بميمات لبست بقاشانى » وقبة أبى النصر القريبة منها والتى ذكر أنها مثلها ومعاصرة لها .

وأشار أيضا إلى أن قبة تاج الدين (بادفينا) مزخرفة بزخارف دالية كذلك[٨٩]. وعند تأصيل هذا الأسلوب الزخرفى نجد أنه قد شاع أولا فى تكسية طواقى المحاريب فى عمائر القاهرة الدينية خلال عصر المماليك البحرية ثم انتقل بعد ذلك إلى زخرفة بعض المآذن فى العصر نفسه ثم لم يلبث أن انتقل إلى زخرفة القباب منذ بداية عصر المماليك الچراكسة وظل سائدًا ومنتشرًا طيلة هذا العصر رغم ظهور أساليب أخرى جديدة أكثر روعة وجمالا ودقة[٩٠].

٣.القباب التي تكسوها الزخارف النباتية:

لم يبق من القباب المزخرفة بهذا الأسلوب سوى نموذج فريد بين قباب العصر العثمانى فى مصر قاطبة وهو قبة الأمير سليمان أغا (بحوش تربة برسباى البجاسى بقرافة الغفير شرق القاهرة) ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م وقوام هذه

الزخارف عبارة عن أوراق نباتية وأنصاف مرواح نخيلية ويحد هذه الزخارف أشرطة حجرية بارزة على هيئة البخاريات . (شكل ٣٢ ، لوحتا ٣١ ـ ٣٢) .

وعند تأصيل هذا الأسلوب فى زخارف القباب نجد أنه قد ظهر قبل منتصف القرن ٩هـ/ ١٥م كما هو الحال فى قبة المدفن الملحق بالمدرسة الجوهرية (بالأزهر الشريف) قبل ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م ثم تتابعت أمثلته حتى نهاية العصر المملوكى الجركسى(٩١) .

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن قبة الأمير سليمان أغا تعد خاتمة القباب الرائعة المزخرفة وفق هذا الأسلوب فى مصر .

٤.القباب التي تكسوها البلاطات الخزفية :

كسيت القباب العثمانية فى مصر بالبلاطات الخزفية إلا أن أمثلتها الباقية قليلة بل ونادرة ومنها بالقاهرة قبة الشيخ سعود (بشارع سوق السلاح) ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م وهى مصممة وفق الطراز المصرى كما سبق القول . ويلاحظ أن جميع بلاطاتها ذات لون واحد هو اللون الأخضر كما أنها ثبتت بواسطة مسامير مدقوقة فى منتصف كل بلاطة(٩٢) (لوحة ٣٣) .

أما الأمثلة الأخرى فهى كل من قباب جامع سليمان باشا (سارية الجبل بالقلعة) ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م وقباب المدرسة السليمانية (بالسروجية) ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م وهما من العمائر الدينية المصممة وفق الطراز العثمانى إلا أن الكسوة الزخرفية لهذه القباب تتبع الطراز المصرى ، وهى ذات لون واحد هو اللون الأخضر أيضا .

هذا ويعد استخدام هذا النوع من البلاطات فى كسوة القباب ، سواء من حيث الطينة أو اللون ، استمرارا لما كان متبعا فى بعض القباب المصرية خلال العصر المملوكى بدولتيه ومن أمثلتها قبة إيوان الناصر محمد بالقلعة (وهو مندرس حاليا) وقبة جامع الناصر محمد بالقلعة(٩٣) وقبة الإمام الشافعى(٩٤) التى جددها الناصر محمد أيضًا ، وأخيرا قبة الغورى التى كانت مغلفة

بالقاشانى الأزرق اللازوردى كما يستدل من الوثيقة[٩٥].

٥ ـ القباب التى تكسوها الزخارف المفرغة أو المخرمة :

تحتفظ القاهرة بمثل فريد لهذا الأسلوب من زخارف القباب نشاهده فى قبة الشيخ عبد الرؤوف المناوى قبل ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م ، ويغلب على هذه الزخارف الأشكال الهندسية التى يغشى ما بينها قطع من الزجاج الملون .

ومن المعروف أن هذا النوع من الزخرفة قد عرف فى مصر منذ العصر الفاطمى، ومن أمثلته الباقية القبة التى تعلو مئذنة بلال (قرب أسوان) القرن ٥هـ/ ١١م ثم قبة مبارك بن كامل بن مقلد الناصرى الملحقة بجامع قوص ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م .

ويوجد فى القاهرة مثل فريد يرجع إلى العصر المملوكى البحرى ونشاهده فى قبة صفى الدين جوهر بالركبية من شارع الصليبة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م .

كذلك شاع هذا الأسلوب الزخرفى فى كسوة قباب الحمامات ومن أمثلتها قبة قاعة محب الدين وقبة حمام بالمسكن الملحق بسبيل خاير بك وقبة جمال الدين وقبة بيت السحيمى وقبة حمام المسافر خانة وغير ذلك[٩٦].

الخاتمة

وبعد فإنه يتضح من خلال ما تقدم مدى أهمية دراسة موضوع «العمائر الجنائزية فى مصر خلال العصر العثمانى» سواء من حيث طرازها المعمارى وتخطيط أنماطها المختلفة أو من حيث عناصرها المعمارية والزخرفية ولا سيما مناطق الانتقال من الداخل والخارج وما يكسو ظاهر القباب (الخوذات) من زخارف متنوعة .

وقد أثبتت الدراسة عدة حقائق ونتائج جديدة يمكن استخلاص أبرزها فى النقاط التالية :

- صممت غالبية القباب والمدافن الباقية وفق الطراز المصرى المحلى الموروث سواء من حيث التخطيط التقليدى المعروف الذى شاع فى تصميم القباب الجنائزية غالبا أو من حيث العناصر المعمارية والزخرفية ، ويقدر عدد النماذج الباقية ، المعروفة حتى الآن ، بنحو مائة وعشرين قبة ومدفنا يتركز أغلبها ويقدر بنحو اثنين وسبعين فى كل من القاهرة (٣٨) وفوه (١٨) ورشيد (١٦) على التوالى أما البقية الباقية ويقدر عددها بنحو ثمانية وأربعين فمنتشرة وموزعة بين عدد من المدن والقرى المصرية الأخرى .
- صممت بعض القباب والمدافن الباقية الأخرى وفق أنماط من التخطيطات المتميزة يعد بعضها استمرار وتطوراً لما كان معروفا فى مصر قبل العصر العثمانى مثل تخطيط كل من قبة يوسف أغا الحبشى وقبة عبد الرحمن كتخدا وقبة ابراهيم أغا مستحفظان المعروفة بقبة ابراهيم خليفة جنديان ومدفن سليمان أغا الحنفى بالقاهرة وكل من قبتى الحديدى والأنصارى بفارسكور ومدفن عبد الوهاب بن مخلوف بمطوبس ومدفن كل من محمد بن سلامة العراقى وزين الدين العراقى بادكو ويعد البعض الآخر شكلا جديدا غير مسبوق فى العمائر الجنائزية الاسلامية عامة والمصرية خاصة كما هو الحال فى تخطيط المدفن الملحق بجامع سليمان باشا (سارية الجبل) بقلعة القاهرة .
- تعد مقصورة الأمير نوروز المعروفة بإيوان ريحان (بقرافة السيوطى جنوب القاهرة) نمطا فريدا بين أنماط المدافن فى مصر العثمانية ، وقد أثبتت

الدراسة أن هذا النمط يعد هو الآخر استمرار لما كان معروفاً خلال العصر المملوكى إلا أنه يلاحظ أن النماذج المملوكية كانت ملحقة بالمجمعات المعمارية التى شاعت خلال ذلك العصر ومن ثم كانت تبدو غير ظاهرة للعيان أما مقصورة الأمير نوروز فغير ملحقة ولذلك تعد أنموذجا لمقاصير الدفن المستقلة فى العمائر الجنائزية الاسلامية عامة والمصرية خاصة وبالتالى فهى تمثل إضافة جديدة وتطورا لمصطلح المقصورة الجنائزية ذلك المصطلح الذى كان يقصد به فحسب السياج الذى يحيط بالتركيبة التى تعلو قبر المتوفى سواء كانت من الخشب أو النحاس أو الفضة أو غير ذلك أما مقصورة الأمير نوروز فهى تمثل نمطا معماريا قائما بذاته .

- تميزت بعض القباب الباقية خارج القاهرة بتنوع أنماطها وبالتفرد والندرة أحياناً فى بعض التفاصيل وأسلوب التنفيذ والتشكيل ولا سيما فى بعض أنواع مناطق الانتقال والزخارف التى لا نجد لها صدى فى طراز القباب القاهرية . والحق إن هذا التنوع وذلك التفرد ليس سمة لهذه القباب فحسب وإنما للعديد من الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية فى كل من طرازى الصعيد والدلتا على السواء والتى لا نجد لها نظيراً فى طراز القاهرة .

- تم لأول مرة فى هذه الدراسة تحقيق اسم المنشئ الأصلى للقبة المعروفة بقبة الأمير سليمان فحسب ، وأثبتت الدراسة أنه الأمير سليمان أغا المماليك السلطانية وليس سليمان باشا الوالى العثمانى صاحب العمائر الكثيرة الباقية فى القاهرة حتى الآن سواء بالقلعة أو شارع السروجية أو بولاق .

- أثبتت الدراسة خطأ الرأى القائل بأن الطراز العثمانى المعروف بطراز التربة المفتوحة لم يعرف فى مصر قبل الفتح العثمانى لها فى عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م حيث وجد هذا الطراز طريقه إلى مصر ، فى ضوء الأدلة التاريخية والأثرية ، المتوافرة حتى الأن ، خلال العصر الفاطمى إلا أن نماذجه الباقية نادرة ومنها نموذج فريد باق بالقاهرة وهو قبة أبى تراب بالعباسية وتؤرخ

بأوائل القرن ٦هـ/ ١٢م ، كما أثبتت الدراسة وجود قبة أخرى تتبع ذات الطراز ولكنها ترجع إلى أواخر العصر المملوكى وبالتحديد إلى ما قبل عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م وهى القبة التى تقع تجاه مدخل قبة برسباى البجاسى (بقرافة الغفير شرق القاهرة) والتى ظلت قبة مجهولة المنشئ والتاريخ حتى أثبتت الدراسة أنها تخص كل من الأميرين سليمان بك وأخيه علاء الدين على بك ولدى أحمد بك بن السلطان بايزيد العثمانى وقد دفنا فيها عقب وفاتهما بالطاعون فى عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م أى قبل الحكم العثمانى باربع سنوات .

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن الوجود العثمانى فى مصر قد ساعد على انتشار هذا الطراز ولا سيما بمدينة القاهرة ، كما يتضح من النماذج الباقية ، ويقدر عددها بنحو عشرين قبة ومدفنا ، ومن لوحات كتب الرحالة ، ومع ذلك فقد اصطبغت نماذج ذلك الطراز بصبغة مصرية محلية فى بعض العناصر والتفاصيل مثل زخارف القباب والشرفات والبابات (الرمانات) وبعض أنواع مناطق انتقال القباب المماثلة لمثيلتها فى القباب المصرية الطراز .

وبعد فانى أرجو أن أكون قد وفقت فى هذه الدراسة ؛ وبالتالى فى استكمال الحلقة قبل الأخيرة من حلقات تطور العمائر الجنائزية فى مصر الإسلامية .

هوامش الفصل الثالث

(١) الجنائز مفردها جنازة وجنز الشيء جنزا ستره ، والجنازة بالفتح : الميت على السرير ، فإذا لم يكن له ميت فهو : سرير ونعش والجنائز بالكسر : الميت بسريره ، وقيل بالكسر : السرير ، وبالفتح : الميت ، وقيل الجنازة : الإنسان الميت ، والشيء الذى قد ثقل على قوم فاغتموا به ، وقيل أنها سميت الجنازة لأن الثياب تجمع والرجل على السرير ، وجنزوا أى جمعوا .. !!

أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسى المعرف بابن سيده المرسى ، المخصص (القاهرة ، مطبعة بولاق ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م جـ٦ ص ١٣٢ ؛ جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور ، لسان العرب (القاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، د. ت ، سلسلة تراثنا ، جـ٧ ص ١٨٩ ؛ أبو الحسن عبد الله بن مفتاح ، شرح الأزهار (القاهرة د. ن ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ، جـ١ ، ص ٣٩٩، محب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى ، شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس (القاهرة مطبعة بولاق ، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) ، جـ٤ ص ١٨ .

هذا وقد تطور مدلول هذه اللفظة واتسع معناها فصارت اصطلاحا يطلق على بعض الأبنية التى أعدت للانسان عقب وفاته سواء ما كان مخصصا منها لغسل جسد المتوفى وتجهيزه وفق أحكام الشريعة الإسلامية ، ثم القيام بتأدية صلاة الجنازة عليه فى مصلى أو مسجد أعد خصيصا لذلك الغرض ومن ثم عرفت هذه الأبنية واشتهرت باسم مغاسل الموتى ومصليات الجنائز ، أو ما كان مخصصًا منها لدفن الإنسان أى مواراة جسده وستره وتنحصر هذه الأخيرة فى نموذجين أولهما : القبر نفسه وثانيهما البناء المقام فوق القبر وقد يكون هذا الأخير عبارة عن مدفن تعلوه قبة غالبًا ، ومن ثم يطلق عليه اسم القبة المدفن ، أو القبة الجنائزية ، أو القبة فقط على اعتبار أنها السمة المميزة للمدفن ؛ ومن ثم أطلق الجزء على الكل ، وأحيانًا يكون البناء على القبر عبارة عن مدفن يعلوه سقف مسطح أو سقف هرمى أو مسنم ، ومن ثم يطلق عليه اسم المدفن فقط سواء فى النقوش التأسيسية أو فى وثائق الوقف المختلفة . وأحيانا يكون المدفن مجرد حوش للدفن يضم عدة تراكيب ، وبعض الملاحق والمنافع ومنها المصطبة لجلوس القراء والسبيل ومكتب السبيل وحوض السبيل وغير ذلك . ومن أنواع أبنية القبور ويدخل فى عداد العمائر الجنائزية أيضًا ما يعرف باسم مقاصير الدفن، وهو ما سنشير إليه فى ثنايا الدراسة بمشيئة الله تعالى.

(٢) حسبنا أن نشير فى هذا الصدد إلى بعض تلك النماذج الفريدة المبتكرة ومنها على سبيل المثال : القباب المخروطية ، أو (الميل) بأنواعها المختلفة ، والقباب السمرقندية ، والقباب ذات المناور أو الجواسق ، والقباب المقرنصة (أو المقربصة فى مصطلح الغرب الإسلامى) وغير ذلك .

انظر : حسن عبد الوهاب ، مميزات العمارة الإسلامية فى القاهرة (ضمن أبحاث المؤتمر الأول للآثار فى البلاد العربية ، (دمشق : د. ن ، ١٩٤٧م) ، ص ١٨٢ ـ١٨٣) ، الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان ، آثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى (طشقند ، د. ن ، ١٩٦٢م) ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها (الرياض : عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٩٨٢م) ص ١٨٣ ـ ١٩٨ ، عطا الحديثى (وآخرون) ، القباب المخروطية فى العراق ، (بغداد ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٤م) ، علاء الدين العانى ، المشاهد ذات القباب المخروطة فى العراق، بغداد : المؤسسة العامة للآثار والتراث ١٩٨٢م)، أو قطاى أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، (استنبول ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، ١٩٨٧م) ، ص ٣٨ ـ ٤٦ .

Tuncer (O. C.), Anadolu kumbetleri, (ankara; Guven Matbaasi), 1986.

(٣) صدرت الدراسة الأولى من هذه السلسلة بعنوان : (القباب فى العمارة المصرية الإسلامية جـ١ القبة المدفن نشأتها وتطورها حتى نهاية العصر المملوكى ، (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) .

وقد عالجت فى هذه الدراسة المسميات المختلفة التى أطلقت على القبور ، وآراء الفقهاء فيما يخص البناء فوقها ، ثم تتبعت نشأة هذا النوع من العمائر الجنائزية فى العمارة الإسلامية عامة ومصر خاصة مع دراسة تحليلية لمراحل تطورها من الناحيتين المعمارية والزخرفية حتى نهاية العصر المملوكى .

(٤) عمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى (المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣٧ ، القاهرة ، ١٩٩٠م) ، ثم أعيد نشر هذا البحث فى كتاب للمؤلف صدر بعنوان : (بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية) ، (الكتاب الأول) ، (القاهرة ، نهضة الشرق ، ١٩٩٦م) ، ص ٢٦٥ ـ ٣١٠ ؛ (ط٢ ، القاهرة ـ مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠٤م).

(٥) هذا وتجدر الإشارة إلى أننى قد فرغت بحمد الله وتوفيقه من اعداد دراسة تحليلية مقارنة للعمائر الجنائزية فى مصر خلال القرن ١٣هـ/ ١٩م ، أى خلال عصر محمد على وأسرته ، وبهذه الدراسة نختتم آخر حلقات تطور هذا النوع من العمائر فى العمارة المصرية الإسلامية ، وسوف تنشر هذه الدراسة فى القريب بمشيئة الله تعالى .

(٦) اعتمدت فى حصر نماذج هذه القباب وتلك المدافن على الزيارات الميدانية من جهة ، وما هو مسجل بفهرس الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة من جهة ثانية ، وما أمكن إضافته إلى قائمة هذا الفهرس بفضل الزيارات الميدانية فضلا عن بعض المراجع العربية الحديثة التى تناولت دراسة العمائر الآثارية المختلفة خارج مدينة القاهرة سواء فى الوجه البحرى أو الوجه القبلى ، ونأمل فى المستقبل (بمشيئة الله تعالى) إضافة المزيد من النماذج غير المسجلة فى عداد الآثار فى المجلس الأعلى للآثار المصرية .

(٧) اختلف العلماء والباحثون حول تحقيق اسم منشئ هذه القبة فقد اكتفى فريق منهم ، وهو الأغلب ، بالإشارة إلى أنها قبة الأمير سليمان فحسب ، وهو الاسم المعروف به والمسجل فى فهرس الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة ، ومن بين هؤلاء نذكر كل من :

حسن عبد الوهاب ، « التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية فى مصر » المجلة العدد ٣٣، السنة ٣ ، القاهرة (سبتمبر ١٩٥٩م) ص ٤٥ . « خانقاه فرج بن برقوق وما حولها » ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٢٣٤ ؛ ربيع خليفة ، فنون القاهرة فى العهد العثمانى ، (القاهرة ، نهضة الشرق ، ١٩٨٤م) ، ص ٣٣. ط٢ ، مكتبة زهراء الشرق (٢٠٠١م)، ص٣٧ .

حمزة عبد العزيز بدر ، أنماط المدفن والضريح فى القاهرة العثمانية، رسالة دكتوراه، غير منشورة ، جامعة أسيوط ، (١٩٨٩م) ، ص ٥٤ .

Briggs (M. S.), Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine (Oxford University Press 1924), P. 138 ;

Kessler (C.), The Carved Masonry Domes of Mediaeval Cairo : (Amercan Univirsity of Cairo, 1976), P. 36 PL, 46 .

* أما الفريق الآخر فيرى أن الأمير سليمان منشئ هذه القبة هو سليمان باشا الوالى العثمانى على مصر .

سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ٥ ، (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٨٣م) ، ص ٩٩.

والحق أنه أمر بإنشاء هذه القبة الأمير سليمان أغا المماليك السلطانية فى شهر محرم سنة ٩٥١ هـ/ ١٥٤٣م ، كما يستدل من النقش التأسيسى الذى كان مسجلا عليها ، وقام بنشره قبل إندثاره ، (Mehren) ، « فى أيام مولانا السلطان الأعظم ... سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمد خان خلد الله ملكه ، أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى الجناب العالى المولوى الأميرى الكبيرى العاملى سليمان أغا المماليك السلطانية العرب بمصر المحروسة أمنه الله وغفر الله بتاريخ شهر محرم سنة ٩٥١هـ.

Mehren (A. F.) Cahirah og Kerafat, I, Del, Kjobenhavn : 1896, P. 59 .

محمد حمزة إسماعيل الحداد ، النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (٢٠٠٢م)، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، حاشية رقم ١٥٧ .

(٨) محمد عبد العزيز السيد ، عمائر مدينة فوة فى العصر العثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٩١م) ، المجلد الثانى ، أشكال ٦٥ ـ ٧٣ .

(٩) محمود درويش ، المساجد الأثرية برشيد المحلة الكبرى ، د. ن ، ١٩٩٣م) ، ص ١٠٨ ـ ١١٣.

(١٠) حسن عبد الوهاب ، « طراز العمارة الإسلامية فى ريف مصر ، مجلة المجمع العلمى المصرى ، المجلد ٣٨ ، جـ٢ ، (١٩٥٦ ـ ١٩٥٧م) ، القاهرة (١٩٦٥م)، ص ٢٨ ـ ٢٩ ، تفيده محمد عبد الجواد ، الآثار المعمارية بمحافظة الغربية فى العصرين المملوكى والعثمانى، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٩٠م) ، ص ١٦٢ ـ ٤٦٤ .

محمد ناصر عفيفى ، القباب الاسلامية الباقية بالدلتا ، رسالة ماجستير ، غير منشورة، جامعة القاهرة (١٩٩٦م) ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(١١) عيسى سلمان (وآخرين) ، العمارات العربية الاسلامية فى العراق ، جـ٢ ، بغداد، دار الرشيد للنشر ، (١٩٨٢م) ، ص ٦٨ .

(١٢) عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الاسلامية ، (جدة ، مركز النشر العلمى، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٩٩٠) ، ص ١٥٠ شكل ١٠٥ .

(١٣) قام فريد شافعى بدراسة قباب أسوان دراسة أثرية تحليلية انتهى منها إلى القول بأنه توجد مجموعة كبيرة من القباب يقرب عددها من ثلاثين على الأقل يمكن أن يقع تاريخها فى فترة عصر الولاة ، وتسبق القرن ٥هـ/ ١١م ، وهو القرن الذى كانت القباب كلها تنسب إليه أو إلى ما بعده .

فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، جـ١ ، عصر الولاة ، ط٢ ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤) ، ص ٥٦٧ .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن عصر الولاة ينتهى عند عام ٢٥٤هـ / ٧٦٨م ، حيث بدأت مصر منذ ذلك التاريخ عهداً جديداً من الاستقلال الذاتى وهو عهد الدولة الطولونية .

أحمد عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الاسلامية ، (القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٩٣) ، ص ٨٩ ؛ وعن أحدث الدراسات المتعلقة بجبانة أسوان انظر ، محمد ناصر عفيفى ، القباب الجنائزية الباقية بصعيد مصر فى العصر الإسلامى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ص٢ ـ ٩٨ .

(١٤) الحداد ، القباب ، ص ٤٠ ، ٧٤ .

(١٥) بدر ، أنماط المدفن والضريح ، ص ٣٩٢ .

(١٦) السيد ، عمائر مدينة فوة شكل رقم ٥١ ، عفيفى ، القباب الإسلامية ، ص ٢٥٥ .

(١٧) حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية، ١٩٤٦ م) ، ص١٧٣؛ حسنى محمد نويصر ، العمارة الإسلامية فى مصر « عصر الأيوبيين والمماليك » (القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٦م) ، ص ١٨٥ ـ ٢٠٨.

(١٨) أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، (بيروت، د. ن ، د. ت) ، المجلد ٤ جـ٨ ، ص ١١٦ ـ ١١٧.

(١٩) عفيفى ، القباب الإسلامية ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢٠) Creswell (K. A. C.) The Muslim Architecture of Egypt, vol, 1, (Oxford University Press), 1952, p. 113 .

(٢١) الحداد ، القباب ، ص ٧٧ .

(٢٢) حجة وقف سليمان باشا ، (أوقاف رقم ١٠٧٤) ، ص ١١ الأسطر : ٩ ـ ١٦ .

(٢٣) بدر ، أنماط المدفن والضريح ص ص ١٨١ ـ ١٨٧ .

(٢٤) شاع إطلاق هذا المصطلح خلال العصرين المملوكى والعثمانى ، كما يستدل من وثائق الوقف المختلفة ؛ فضلا عن بعض النقوش التأسيسية ، والفسقية كما يذكر (ابن

عابدين) هى « كبيت مسقوف يسع جماعة قياماً » ، وقد اتفق الفقهاء على كراهية الدفن فيها لمخالفتها السنة النبوية المطهرة ، الحداد ، القباب ص ص ، ٥٦ ـ ٦٢ .

(٢٥) حجة وقف إبراهيم أغا مستحفظان (أوقاف رقم ٩٥٢) ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٢٦) حجة وقف سليمان أغا الحنفى المحفوظة بالشهر العقارى ضمن سجلات الباب العالى ، سجل رقم ٣١٢ لسنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م الوثيقة رقم ٥٩٦ بالسجل ، الأسطر : ٣٧ ـ ٤٢ .

(٢٧) عبد الوهاب ، طرز العمارة ، ص ص ١٢ ، ٢٣ ، ٣٧ ؛ سعاد ماهر ، محافظات ، ص١٨٠ ، ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٢٨) شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٥٤٩ ، (شكل ٣٣٥، جـ١ ـ ٣ ، شكل ٣٧٨) .

(٢٩) وفقت بفضل الله تعالى إلى الكشف عن هذه القبة داخل مبنى الإدارة العامة للأمن المركزى بالدراسة شرق القاهرة ، وقد نشرت أخبار هذا الكشف فى عدد من الصحف والمجلات المصرية والعربية ، ولهذه القبة أهمية كبيرة آثارية وحضارية وتاريخية وهو الأمر الذى أفرت له دراسة مستقلة مطولة قيد النشر الآن .

(٣٠) سعاد ماهر محمد ، محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ، (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٦م) ، ص ٧٤ ، إبراهيم عامر ، مدينة الفيوم فى العصرين المملوكى والعثمانى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٩م) ص ١٧٣ .

(٣١) الحداد ، القباب ، ص ص ٨٢ ، ٨٤ ، شكلا : ٢٥ ، ٣٢ .

(٣٢) Creswell , The Muslim, PP. 264 - 266, Fig, 161 .

(٣٣) محمد حمزة الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، (القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٣م)، ص ص ١٤٠ ـ ١٥٩ .

(٣٤) عفيفى ، القباب الإسلامية ، ص ٢٦٨ .

(٣٥) الحداد ، القباب ، شكل : ٣٠ لوحة ٩٥ .

(٣٦) نشر هذا النقش التأسيسى كاملا فى دراستين متتاليتين هما :

مصطفى بركات ، دراسة للخط والألقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية للعمائر العثمانية بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ،

جامعة القاهرة (١٩٨٨) ص ٢٠٧ ، بدر ، أنماط المدفن والضريح ، ص ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

(٣٧) انتشرت مثل هذه المقاصير في العديد من المجمعات المعمارية لسلاطين وأمراء المماليك ومن بينها ، على سبيل المثال وليس الحصر ، كل من : تربة الأشرف برسباى ، وتربة السلطان الأشرف إينال ، وتربة القاضي عبد الباسط ، وتربة قرقماس أمير كبير بقرافة صحراء المماليك . هذا ويستدل من خلال ما ورد في الوثائق المختلفة ؛ فضلا عن البقية الباقية من نماذج تلك المقاصير أنها كانت تسقف إما بالأسقف الخشبية ، أو الأسقف الحجرية على هيئة أقبية أو قباب ضحلة .

انظر كلا من : حجة وقف الأشرف برسباى (أوقاف رقم ٨٨٠) ، حجة وقف القاضي عبد الباسط (دار الوثائق القومية ، بكورنيش النيل بالقاهرة رقم (١٣/٨٤)، حجة وقف السلطان إينال (المرحوم محمود حنفى) حجة وقف قرقماس من ولى الدين (أوقاف رقم ٩٠١) .

هذا ولم تقتصر هذه المقاصير ، أو الإيوانات الجنائزية على مجمعات صحراء المماليك فحسب ، بل نجدها أيضا في بعض المجمعات داخل مدينة القاهرة نفسها ، ومن بينها مجمع خاير بك (بشارع الوزير) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م .

حيث أقيم بصدر الحوش الخلفي له « من الجهة المواجهة للداخل إليه ـ أى الحوش ـ إيوان كبير مفروش الأرض بالبلاط به سبع فساقي مبنية في تخوم الأرض برسم دفن الأموات معقودة بالحجر ، وهو مسقف نقيًا على قناطر مبنية بالحجر المشهر مدهون ذلك حريريا ، وبه أربع مقاصير خشب خرطا مامونى ومقصورتان أخيرتان ، وأربع كتيبات وخلوة ومنافع وحقوق ..» .

انظر : حجة وقف الأمير خاير بك (دار الوثائق القومية ، بكورنيش النيل بالقاهرة ، رقم ٢٩٢/ ٤٤) ، ص ٨ أسطر ٥ ـ ٩ .

(٣٨) Description De L'Egypt , Second Efition, Tome Premiere, Paris , (1822) Pls 63 , 3 , 66 .

هذا وقد قام (زهير الشايب) ، بنشر هذه اللوحات ضمن المجلد الأول من لوحات الدولة الحديثة ، ط٢، القاهرة ١٩٩١ (لوحات ٦٣ ـ ٦٦) .

Béchard, M., et Palmieri, M. A., L'Egypte et la Nubie GRand Album, Paris, 1887, Pls, XX, XXV; Lane, E. W, Cairo Fifty Years ago, London, 1896, PP. 124 - 125 .

(٣٩) بدر ، أنماط المدفن والضريح ، ص ٦٥ .
(٤٠) بدر ، أنماط المدفن والضريح ص ص ٣٧٦ ـ ٣٨٥ .
(٤١) الماركى دى فوكيه ، العمارة فى سوريا الوسطى من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلادى، ترجمة محمود فؤاد مرابط (القاهرة د. ن ١٩٤٤م) ، ص ص ٤٩ ـ ٥٠.
(٤٢) عادل نجم عبو « التربة فى العمارة الأيوبية فى سوريا » مجلة سومر ، المجلد ٣٠ ، الجزءان ١ ـ ٢ بغداد (١٩٨٤) ، ص ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة العربية الإسلامية ، خصائصها وآثارها فى سوريا ، (دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ١٩٧٩) ، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٤٣) أوقطاى أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص ص ٢١٣ ـ ٢١٧ .

Wilde (J. H.), Brussa, (Berlin : 1958), pp. 96 - 74 ;

Garbiel (A.), Monuments Turcs D'Anatolie, Tome Deuxiexe, (Paris : 1934), PP. 63 - 64 ;

Unsal (B.), Turkish Islamic Architechure in Seljuk and Ottoman Times, (New-York : 1974), PP. 44 - 46 ;

Istunbul Turbeleri , Vakiflar Dergisi , XVI, (Ankara : 1982), Resim . 5.26.40. 43 .

Otuken (S. Y.), Turkiye De Vakif Abideler Ve Eserler,Iv, (Ankara : 1986), PP. 246 - 247, 253 - 256 ;

Goodwin (G.), Ahistory of Ottoman Architecture, (London : 1971, P. 45, PL, 40 .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن العمائر الجنائزية العثمانية قد عرفت إلى جانب طراز التربة المفتوحة طرز أخرى ، منها الطراز التقليدى ، وهو المربع المغطى بقبة وتتقدمه السقيفة أحيانًا ، ومنها الطرز المثمنة المتعددة الأضلاع ، إلا أن هذه الطرز لم تتأثر بها العمائر الجنائزية بمصر ، وعن هذه الطرز انظر :

Arseven (G. E.), Turk Sanati Tarihi, (Istanbul, Milli Evitim Basimevi, 1986), PP. 482 - 512 .

Aslanaba (O.), Osmanli Devri Mimarisi, (Istanbul : Inkilap Kitabevi 1986), PP. 482 - 512 .

(٤٤) Hautecoeur (L.), Et Wiet (G.), Les Mosquees Du Carie, (Le Caire : 1932), PP. 345 - 346 .

محمد مصطفى نجيب ، العمارة فى العصر العثمانى ، ضمن كتاب القاهرة (مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠م) ص ٢١٤ .

بدر ، أنماط المدفن والضريح ، ص ص ٦٥ ـ ٦٦ ، ٣٦٨ ،

سوسن سليمان يحيى ، عمائر المرأة فى مصر فى العصر العثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة (جامعة القاهرة ١٩٨٨م) ، ص ٤٨٢ .

(٤٥) Hautecoeur Et Wiet , Les Mosquess du Caire, PP. 345 - 346 .

(٤٦) أبو الحسن نور الدين على بن أحمد السخاوى الحنفى تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزرات والتراجم والبقاع المباركات ، تحقيق محمود ربيع ، حسن قاسم ، ط٢ ، (القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٦م) ، ص ١٤٨ .

وقد رجّح (محمد عبد الستار عثمان) أن مصطلح عقود الوارد فى هذا النص الذى أورده السخاوى إنما يعنى الأقبية ، حيث أن انشاءها يكون على هيئة عقود متلاصقة هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإنه ذكر ـ أى عبد الستار ـ أنها لو كانت على هيئة قباب ما استخدم السخاوى هذا الوصف .

محمد عبد الستار عثمان ، « التربة الإيوان من أنماط المبانى فوق القبور فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى » مجلة العصور ، المجلد ٧ ، الجزء ٢ ، الرياض ، دار المريخ ، محرم ١٤١٣هـ/ يوليو (١٩٩٢م) ، ص ص ٢٨٠ ـ ٢٨١

والحق ان هذا الترجيح يعد استنتاجا فى غير محله ، ومن ثم فإن ما بنى عليه أمر يجانبه الصواب إلى حد كبير حيث أن النص واضح وضوحاً لا غموض فيه فى أن التربة عليها عقود أى أقواس أو قناطر ، أما إذا كان المقصود بها الأقبية ففى هذه الحالة كان المؤرخ سيذكر أن هذه التربة « معقودة قبوا » ، وهذا المصطلح ورد كثيراً فى ثنايا وثائق الوقف المختلفة وبعض المصادر التاريخية ، وفى أغلب الأحيان يرد مصطلح العقود المقالية فى العديد من الوثائق وبعض المصادر ، وكان يقصد به القباب الضحلة المقامة على مثلثات كروية غالبًا والأقبية أيا كان نوعها أحيانًا ، انظر، عبد اللطيف إبراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، (ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية المشار إليها سابقًا (القاهرة، ١٩٧٩م) ص ٤٦٤ تحقيق رقم ٣ ، محمد

بن أحمد بن إياس الحنفى ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى، جـ٤ ، ط٢ ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م) ص ٥٦ ، حجة وقف سبيل المؤمنين (أوقاف رقم ٨٨٢ ، ٨٨٤) .

(٤٧) شمس الدين محمد بن الزيات ، الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى ، (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٠٧م) ، ص ٦٤ .

(٤٨) حسن عبد الوهاب ، الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة ، (ضمن أبحاث المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية) المنعقد فى تونس فيما بين : ١٨ ـ ٢٩ مايو ، ١٩٦٣ م ، (القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٦٥م) ، ص ٣٦٥ .

وقد أعيد نشر هذا البحث ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية المشار إليه ص ١٣٥.

(٤٩) انظر حول هذا الموضوع على سبيل المثال ، حسن عبد الوهاب ، التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر ، (الحلقات الدراسية ، الحلقة الدراسية الأولى التى عقدت بالقاهرة فيما بين ٤ ـ ٩ فبراير ١٩٦١ م) ص ص ٨٥ ـ ١٠٥ .

(٥٠) سليمان مصطفى زبيس ، آثار المغرب العربى ، كتاب البعث ، الكتاب ٢٨ (تونس ، د.ن ١٩٥٨م) ، ص ٥٠ .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه القبة قد تعرضت لبعض معالم التغيير والإضافة ، وهو الأمر الذى أفقدها طرازها الأصلى الذى كانت عليه عند إنشائها .

سليمان مصطفى زبيس ، القبة التونسية (ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية المشار إليه ، (القاهرة ، ١٩٧٩م) ، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ شكل رقم ١٦.

وعن النقش التأسيسى للقبة التى أمر بانشائها الأمير عبد العزيز بن خراسان ، وأخيه أبو إلطاهر إسماعيل . انظر :

Zbiss (S. M.), Corpus Des Inscriptions Arabes de Tunisie, lère Partie, (Tunis : 1955), P. 42, Pl. X, N 19 .

(٥١) عثمان عثمان إسماعيل ، تاريخ شالة الإسلامية ، (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٥م) ص ص ٣٢٩ ـ ٣٣٦ ، أشكال (٣١ ، ٣٦، ٣٧) .

(٥٢) ابن إياس الحنفى ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى جـ٤ ، ط٢ (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م) ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٦ .

وتجدر الإشارة إلى أن تربة الأمير برسباى البجاسى كانت بمثابة المثوى الأخير لبعض الأمراء العثمانيين الذين وفدوا إلى القاهرة خلال النصف الثانى من القرن ٩هـ / ١٥م والربع الأول من القرن ١٠هـ/١٦م حيث دفن فى حوشها بعضا من هؤلاء الأمراء فضلا عن أمهاتهم كما يستدل من النقوش الكتابية الجنائزية التى كانت مسجلة بهذه التربة ونشرها (العلامة مهرن) قبل اندثارها .

Mehren , Cahirah Og kerafat, PP. 60 - 61 .

وقد إستمرت هذه التربة تستخدم لنفس الغرض عقب الوجود العثمانى فى مصر ٩٢٣هـ ١٥١٧م بدليل بناء قبة الأمير سليمان أغا بحوشها أيضا ٩٥١هـ/ ١٥٤٣م.

(٥٣) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، جـ٥ ، ط٢ ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٤ ٣٠ .

(٥٤) رائف يوسف نجم (وآخرون) ، كنوز القدس ، (عمان ، منظمة المدن العربية ، مؤسسة آل البيت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ٣١٧ .

(٥٥) شافعى ، العمارة العربية فى مصر ص ص ١٣٩ ، ١٤٢ ، أشكال (٨٤ ـ ٨٧) .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المثلثات الكروية قد ابتكرت قبل العصر الإسلامى وقد عقد (العلامة كريزول) فصلا كبيراً استعرض فيه المراحل المختلفة لنشأة وتطور القباب المقامة على المثلثات الكروية فى مختلف الأقاليم الشرقية والغربية ، وانتهى من بحثه إلى القول بأن أقدم مثل معروف لها يوجد فى قصر النويجس فى عمان ، ويرجع إلى نهاية القرن ٣م فى رأيه (بينما أرجعه بعض العلماء إلى القرن ٢م).

Creswell, Early Muslim Architecture, Vol, 1, (Oxford University Press, 1940, PP. 450 - 471 .

(٥٦) شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٥٩٩ . وتجدر الإشارة إلى أن أقدم النماذج الباقية للقباب المقامة على مثلثات كروية فى العمارة الاسلامية عامة ترجع إلى أواخر العصر الأموى وتتمثل فى منطقة انتقال قبة الحجرة الساخنة . (بيت الحرارة فى المصطلح المصرى والجوانى فى المصطلح الشامى) بكل من حمامى قصير عمره وحمام الصرح .

كمال الدين سامح « تطور القبة فى العمارة الإسلامية » ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد ١٢ ، جـ١ ، (مايو ١٩٥٠م) ص ٥ .

(٥٧) صالح لمعى مصطفى ، التراث المعمارى الإسلامى فى مصر ، (بيروت ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٥م) ، ص ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٥٨) سعاد ماهر ، محافظات ، ص١٤٤ - ١٤٥ ؛ عفيفى ، القباب الإسلامية ص ص ٢٧٣ - ٢٧٥ ؛ القباب الجنائزية ، ص٥١٢ - ٥١٣ .

(٥٩) اختلف العلماء فيما بينهم بشأن ابتكار هذه الحنايا الركنية ، وإلى أى الحضارات يرجع فضل السبق فى هذا الابتكار ، وقامت على أساس ذلك نظريات كثيرة ، إلا أن أكثر هذه النظريات قبولا وانتشاراً حتى الآن هى تلك النظرية التى انتهت إلى القول بأن الحنايا الركنية ابتكرت فى العمارة الساسانية فى بلاد فارس ومن أمثلتها قباب القصور الساسانية الشهيرة مثل : فيروز آباد ، وسرفستان ، وشيرين ، وفراشاباد .

عن هذه النظريات ومناقشتها وما انتهى إليه الرأى انظر ؛

أحمد فكرى ، المسجد الجامع بالقيروان ، (القاهرة ، دار المعارف ١٩٣٦م) ، ص ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٦٠) شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ص ٤٠ .

وتجدر الإشارة إلى أن الحنية فى ذلك المثل المبكر عبارة عن هيئة طاقية أو نصف قبة صغيرة مدببة القمة ، ومن الأمثلة التالية كل من باب العامة ، وهو المدخل الرئيسى لقصر الجوسق الخاقانى ٢٢١هـ/ ٨٣٦م وفيه تظهر هذه الحنية بهيئتها الناضجة التقليدية المعروفة وذلك على هيئة حنية مجوفة تتوجها طاقية مدببة ، وقبة المحراب بجامع القيروان التى ترجع إلى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م كما يرى أحمد فكرى أو ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م كما يرى كريزول ، أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥م) ، ص ١٦٣؛ المسجد الجامع بالقيروان ص ١٠٢ .

Creswell ,Early Muslim, P. 323 .

(٦١) عيسى سلمان ، العمارات العربية جـ٢ ، ص ٧١ - ٧٢ ، عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص ١١١ .

(٦٢) ومن بين أمثلتها مناطق انتقال قباب كل من الرواق الأول بمقدم جامع الحاكم ومشهد الجيوشى . عبد الرازق تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ص ٢٣٨ ، ٤٧ - ٢٤٨ ، والقباب السبع ومشهد آخوة يوسف وقبة الحصواتى وبعض قباب أسوان من العصر الفاطمى ؛

وكل من قبة محراب الجامع الأزرق ، وقبة تنكزبغا ، وقبة كجك وكل من قبتى مدرسة أم السلطان شعبان من العصر المملوكى البحرى .

للمزيد من التفاصيل انظر ، الحداد ، القباب ص ص ٩٣ ، ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٦٣) تطورت المقرنصات ، كنوع من أنواع مناطق الانتقال ، عن الحنايا الركنية المفردة وذلك بمضاعفة عدد حطاتها ، أى صفوفها رأسيا أو أفقيا ، ومن ثم أطلق عليها اسم المقرنصات ، وهى فى هذه الحالة تعتبر ذات هدف انشائى بحت لا سيما وأنها أضحت من أبرز مناطق انتقال القباب فى العمارة الإسلامية عامة والمصرية خاصة .

وفى ضوء ذلك لا يصح مطلقًا التعبير عن الحنايا الركنية المفردة (الاسكونشات) بمصطلح المقرنصات كما هو شائع فى بعض الدراسات العربية والأجنبية ، ومن ثم فإن ذلك المصطلح ، أى المقرنصات يقصد به فقط النماذج المكونة من حطتين فأكثر ، وتوجد منها أنواع وأنماط عديدة فى المشرق والمغرب على السواء . (كامل حيدر ، العمارة العربية الإسلامية ، الخصائص التخطيطية للمقرنصات ، بيروت ، دار الفكر اللبنانى ، ١٩٩٤م) ص ص ٣١ ـ ١٢٥ ، أشكال ٩ ـ ٥٣ .

(٦٤) ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قباب كل من الشيخ يونس ، وعاتكة ، والجعفرى والسيدة رقية ويحيى الشبيه من العصر الفاطمى .

مصطفى عبد الله شيحة ، الآثار الإسلامية فى مصر ، من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٢م) ص ١٤٥ ، ومن النماذج الباقية خارج القاهرة القبة الملحقة بجامع قوص ٥٦٨هـ / ١١٧٢م . الحداد ، القباب ، لوحة ١٠ .

(٦٥) ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال كل من قبتى الخلفاء العباسيين ، وشجر الدر من العصر الأيوبى .

شيحة ، الآثار الإسلامية فى مصر ص ٢٣٣ ، ٢٥٠ .

سوسن سليمان يحيى ، منشآت السيف والقلم فى الجهاد الإسلامى ، العمارة الأيوبية ، (القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٩٤م) ص ١٤١ ـ ١٥٤ .

آمال العمرى وعلى الطايش ، العمارة فى مصر الإسلامية ، العصرين الفاطمى والأيوبى ، (مكتبة الصفا والمروة ، ديرب نجم الشرقية ١٩٩٦م) ، ص ص ١٦٩ ، ١٨٠.

(٦٦) الحداد القباب ، ص ١٠٥ لوحات ٣٠ ـ ٣٨ .

(٦٧) الحداد ، القباب ، ص ١٠٨ لوحة ٤٢ .

(٦٨) عفيفى ، القباب الإسلامية ، ص ٢٨١ .

(٦٩) ومن أمثلة ذلك مناطق انتقال القباب فى كل من مدرسة شاد بخت بحلب ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م ومجمع الفردوس بحلب ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م ، وكل من المدرسة الظاهرية والقليجية ، والتربة القيمرية ، وجامع الحسنين بحماة وغير ذلك .

عبو ، التربة فى العمارة الأيوبية ، ص ص ٧٩ ـ ٨٠ الرباط فى العمارة الأيوبية فى سوريا ، الكتاب الذهبى للاحتفال الخمسينى بالدراسات الآثارية بجامعة القاهرة عدد خاص من مجلة كلية الآثار جـ٢ ، القاهرة (١٩٨٧م) ص ٤٢ ، شكل ٤ .

(٧٠) عن النماذج المملوكية الباقية بالقاهرة . انظر :

الحداد ، القباب ١١٠ ـ ١١٩ لوحات ٤٤ ـ ٦١ .

Franz Pasha, Kairo, (Leipzig : 1903), PP. 107 - 108 .

Devonshire (R. L.), L'Egypte Musulmane et Les Fondatures De Ses Monuments (Paris : 1926), PP. 138 .

سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٥ ، لوحتا ٥٠ ، ١٢٢ .

(٧٢) سامى عبد الحليم امام ، الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٩٦). ص ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

Abouseif (D. B.), Four Domes of the Later Mamluk Period, Annales Islamologiques, Tome, Xvii, (Le Caire : 1981), PP. 195 - 200 .

وعن الآراء المختلفة التى اثيرت حول هذا النوع من مناطق الانتقال ومصدر اشتقاقها انظر ، الحداد ، القباب ، ص ص ١٢٢ ـ ١٢٤ .

(٧٣) عفيفى ، القباب الإسلامية ، ص ص ٢٧٠ ـ ٢٩٥ ؛ القباب الجنائزية ، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

(٧٤) شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٥٣٣ .

(٧٥) الحداد القباب ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ، لوحات ٧٢ ـ ٧٤ ، ١٠٧ .

(٧٦) محمد مصطفى نجيب ، دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال المندثر والسبيل الحالى للسلطان قايتباى بالحرم الشريف بالقدس ، (القاهرة ، مطبعة حسان ١٩٨٢ م) ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

Creswell, Abrief Chronology of the Monumemnts of Egypt TO A. D. 1517, (B. I. F. A. O, To Mexvi , (Cairo 1919), PP. 132 - 133 .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من النواصى قد ظهر فى العديد من مناطق انتقال القباب فى كل من آسيا الوسطى وآسيا الصغرى كما هو الحال فى بعض قباب أذربيجان وقيصرية وغير ذلك .

Aslanaba, Turk Sanati, (Istanbul, 1984), PP. 80 - 81 , 156, 169, 199, 201 .

(٧٧) الحداد ، القباب ، ص ١٣١ ، لوحات ١٢٠ ـ ١٣٠ ، ١٤٤ .

(٧٨) ومن أمثلة ذلك كل من مئذنة بشتاك ومئذنة الخضيرى ، ومئذنة أيدمر البهلوان ، ومئذنة السنبغا البويكرى من عصر المماليك البحرية ، وكل من مئذنتى قانى باى المحمدى ، وتمراز الأحمدى من عصر المماليك الجراكسة .

محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٥٠٢ .

(٧٩) عن نماذج القباب المملوكية انظر :

الحداد ، القباب ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ، لوحات ١٠٨ ، ١١٠ ،١١ ،١١٦ ـ ١١٩ ،١٢٦ .

(٨٠) ومن أمثلة ذلك رقبة كل من قبة سبيل الناصر محمد (بالنحاسين) ، وقبة أصلم البهائى السلحدار وقبة أم أنوك من عصر المماليك البحرية .

حسن عبد الوهاب « القاشانى فى الآثار العربية بمصر » مجلة الهندسة ، السنة ١٤ ، العددان ١١ ـ ١٢ ، القاهرة (١٩٣٤م) ، ص ٣٩ ـ ٣٩٣ .

Creswell, The Muslim Architecture, Vol, 2, P. 72 .

(٨١) ومن أمثلة ذلك رقبة كل من قبة طشتمر (حمص أخضر) من عصر المماليك البحرية وقبة ابن غراب من عصر المماليك الجراكسة .

سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٣ ، ص ٢٤٦ .

ربيع حامد خليفة ، البلاطات الخزفية العثمانية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٧٧م) ، ص ٥٢ ـ ٥٣ ؛ فنون القاهرة ، ط٢ ، ص٣١ .

(٨٢) عن نماذج هذه القباب انظر ،

الحداد ، القباب (لوحات ٧٠ ، ١٣٧ ـ ١٤٣) .

(٨٣) تجدر الإشارة إلى أن هذا التحليل الفنى لزخارف قبة إينال اليوسفى يخالف ما أشار إليه البعض من أن زخرفة هذه القباب تمثل نموذجًا جديدًا لزخرفة القباب لم يكن معروفًا من قبل ويتمثل ذلك فى استخدام الجفت اللاعب ذى الميمات الذى تنطلق منه أضلاع بارزة بالتعاقب مع أضلاع غائرة .

نويصر ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص ٢٩٢ ؛ والحق ان هذه الزخرفة لا يظهر فيها الجفت اللاعب وإنما تظهر فيها الميمات البارزة فحسب ، والتى تلتحم مع بداية الضلوع البارزة كما سبق القول ، وعلى ذلك تعد تطورًا لما وجد فى زخارف قبة تنكز بغا (بمنشية ناصر) والتى تخلو من وجود الميمات البارزة ببداية الضلوع من أسفل .

انظر : الحداد ، القباب (لوحتا ٩١ ـ ١٠١) .

وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن زخارف قبة سيدى عقبة تعد صورة مكررة لقبة تنكز بغا (بمنشية ناصر) .

(٨٤) سعاد ماهر ، محافظات ص١٤٤ ـ ١٤٥ ، ١٨٢ ؛ عفيفى ، القباب الإسلامية ، ص ٣١٩ ؛ القباب الجنائزية ، ص٥٧٩ ـ ٥٨٠ ، ٥٨٥ .

(٨٥) عبد الوهاب ، طرز العمارة ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(٨٦) تعد قبة حمام الصرح (حوالى ١٠٧ ـ ١١٢هـ / ٧٢٥ ـ ٧٣٠م) أقدم مثل باق معروف حتى الآن للقباب ذات الضلوع فى العمارة الإسلامية بصفة عامة ، ومن الأمثلة التالية قبة قصر الأخيضر حوالى ١٦١هـ / ٧٧٧م ثم قبة محراب القيروان ٢٢١هـ/ ٨٣٦م أو ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م ، ثم قبة محراب جامع الزيتونة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م .

شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ص ص ١٧٨ ـ ١٧٩ ، زبيس ، القبة التونسية ص ص : ٩٦ ـ ٧٩ ، ١٠٠ ، عبد الوهاب، الآثار الفاطمية ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ، عيسى سلمان ، العمارات العربية ، جـ٢ ، ص ٢٧ لوحة ٩ .

(٨٧) الحداد ، القباب ، ص ١٦٤ ، (لوحات ٧٢ ـ ١٠٦).

(٨٨) كسلر (كريستل) ، زخارف قباب القاهرة ، ترجمة شهيرة محرز ، مجلة فكر وفن، (يصدرها البرت تايلا وآنا مارى شيمل) عدد خاص بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى لمدينة القاهرة (١٩٦٩م) ص ٢٧ .

(٨٩) عبد الوهاب ، طرز العمارة ، ص ٢٣ ، ٣٧ .

سعاد ماهر ، محافظات ، ص١١٩ .

(٩٠) عن تأصيل هذا الأسلوب الزخرفي ونماذجه الباقية بالقاهرة انظر :
الحداد ، القباب ، ص ص ١٦٥ ـ ١٦٨ ، (لوحات ١٠٧ ـ ١٢٠) .

(٩١) محمد مصطفى نجيب ، العمارة في عصر المماليك (ضمن كتاب القاهرة ، مؤسسة الأهرام ١٩٧٠) ، ص ص ٢٩ ـ ٢٤٠) ؛ دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٩٢) خليفة ، فنون القاهرة ، ص ٣١ .

(٩٣) عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٣١٧ ، التأثيرات العثمانية ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٩٤) Creswell , The Muslim , PP. 71 - 72 .

(٩٥) عبد اللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٥٦م) ص ٨٣ ، محمد فهيم ، مدرسة السلطان قانصوه الغوري ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٧٧) ، ص ٢٠٨ .

(٩٦) Abdel-Wahhab (H.), Dome Decorations By Means of Pierced Openings, Studies in Islamic Art And Architecture in Honour of (K. A. C. Creswell) (Cairo, 1965), PP. 96-104, Figs. 5 - 14 .

ثبت الأشكال واللوحات

أولاً : الأشكـال :

١ ـ مسقط أفقى لقبه الأمير سليمان أغا (بقرافة الغفير شرق القاهرة) عن المجلس الأعلى للآثار المصرية.

٢ـ مسقط أفقى لقبه الشيخ جزر بقره (عن محمد عبدالعزيز) .

٣ـ مسقط أفقى لقبه الأمير جاويش بالمحلة الكبرى (عن تقيدة عبدالجواد) .

٤ـ مسقط أفقى لقبه أبى تميم الدارى بدنديط (عن : محمد ناصر عفيفى) .

٥ـ مسقط أفقى للقبة بتكية ، الكلشنى (بشارع تحت الربع بالقاهرة) (عن درويس أبو سيف) .

٦ـ مسقط أفقى للقبة الملحقة بجامع المحمودية بالقاهرة (عن المجلس الأعلى للآثار) .

٧ـ مسقط أفقى للقبة الملحقة بجامع آلتى برمق بالقاهرة.

٨ـ مسقط أفقى للقبة الملحقة بجامع النميرى بفوه (عن : محمد عبدالعزيز) .

٩ـ مسقط أفقى للقبة الملحقة بجامع العباسى برشيد (عن محمود درويش) .

١٠ـ مسقط أفقى للمدفن الملحق بجامع سليمان باشا (ساريه الجبل بقلعة القاهرة) (عن موسوعة القاهرة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية) .

١١ـ مسقط أفقى لقبه عبدالرحمن كتخدا الملحق بزيادته بالأزهر الشريف (عن المجلس الأعلى للآثار).

١٢ـ مسقط أفقى لمدفن سليمان أغا الحنفى بالأباجية (عن محمود الحسينى) .

١٣ـ مسقط أفقى لمدفن عبدالوهاب مخلوف بمطوبس (عن محمد ناصر عفيفى) .

١٤ـ مسقط أفقى لمدفن كل من محمد بن سلامه العراقى وزين الدين العراقى بادكو (عن محمد ناصر عفيفى).

١٥ـ مسقط أفقى لقبه الشيخ الروبى بالفيوم (عن إبراهيم عامر) .

١٦ـ مسقط أفقى لقبه الشيخ سنان بدرب قرمز بالقاهرة (عن حمزه عبدالعزيز) .

١٧ـ مسقط أفقى لمقصورة الأمير نوروز المعروفة بإيوان ريحان (بقرافة السيوطى بالقاهرة) .

١٨ـ قطاع لمقصورة الأمير نوروز .

١٩ـ مسقط أفقى لقبه المزنى (عن : حمزه عبدالعزيز .

٢٠ ـ مسقط أفقى لمدفن مصطفى أغاجالق (بقرافة السيوطى بالقاهرة) .

٢١ـ مسقط أفقى لقبه رقية دودو (عن : سوسن سليمان) .

٢٢ـ مسقط أفقى لقبه أبي تراب بالعباسية .

٢٣ ـ مسقط أفقى لتربه أبناء السلاطين فى أماسيابتركيا (شاهزاده لرتربه سى) .(عن GABRIEL :) .

٢٤ـ مسقط أفقى لتربة يعقوب چلبى فى ازنيق بتركيا (عن : ÖTÜKEN) .

٢٥ـ مسقط أفقى لتربة سارى ستلق فى ازنيق بتركيا (عن : OTUKEN) .

٢٦ـ مسقط أفقى لتربة السلطان مراد الثانى فى بورصة (أوبروسه) بتركيا (عن : WILDE) .

٢٧ـ قطاع رأسى أ ـ ب لقبه أبى تراب بالعباسية .

٢٨ـ قطاع ب ـ ب للقبة الملحقة بجامع الشيخ رمضان بعابدين بالقاهرة (عن المجلس الأعلى للآثار) .

٢٩ـ قطاع رأسى أ ـ ب لقبه رقية دودو (عن سوسن سليمان) .

٣٠ ـ قطاع رأسى لقبه الأمير سليمان أغا (عن المجلس الأعلى للآثار) .

٣١ـ واجهه قبه رقية دودو (عن سوسن سليمان) .

٣٢ـ الواجهة الغربية لقبة الأمير سليمان أغا (عن : المجلس الأعلى للآثار) .

ثانياً : اللوحات :

١ـ مدفن سليمان أغا الحنفى (بالأباجية بالقاهرة) من الخارج .

٢ـ مقصورة الأمير نوروز المعروفة بإيوان ريحان (بقرافة السيوطى) .

٣ـ منطقة انتقال قبة المقصورة الرئيسية التى تشغل درقاعة جامع السادات الوفائية (بقرافة التونسى) والتى تعلو كل من ضريحى الشيخ محمد وفا وابنه الشيخ على وفا .

٤ـ منطقة انتقال قبة الشيخ العريان بشارع باب البحر بالقاهرة .

٥ـ منطقة انتقال قبة الشيخ سعود بشارع سوق السلاح بالقاهرة .

٦ـ منطقة انتقال القبة الملحقة بمسجد قرا محمد باشا بميدان صلاح الدين أسفل قلعة القاهرة .

٧ـ منطقة انتقال قبة الشيخ مطهر بالصاغة بالقاهرة .

٨ـ منطقة انتقال قبة الأمير سليمان أغا بقرافة الغفير شرق القاهرة .

٩ـ منطقة انتقال قبة الشيخ سنان بدرب قرمز بالقاهرة .

١٠ـ منطقة انتقال قبة الكلنشى بشارع تحت الربع بالقاهرة .

١١ـ منطقة انتقال قبة الشيخ عبدالله بعرب اليسار بحى السيدة عائشة بالقاهرة .

١٢ـ منطقة انتقال قبة أبى جعفر الطحاوى بقرافة الامام الشافعى بالقاهرة .

١٣ـ منطقة انتقال القبة الملحقة بجامع المحمودية بميدان صلاح الدين أسفل قلعة القاهرة .

١٤ـ منطقة انتقال قبة سيدي عقبة بالقرافة المسماه بإسمه جنوب القاهرة .

١٥ـ منطقة انتقال القبة الملحقة بجامع الشعرانى بباب الشعرية بالقاهرة .

١٦ـ منطقة انتقال القبة الملحقة بجامع البيومى بالحسينية بالقاهرة .

١٧ـ منطقة انتقال قبة الحفنى بقرافة المجاورين بالقاهرة .

١٨ـ قبة الكلشنى (بشارع تحت الربع) (عن HAUTECOEUR ET WIET) .

١٩ـ قبة جاهين الخلوتى (أعلى المقطم) .

٢٠ـ قبة الشعرانى (بباب الشعرية) .

٢١ـ قبة المحمودية (بميدان صلاح الدين أسفل قلعة القاهرة) .

٢٢ـ قبة الشيخ سنان (بدرب قرمز بالقاهرة) .

٢٣- قبة التى برمق (بشارع الغندور من شارع سوق السلاح بالقاهرة) .

٢٤- قبة الكومى (بشارع المحجر بالقاهرة) .

٢٥- قبة إبراهيم أغا مستحفظان المعروفة بقبة إبراهيم خليفة جنديان (بشارع التبانة بالقاهرة) .

٢٦- قبة على نجم (بشارع القربية بالقاهرة) .

٢٧- قبة قرا محمد باشا (بميدان صلاح الدين أسفل قلعة القاهرة) .

٢٨- قبة سيدى عقبة فى القرافة المسماه بإسمه جنوب القاهرة .

٢٩ - قبة الشاطبى فى القرافة المسماه بإسمه جنوب القاهرة .

٣٠- قبة أبو جعفر الطحاوى فى قرافة الامام الشافعى جنوب القاهرة .

٣١- قبة الأمير سليمان أغا (بقرافة الغفير شرق القاهرة) فى أوائل القرن الحالى (عن : SALADIN) .

٣٢ - قبة الأمير سليمان أغا كما هى الآن .

٣٣- قبة الشيخ سعود (بشارع سوق السلاح بالقاهرة) .

٣٤- قبة كل من الأميرين سليمان بك وعلاء الدين على بك ولدا أحمد بك بن السلطان بايزيد العثمانى (تجاه قبه برسباى البجاسى بقرافة الغفير شرق القاهرة)

٣٥- بعض مدافن الطراز العثمانى بقرافة القاهرة كما سجلتها بعض كتب الرحالة (عن BECHARD ET PALMERI:) .

٣٦ - بعض مدافن الطراز العثمانى بقرافة القاهرة كما سجلها كتاب وصف مصر (عن DESCRIPTION DE L'E EGYPTE :) .

٣٧- بعض مدافن الطراز العثمانى بقرافة القاهرة كما سجلتها بعض كتب الرحالة (عن : BECHARD ET PALMER) .

٣٨ - بعض مدافن الطراز العثمانى بقرافة القاهرة كما سجلها كتاب وصف مصر (عن : BESCRIPTION DE L'E EGYPTE) .

٣٩- قبة الأمير برهام بالقاهرة .

٤٠- قبة المزنى بالقرافة .

٤١- داخل قبة المزنى بالقرافة .

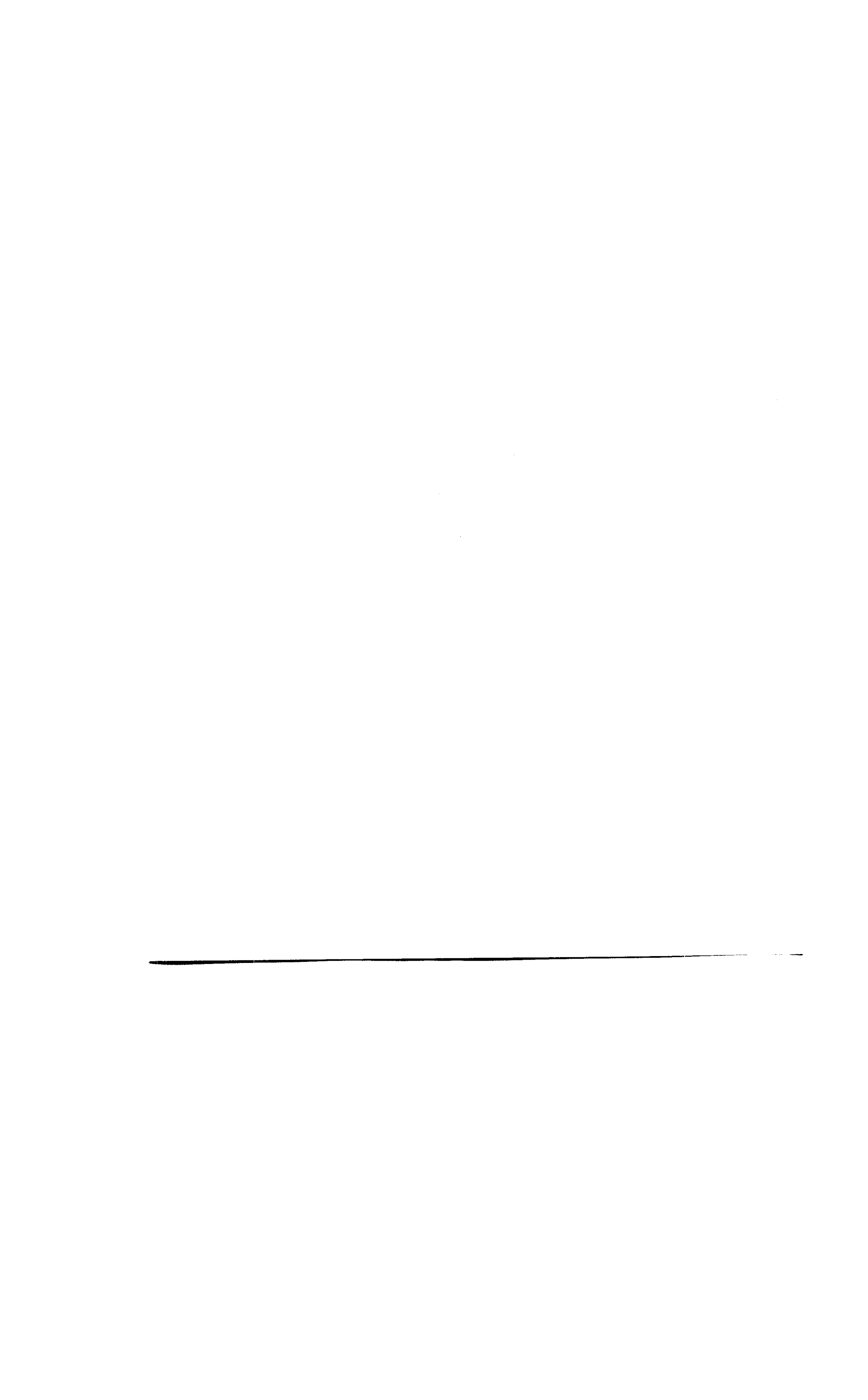
٤٢- قبة مصطفى بك جاهين بالقرافة .

٤٣ - مدفن أمنه قادن بالقرافة .

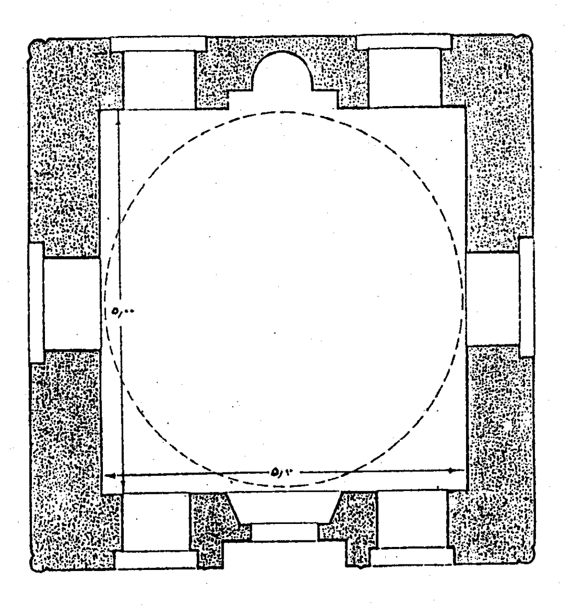
٤٤- قبة مصطفى أغا جالق بشارع الشهيد عشماوى بقرافة سيدى جلال بالسيدة عائشة « منظر عام للقبة بكل تفاصيلها وسقفها الحجالونى ».

٤٥- تربتا على بك وإسماعيل بك الكبير بقرافة الامام الشافعى .

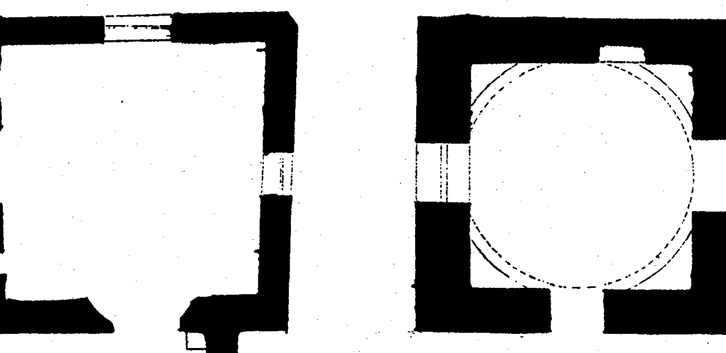
٤٦- قبه المؤرخ مجير الدين الحنبلى بالقدس الشريف (عن كتاب كنوز القدس) .



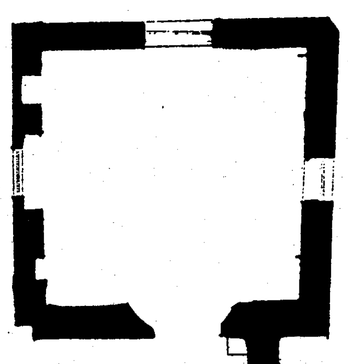
الأشكـــال و اللوحـــات



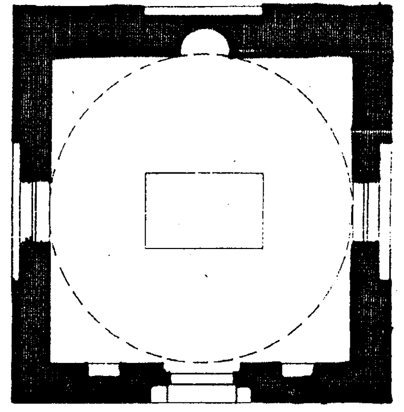
(شكل رقم ١) مسقط أفقي لقبة الأمير سليمان أغا (بقرافة الغفير شرق القاهرة)
عن المجلس الأعلى للآثار المصرية .



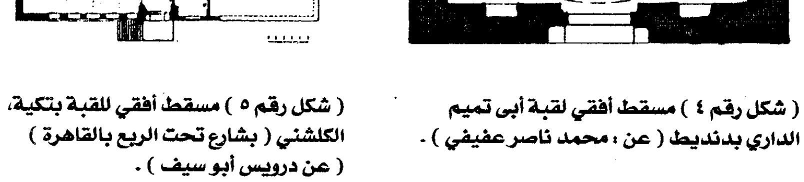
(شكل رقم ٢) مسقط أفقي لقبة الشيخ
جزر بفوه (عن محمد عبد العزيز) .



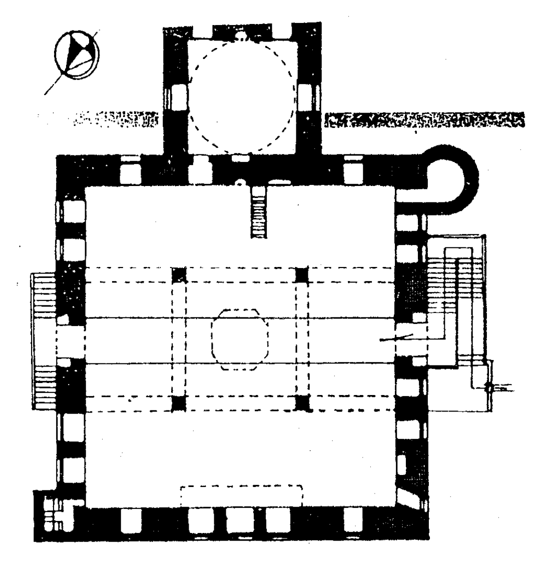
(شكل رقم ٣) مسقط أفقي لقبة الأمير جاويش
بالمحلة الكبرى (عن تفيدة عبد الجواد .



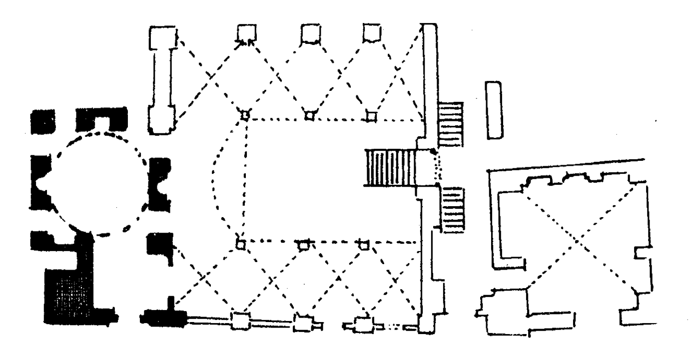
(شكل رقم ٤) مسقط أفقي لقبة أبى تميم الداري بدنديط (عن : محمد ناصر عفيفي) .



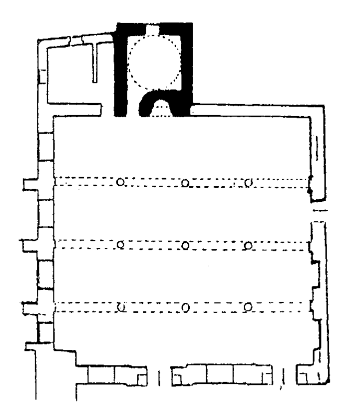
(شكل رقم ٥) مسقط أفقي للقبة بتكية، الكلشني (بشارع تحت الربع بالقاهرة) (عن درويس أبو سيف) .



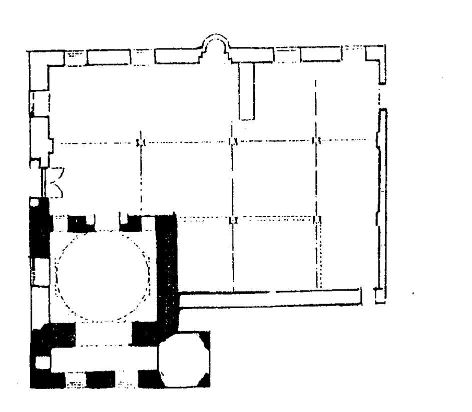
(شكل رقم ٦) مسقط أفقي للقبة الملحقة بجامع المحمودية بالقاهرة (عن المجلس الأعلى للآثار) .



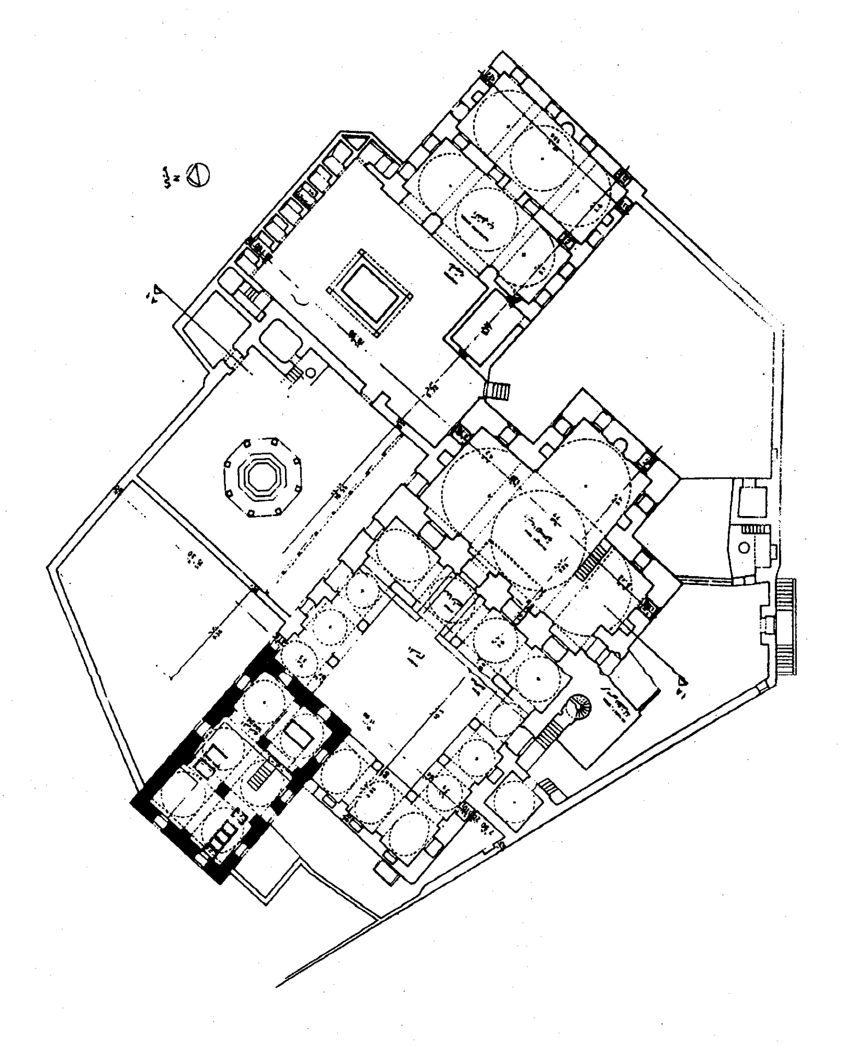
(شكل رقم ٧) مسقط أفقي للقبة الملحقة بجامع آلتي برمق بالقاهرة .



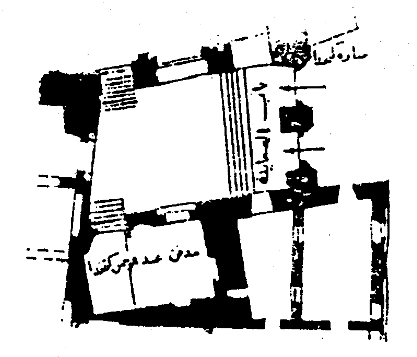
(شكل رقم ٨) مسقط أفقي للقبة الملحقة بجامع النميري بفوه (عن : محمد عبد العزيز) .



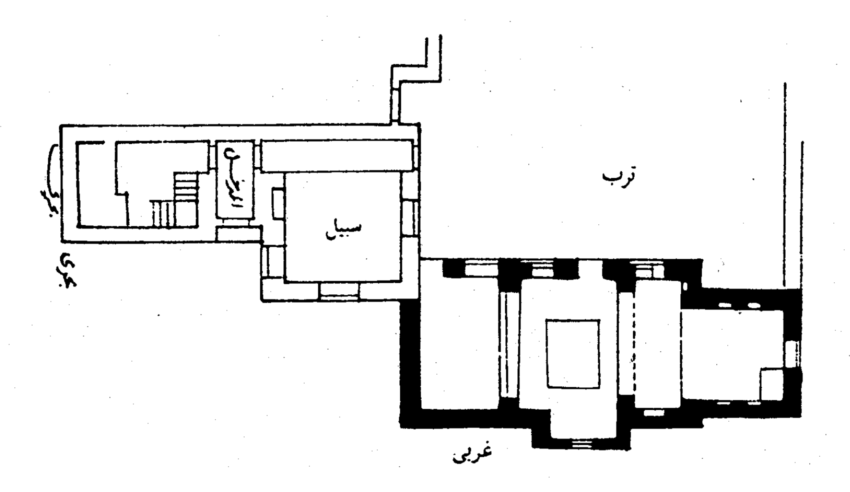
(شكل رقم ٩) مسقط أفقي للقبة الملحقة بجامع العباسي برشيد (عن محمود درويش)



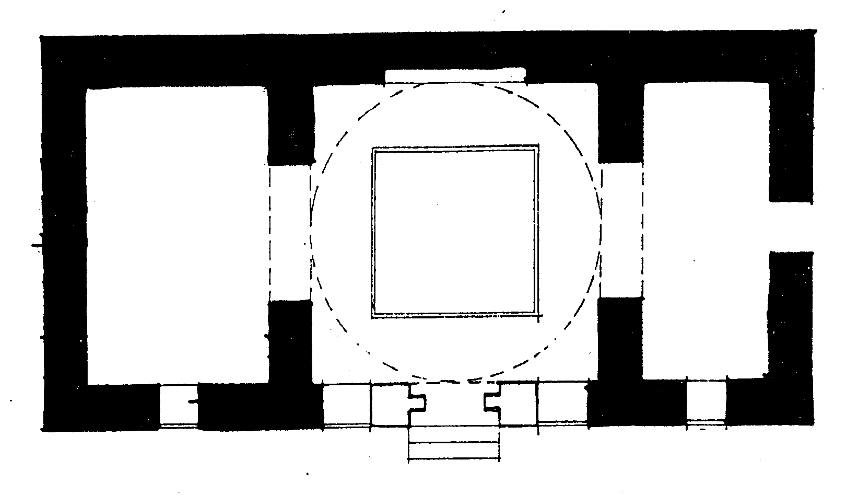
(شكل رقم ١٠) مسقط أفقي للمدفن الملحق بجامع سليمان باشا (سارية الجبل بقلعة القاهرة) (عن موسوعة القاهرة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية) .



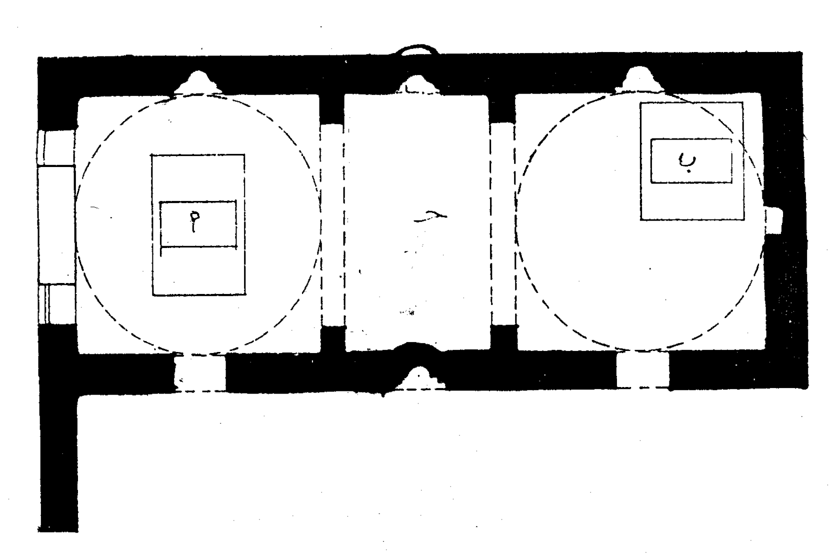
(شكل رقم ١١) مسقط أفقي لقبة عبد الرحمن كتخدا الملحق بزيادته بالأزهر الشريف (عن المجلس الأعلى للآثار) .



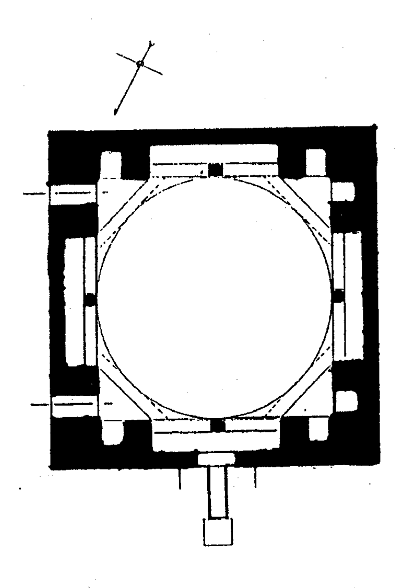
(شكل رقم ١٢) مسقط أفقي لمدفن سليمان أغا الحنفي بالأباجية (عن محمود الحسيني) .



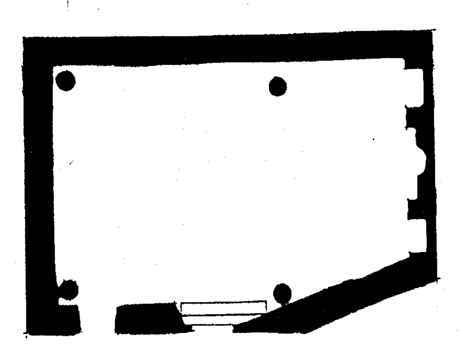
(شكل رقم ١٣) مسقط أفقي لمدفن عبد الوهاب بن مخلوف بمطوبس
(عن محمد ناصر عفيفي) .



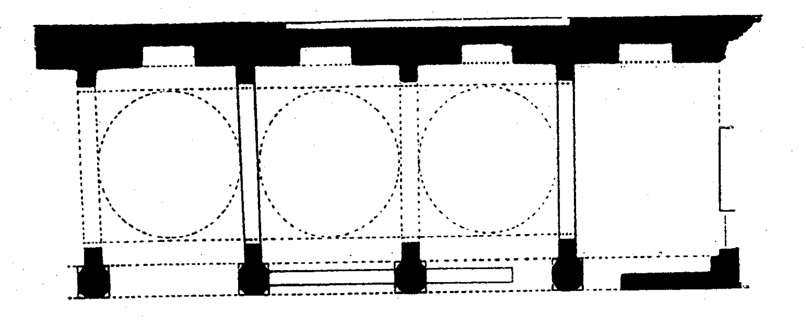
(شكل رقم ١٤) مسقط أفقي لمدفن كل من محمد بن سلامة العراقي وزين الدين العراقي
بادكو (عن محمد ناصر عفيفي) .



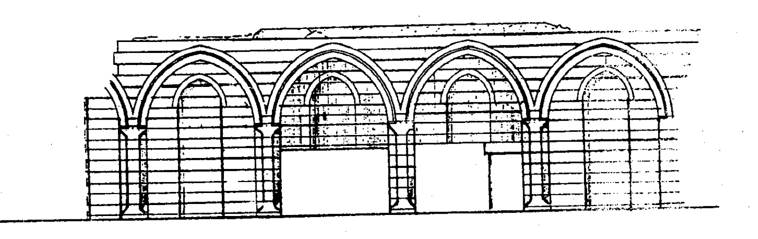
(شكل رقم ١٥) مسقط أفقي لقبة الشيخ الروبي بالفيوم
(عن إبراهيم عامر) .



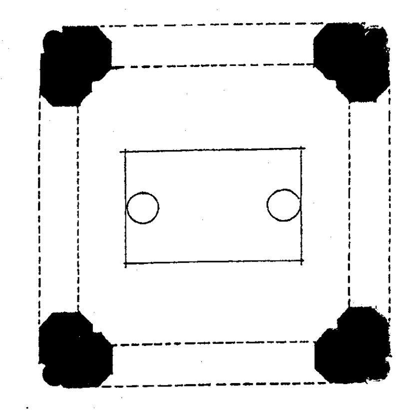
(شكل رقم ١٦) مسقط أفقي لقبة الشيخ سنان بدرب قرمز بالقاهرة
(عن حمزة عبد العزيز) .



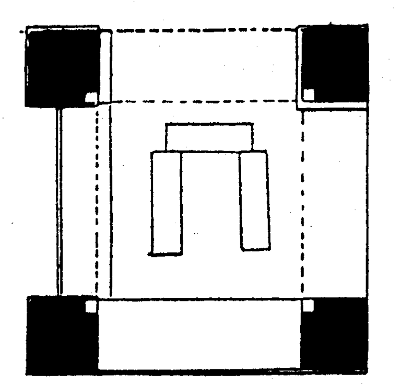
(شكل رقم ١٧) مسقط أفقي لمقصورة الأمير نوروز المعروفة بإيوان ريحان
(بقرافة السيوطي بالقاهرة) .



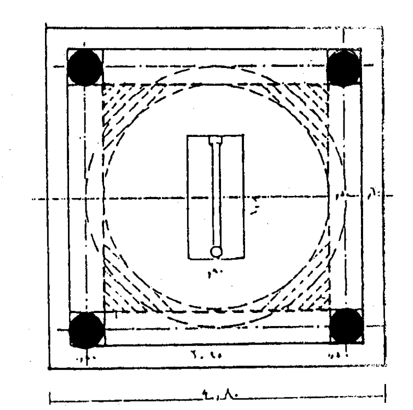
(شكل رقم ١٨) قطاع لمقصورة الأمير نوروز .



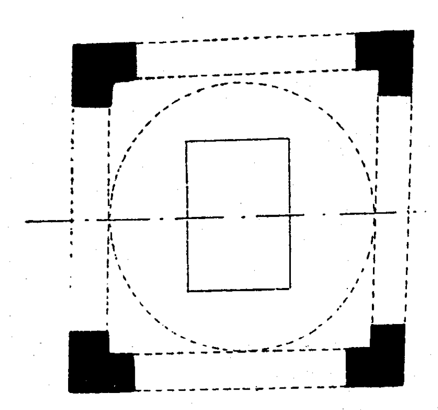
(شكل رقم ١٩) مسقط أفقي لقبة المزني
(عن : حمزة عبد العزيز) .



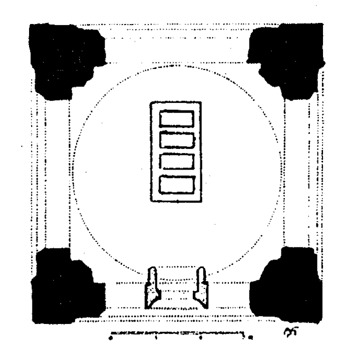
(شكل رقم ٢٠) مسقط أفقي
لمدفن مصطفى أغا جالق
(بقرافة السيوطي بالقاهرة) .



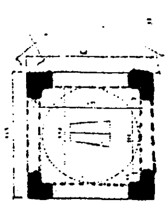
(شكل رقم ٢١) مسقط أفقي لقبة رقية دودو
(عن : سوسن سليمان) .



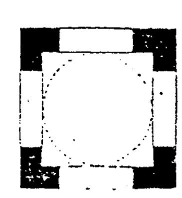
(شكل رقم ٢٢) مسقط أفقي لقبة
أبى تراب بالعباسية .



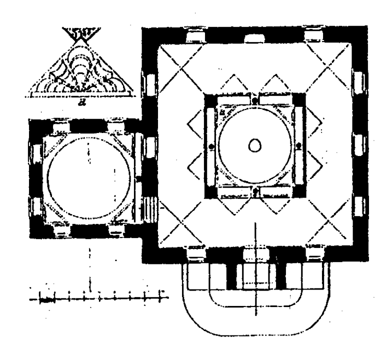
(شكل رقم ٢٣) مسقط أفقي لتربة أبناء السلاطيـــن في أماسيا بتركيا (شاهزاده لرتربه سي) . (عن : GABRIEL) .



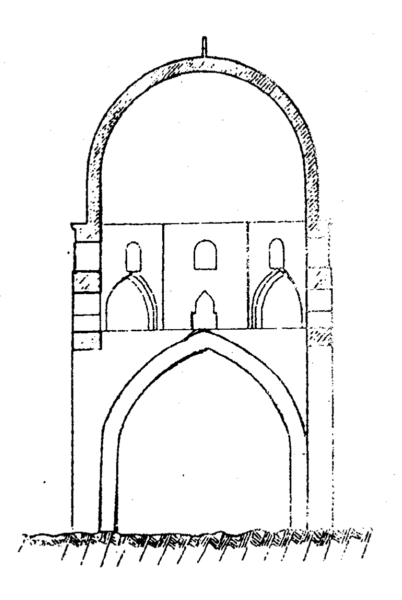
(شكل رقم ٢٤) مسقط أفقي لتربة يعقوب چلبي في ازنيق بتركيا (عن : ÖTÜKEN) .



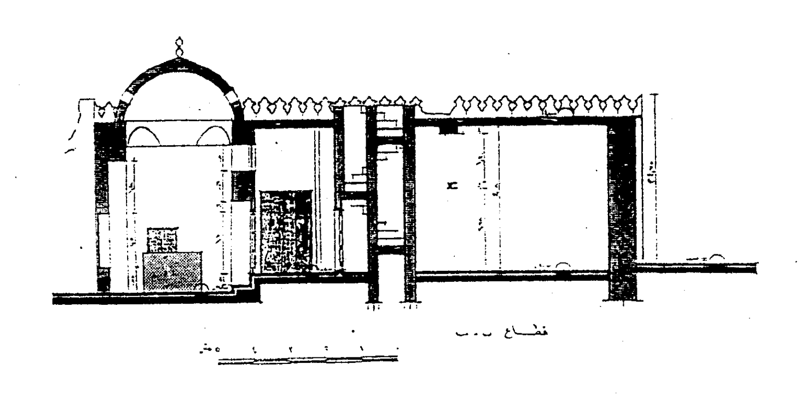
(شكل رقم ٢٥) مسقط أفقي لتربـة ســاري سلتق في أزنيق بتركيا (عن : ÖTÜKEN) .



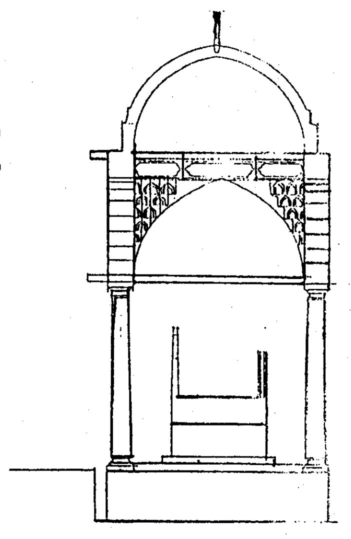
(شكل رقم ٢٦) مسقط أفقي لتربة السلطان مراد الثاني في بورصـة (أوبروســه) بتركيـا (عن : WILDE) .



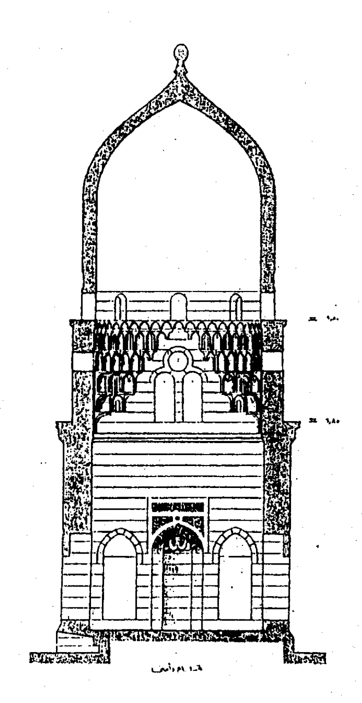
(شكل رقم ٢٧) قطاع رأسي أ - ب لقبة أبى تراب بالعباسية



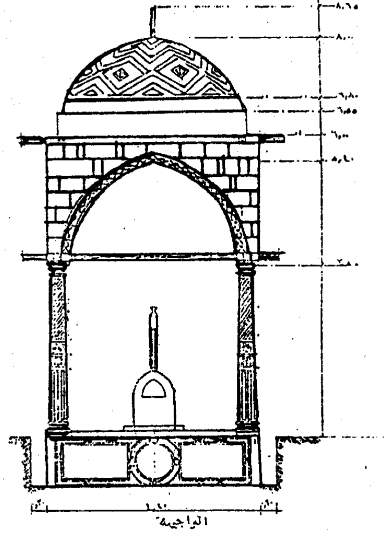
(شكل رقم ٢٨) قطاع ب - ب للقبة الملحقة بجامع الشيخ رمضان بعابدين بالقاهرة (عن المجلس الأعلى للآثار) .



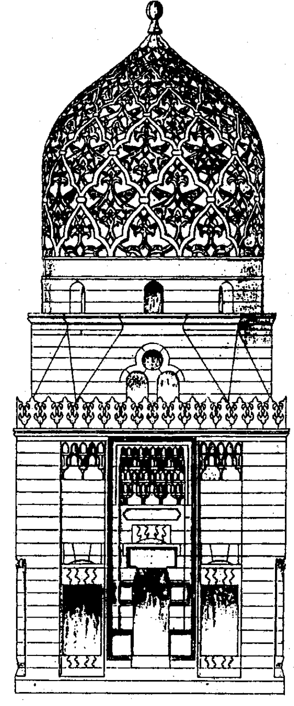
(شكل رقم ٢٩) قطاع رأسي أ - ب لقبة رقية دودو . (عن سوسن سليمان) .

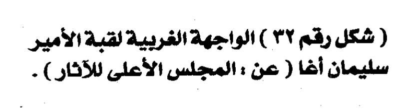


(شكل رقم ٣٠) قطاع رأسي لقبة الأمير سليمان أغا (عن المجلس الأعلى للآثار) .

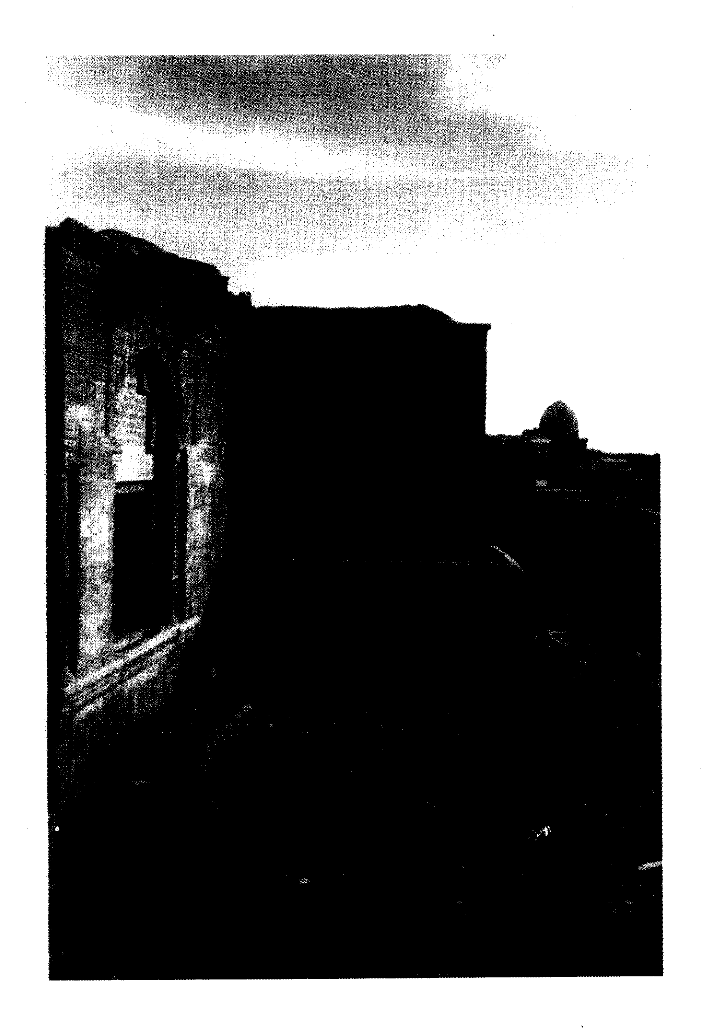


(شكل رقم ٣١) واجهة قبة رقية دودو
(عن سوسن سليمان) .





(شكل رقم ٣٢) الواجهة الغربية لقبة الأمير
سليمان أغا (عن : المجلس الأعلى للآثار) .



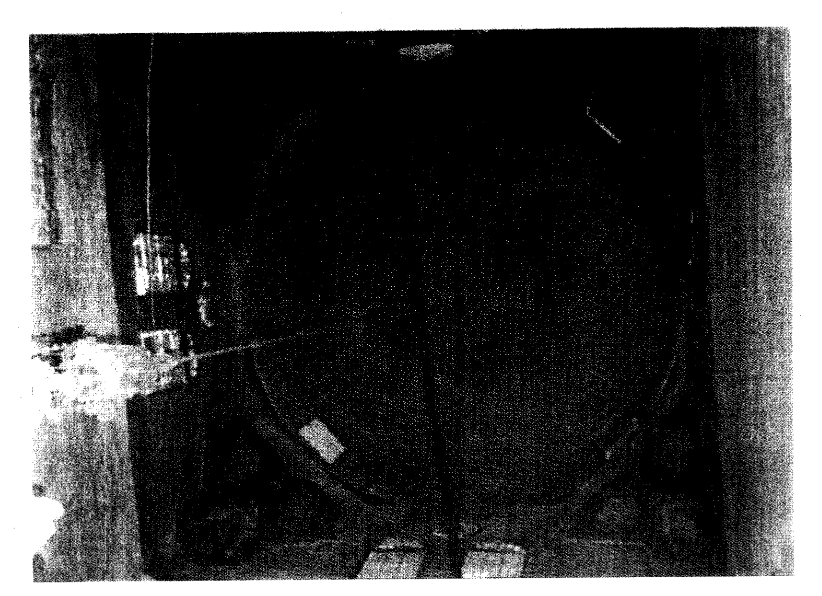
(لوحة رقم ١) مدفن سليمان أغا الحنفي (بالأباجية بالقاهرة) من الخارج .



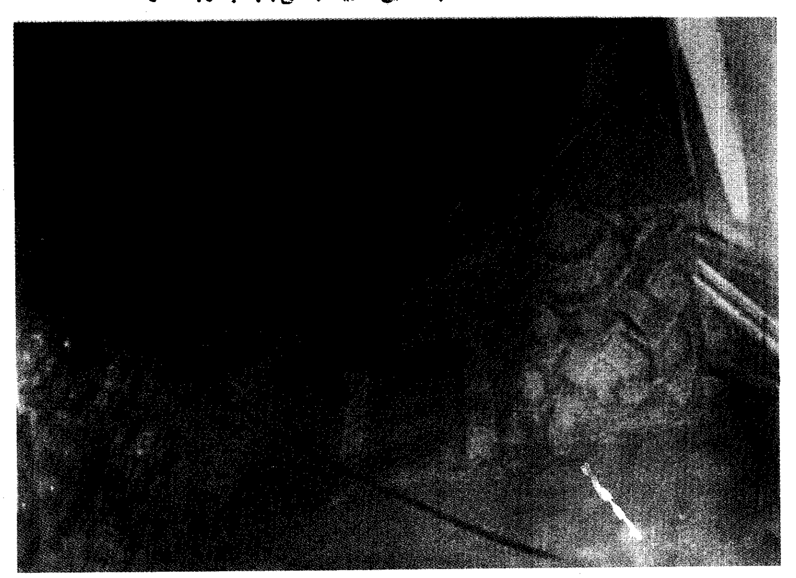
(لوحة رقم ٢) مقصورة الأمير نوروز المعروفة بإيوان ريحان (بقرافة السيوطي) .



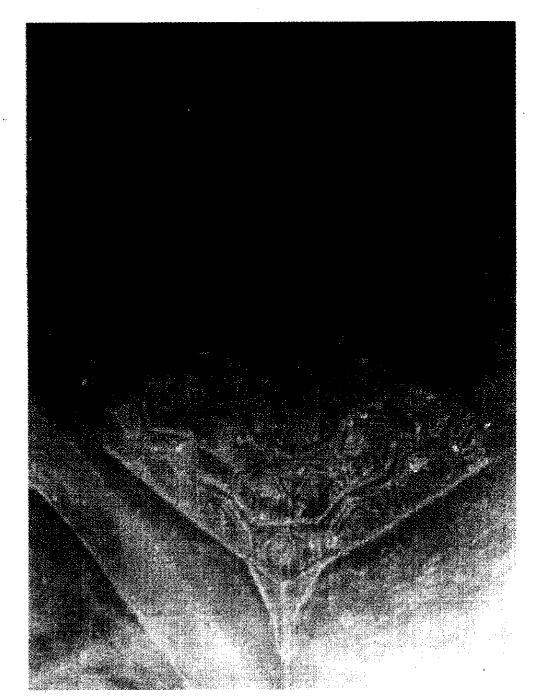
(لوحة رقم ٣) منطقة انتقال قبة المقصورة الرئيسية التي تشغل درقاعه جامع السادات الوفائية (بقرافة التونسي) والتي تعلو كل من ضريحي الشيخ محمد وفا وإبنه الشيخ علي وفا .



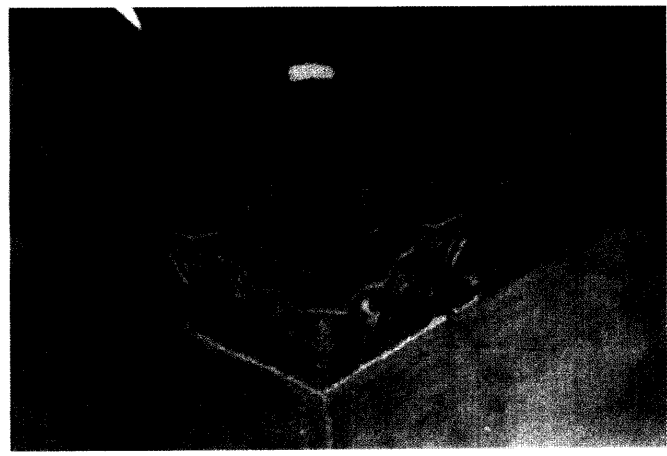
(لوحة رقم ٤) منطقة انتقال قبة الشيخ العريان بشارع باب البحر بالقاهرة .



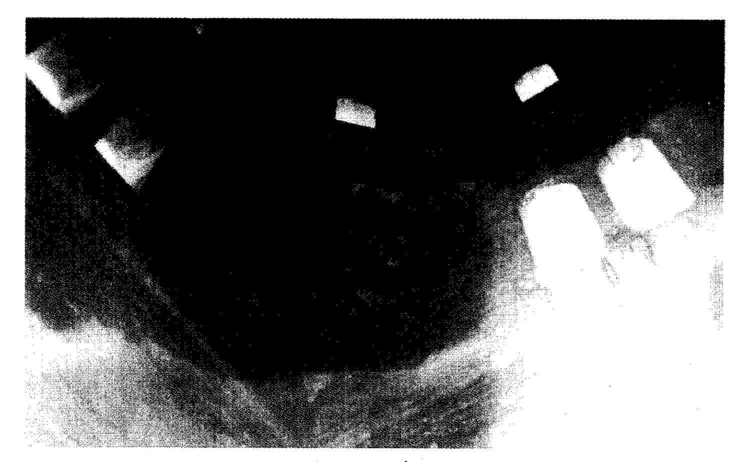
(لوحة رقم ٥) منطقة انتقال قبة الشيخ سعود بشارع سوق السلاح بالقاهرة .



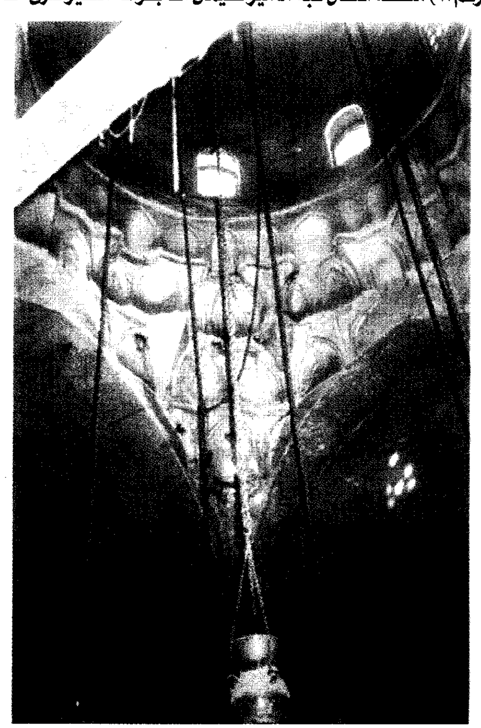
(لوحة رقم ٦) منطقة انتقال القبة الملحقة بمسجد قرا محمد باشا بميدان صلاح الدين أسفل قلعة القاهرة .



(لوحة رقم ٧) منطقة انتقال قبة الشيخ مطهر بالصاغة بالقاهرة .

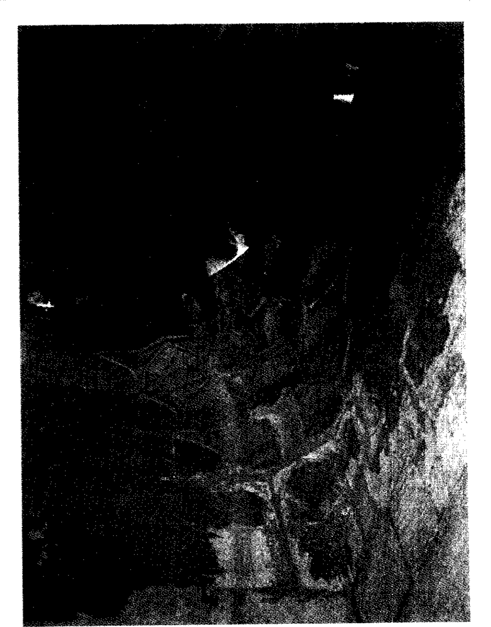


(لوحة رقم ٨) منطقة انتقال قبة الأمير سليمان أغا بقرافة الغفير شرق القاهرة .

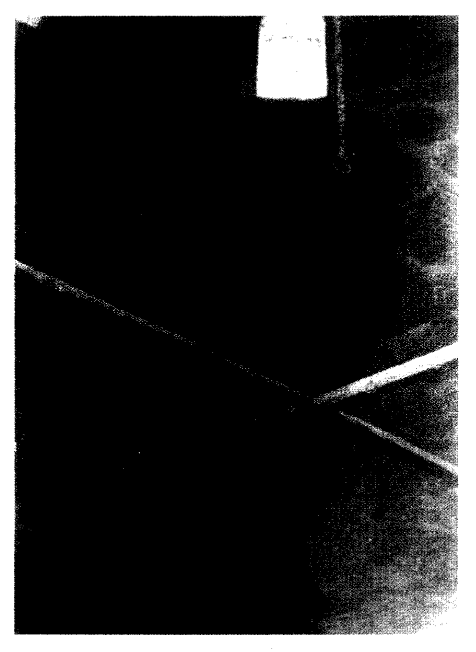


(لوحة رقم ٩) منطقة انتقال قبة الشيخ سنان بدرب قرمز بالقاهرة .

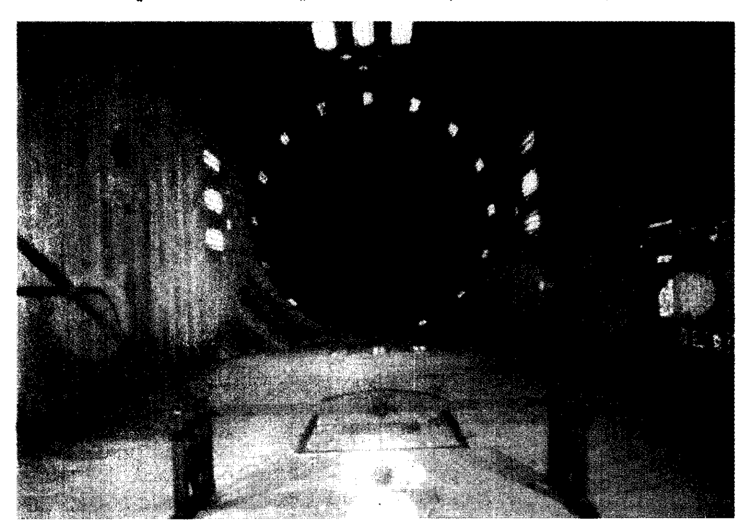
(لوحة رقم ١٠) منطقة انتقال قبة الكلشني بشارع تحت الربع بالقاهرة .



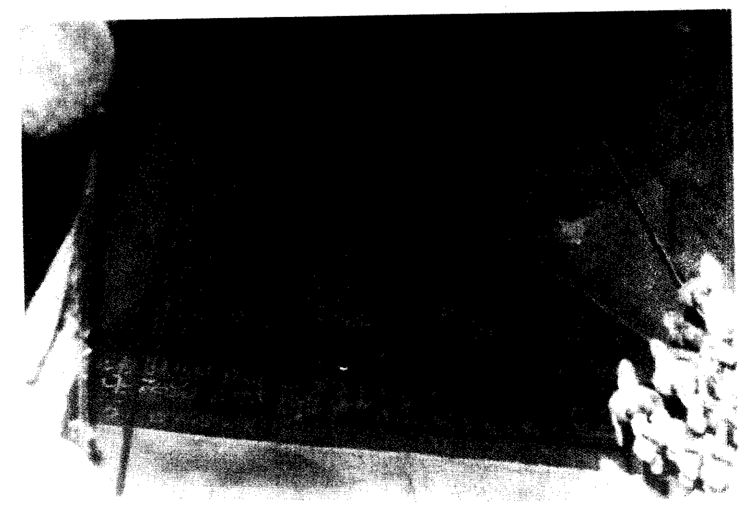
(لوحة رقم ١١) منطقة انتقال قبة الشيخ عبد الله بعرب اليسار بحي السيدة عائشة بالقاهرة .



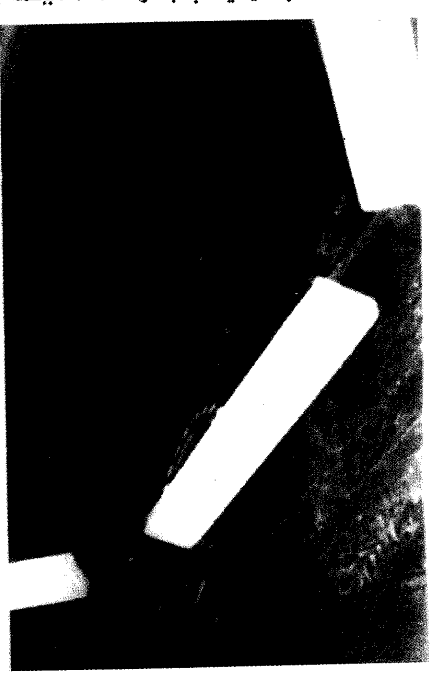
(لوحة رقم ١٢) منطقة انتقال قبة أبى جعفر الطحاوي بقرافة الإمام الشافعي بالقاهرة .



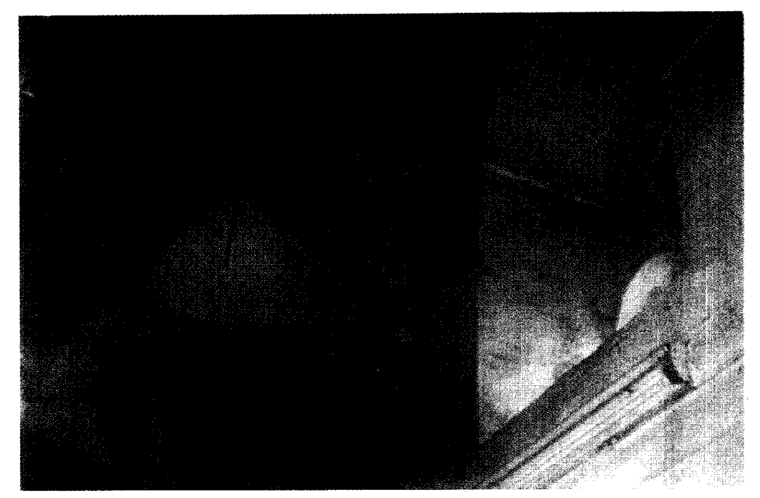
(لوحة رقم ١٣) منطقة انتقال القبة الملحقة بجامع المحمودية بميدان صلاح الدين أسفل قلعة القاهرة .



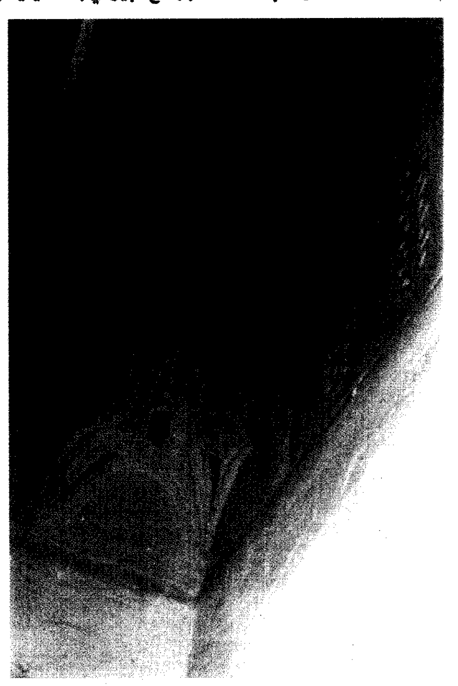
(لوحة رقم ١٤) منطقة انتقال قبة سيدي عقبة بالقرافة المسماه بإسمه جنوب القاهرة .



(لوحة رقم ١٥) منطقـة انتقـال القبـة الملحقة بجامع الشعراني بباب الشعرية بالقاهرة .



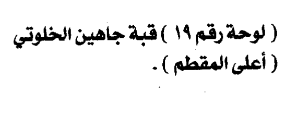
(لوحة رقم ١٦) منطقة انتقال القبة الملحقة بجامع البيومي بالحسينية بالقاهرة .



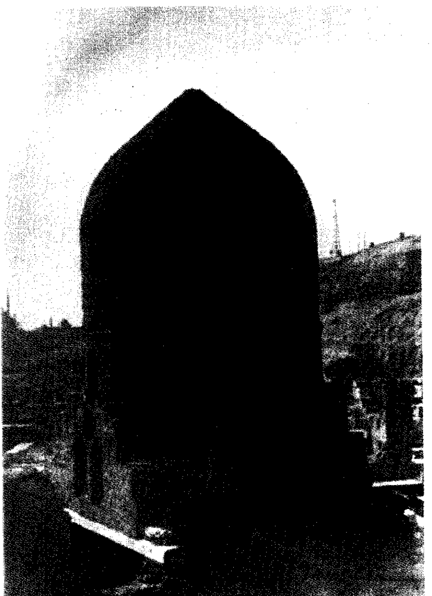
(لوحة رقم ١٧) منطقة انتقال قبة الحفني بقرافة المجاورين بالقاهرة .

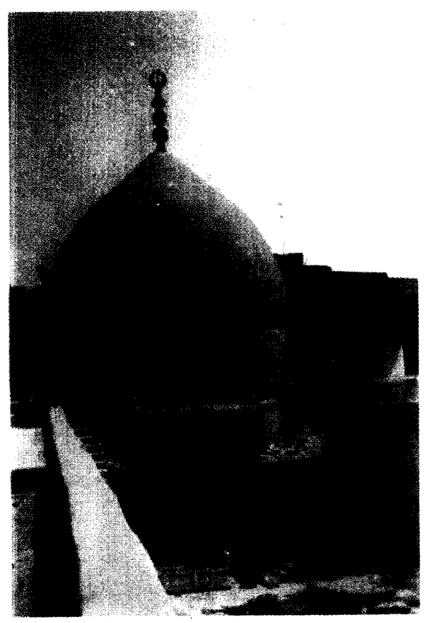


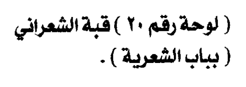
(لوحة رقم ١٨) قبة الكلشني
(بشارع تحت الربع) .
(عن HAUTECOEUR ET WIET) .



(لوحة رقم ١٩) قبة جاهين الخلوتي
(أعلى المقطم) .



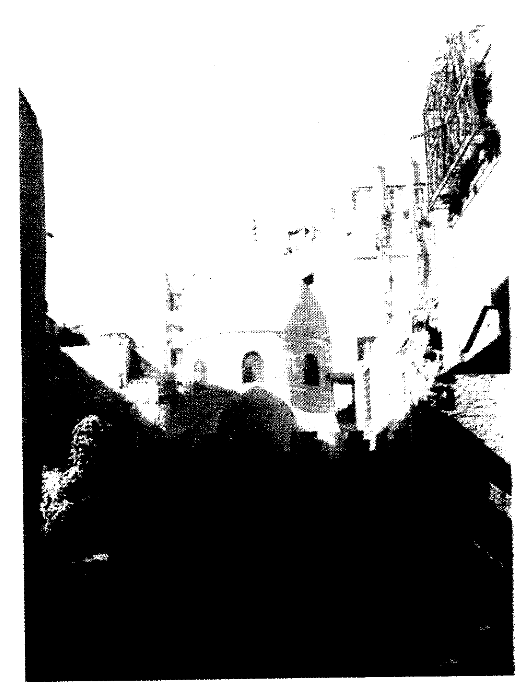




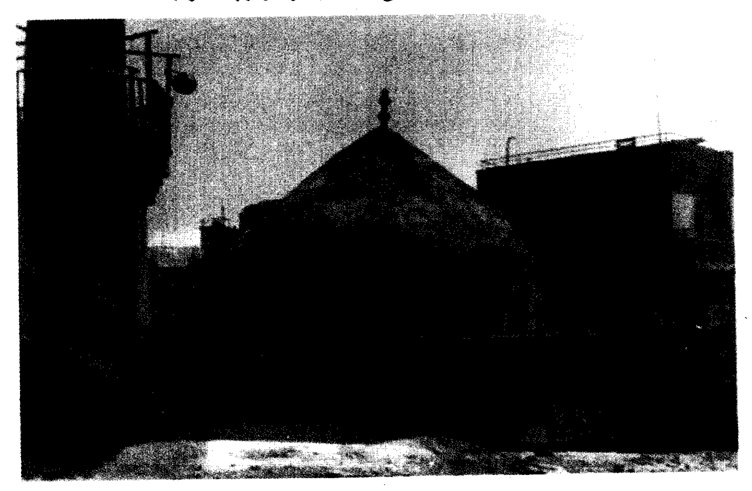
(لوحة رقم ٢٠) قبة الشعراني
(بباب الشعرية) .



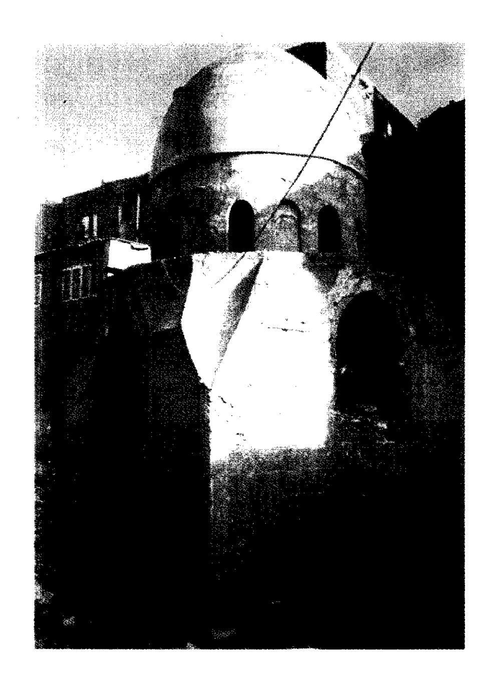
(لوحة رقم ٢١) قبة المحمودية (بميدان صلاح الدين أسفل قلعة القاهرة) .



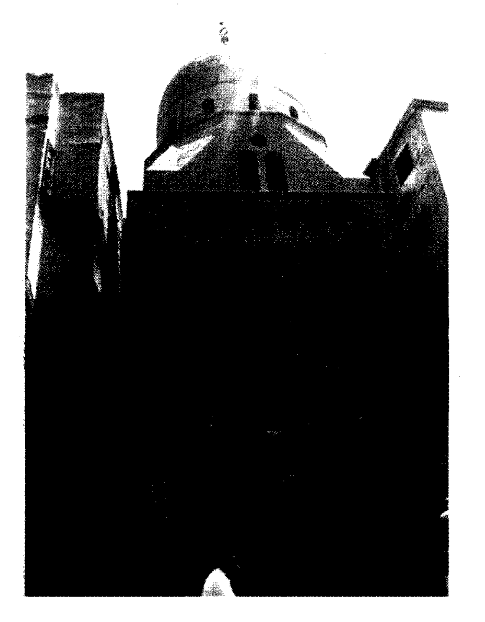
(لوحة رقم ٢٢) قبـة الشيـخ سنان (بدرب قرمز بالقاهرة) .



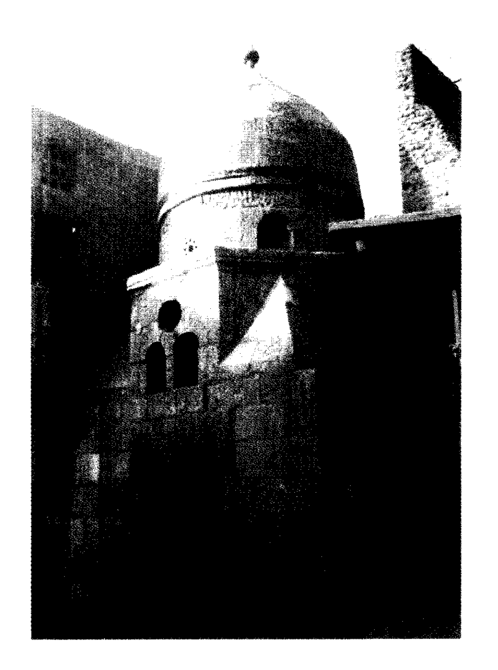
(لوحة رقم ٢٣) قبة التي برمق (بشارع الغندور من شارع سوق السلاح بالقاهرة) .



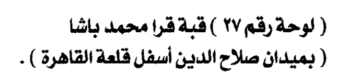
(لوحة رقم ٢٤) قبة الكومي
(بشارع المحجر بالقاهرة) .



(لوحة رقم ٢٥) قبة إبراهيم أغا مستحفظان
المعروفة بقبة إبراهيم خليفة جنديان
(بشارع التبانة بالقاهرة) .

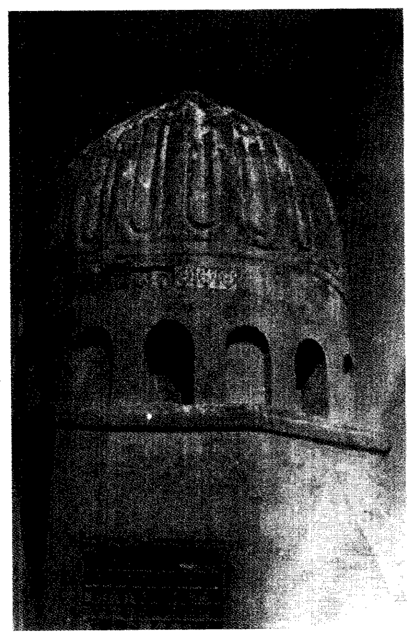


(لوحة رقم ٢٦) قبة علي نجم
(بشارع القربية بالقاهرة) .

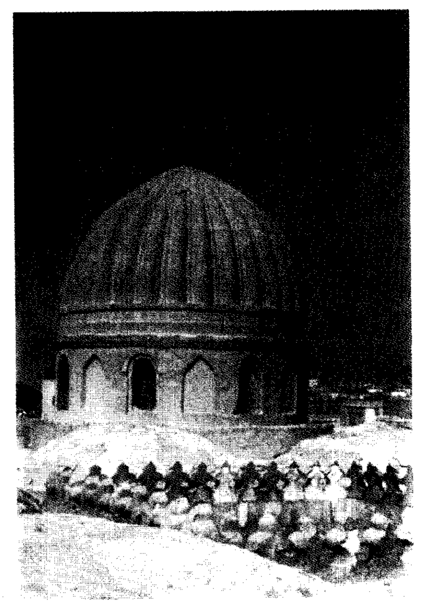


(لوحة رقم ٢٧) قبة قرا محمد باشا
(بميدان صلاح الدين أسفل قلعة القاهرة) .

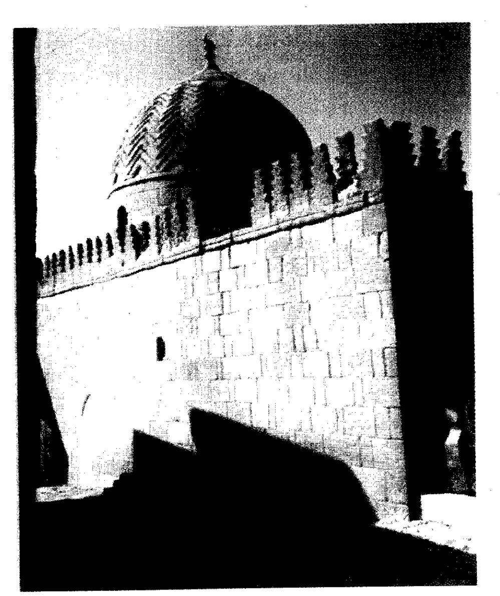




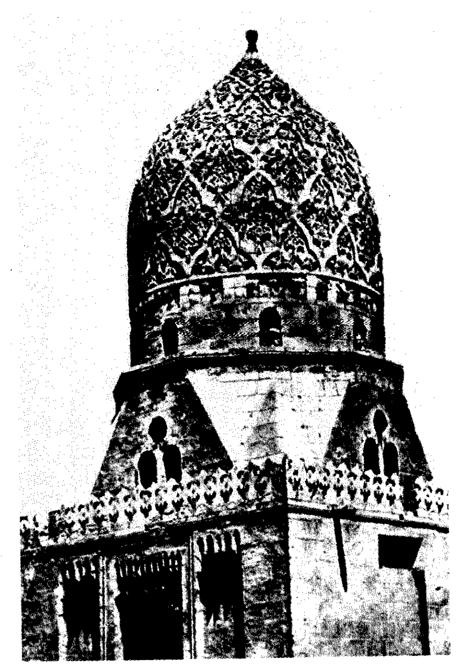
(لوحة رقم ٢٨) قبة سيدي عقبة في القرافة المسماه بإسمه جنوب القاهرة .



(لوحة رقم ٢٩) قبة الشاطبي في القرافة المسماه بإسمه جنوب القاهرة .



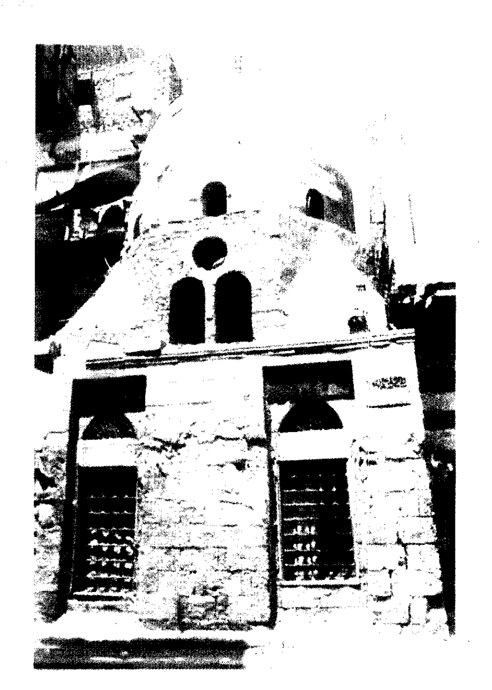
(لوحة رقم ٣٠) قبة أبو جعفر الطحاوي
في قرافة الإمام الشافعي جنوب القاهرة .



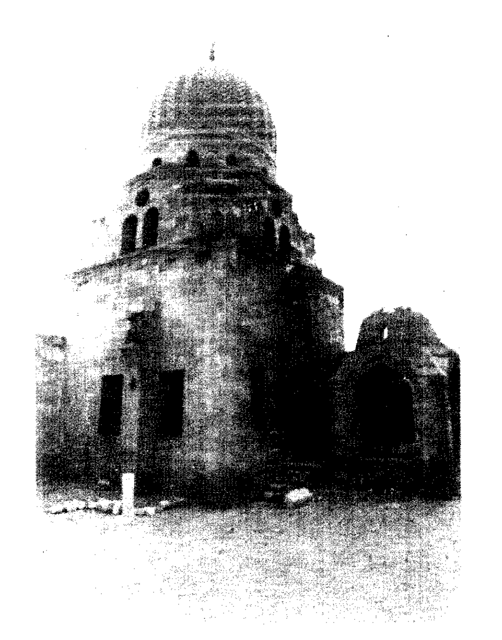
(لوحة رقم ٣١) قبة الأمير سليمان أغا
(بقرافة الغفير شرق القاهرة)
في أوائل القرن الحالي (عن : SALADIN) .



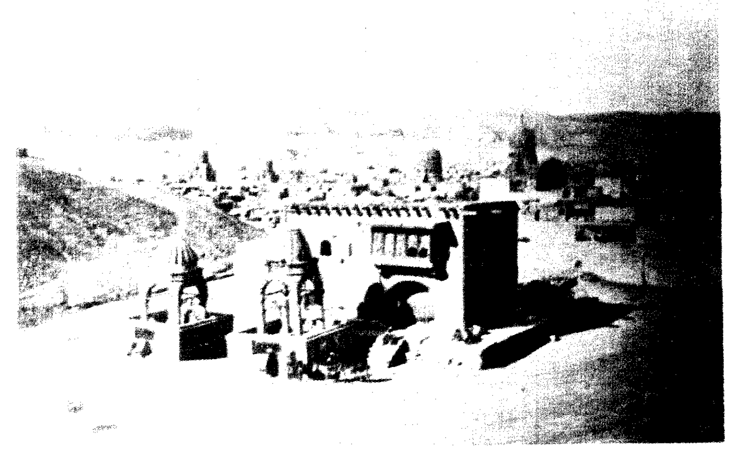
(لوحة رقم ٣٢) قبة الأمير سليمان أغا
كما هي الآن .



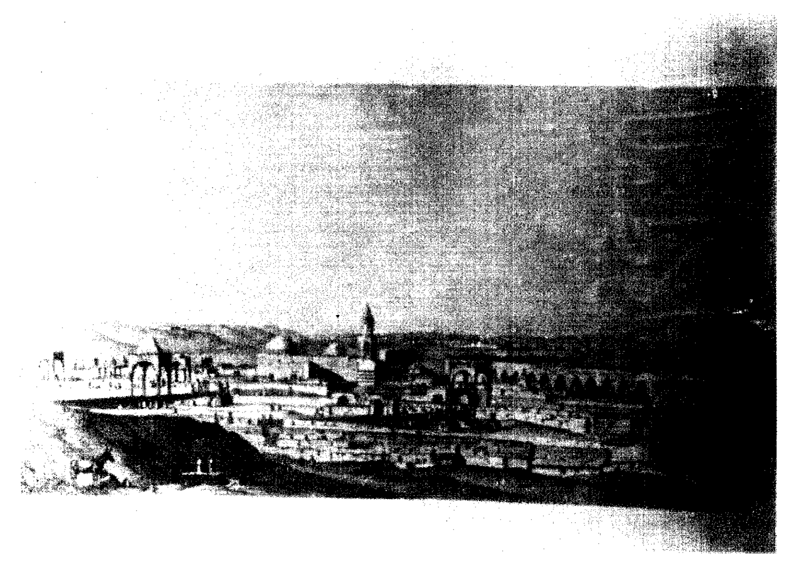
(لوحة رقم ٣٣) قبة الشيخ سعود
(بشارع سوق السلاح بالقاهرة) .



(لوحة رقم ٣٤) قبة كل من الأميرين سليمان بك وعلاء الدين على بك ولدا أحمد بك بن السلطان بايزيد العثماني (تجاه قبة برسباي البجاسي بقرافة الغفير شرق القاهرة) .



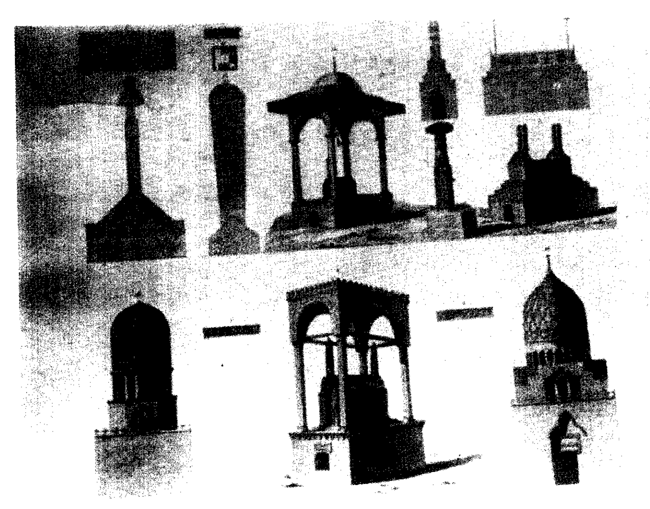
(لوحة رقم ٣٥) بعض مدافن الطراز العثماني بقرافة القاهرة كما سجلتها بعض كتب الرحالة (عن : BECHARD ET PALMERI) .



(لوحة رقم ٣٦) بعض مدافن الطراز العثماني بقرافة القاهرة كما سجلها كتاب وصف مصر (عن DESCRIPTION DE L'E EGYPTE) .



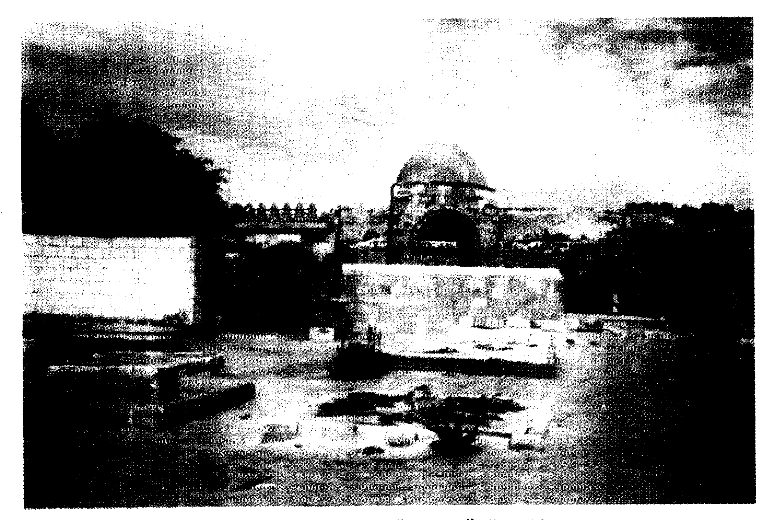
(لوحة رقم ٣٧) بعض مدافن الطراز العثماني بقرافة القاهرة كما سجلتها بعض كتب الرحالة (عن BECHARD ET PALMERI) .



(لوحة رقم ٣٨) بعض مدافن الطراز العثماني بقرافة القاهرة كما سجلها كتاب وصف مصر (عن DESCRIPTION DE L'E EGYPTE) .



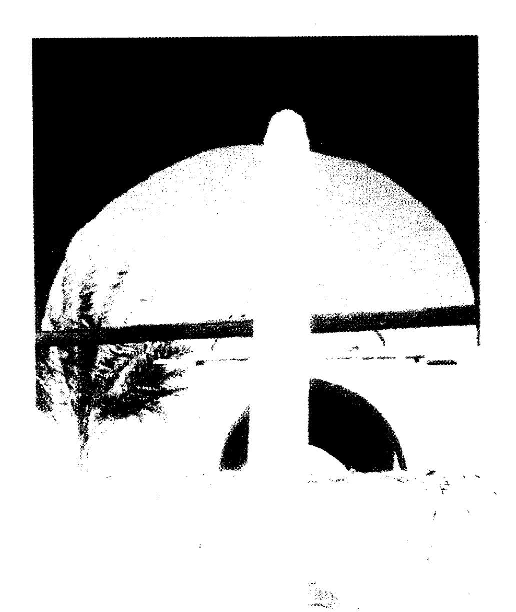
(لوحة رقم ٣٩) قبة الأمير برهام بالقرافة .



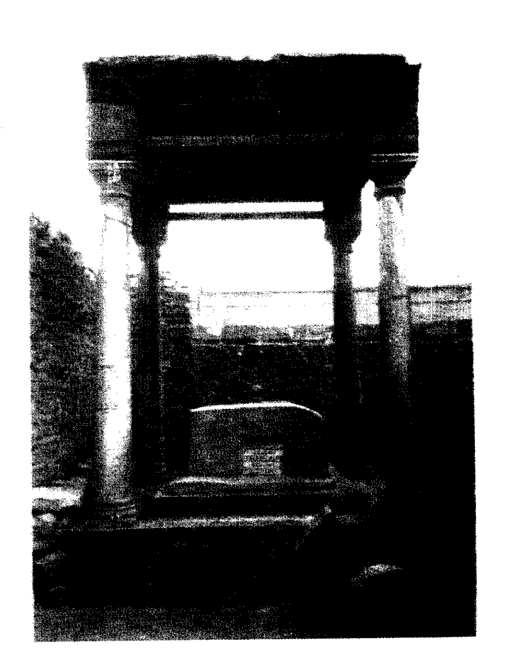
(لوحة رقم ٤٠) قبة المزني بالقرافة .



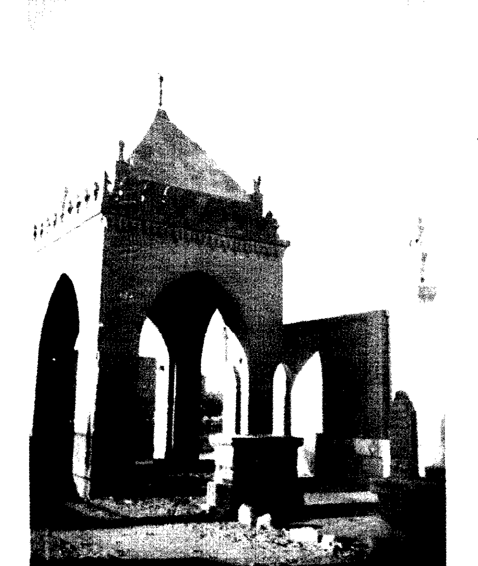
(لوحة رقم ٤١) داخل قبة المزني بالقرافة .



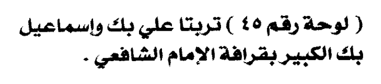
(لوحة رقم ٤٢) قبة مصطفى بك جاهين بالقرافة .



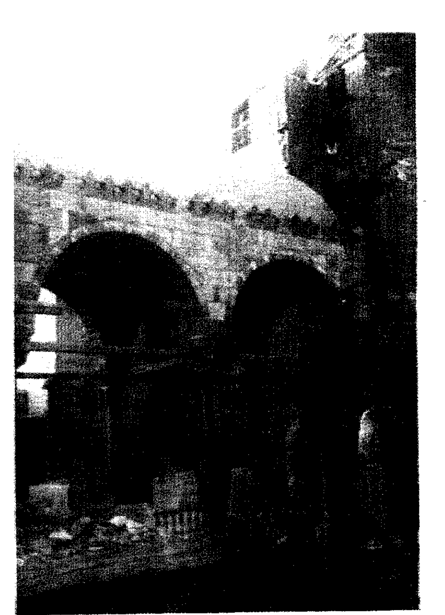
(لوحة رقم ٤٣) مدفن أمنة قادن بالقرافة .

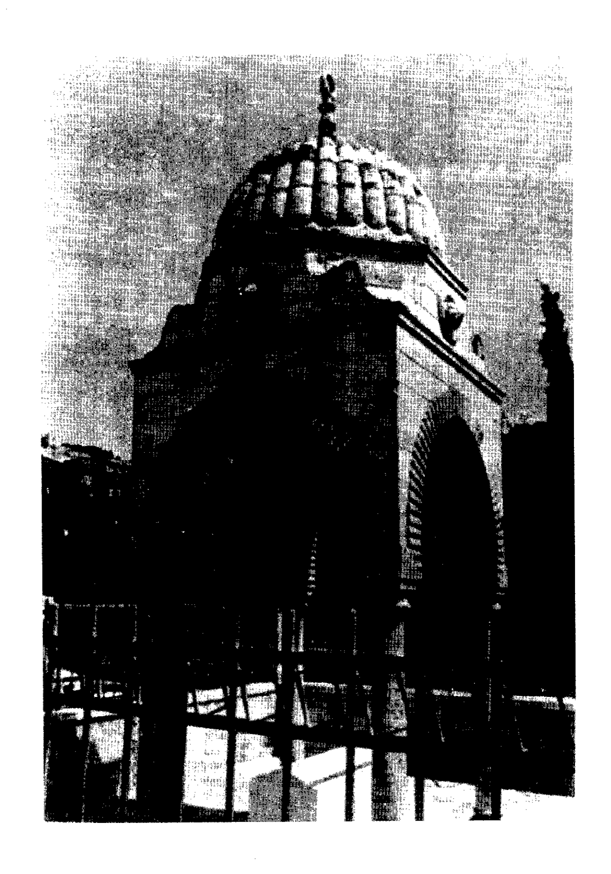


(لوحة رقم ٤٤) قبة مصطفى أغاجالق بشارع الشهيد عشماوي بقرافة سيدى جلال بالسيدة عائشة "منظر عام للقبة بكل تفاصيلها وسقفها الحجالوني" .



(لوحة رقم ٤٥) تربتا علي بك واسماعيل بك الكبير بقرافة الإمام الشافعي .





(لوحة رقم ٤٦) قبة المؤرخ مجير الدين الحنبلي بالقدس الشريف
(عن كتاب كنوز القدس) .